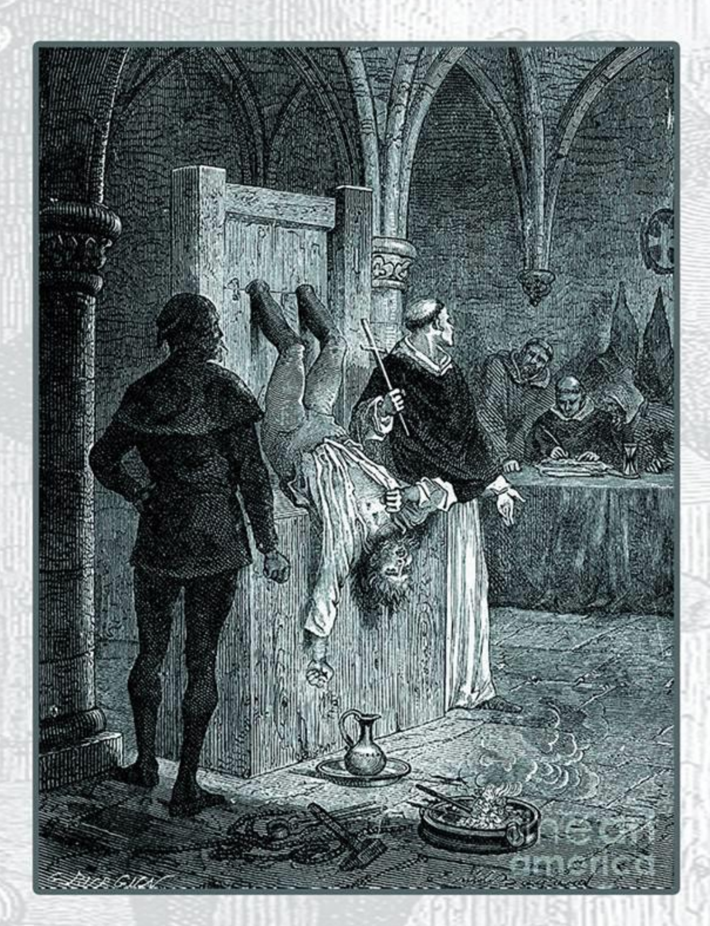
مدارات عقائدية ساخنة

حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني



ماجد الغرباوي و طارق الكناني





مدارات عقائدية ساخنة

حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني

الكتاب: مدارات عقائدية ساخنة .. حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني

حوار: طارق الكناني مع: ماجد الغرباوي

الطبعة الأولى: 2017م

إصدار: مؤسسة المثقف العربي، سيدني – أستراليا

نشر وتوزيع: دار أمل الجديدة، دمشق – سوريا

ISBN: 978- 9933- 581- 53- 4





سورية – دمشق

جوال 00963932472096 - 00963932002126 -

هاتف: 00963112724292

مدارات عقائدية

حوار في مُنحَنَيات الأسطرَة واللامعقول الديني

ماجد الغرباوي و طارق الكناني

مؤسسة المثقف العربي دار أمل الجديدة

الاهداء

إلى كل الباحثين عن الحقيقة، حينما تقرع أفكارَهم عصا المقدّس، وتقمع الخطوط الحمراء جهودهمَ، أهدي هذا الكتاب مناراً لاكتشافها.

وإلى من علمني أن أكون محبا لكل الأديان والطوائف ...

الى جدي عبد العال ياسين رحمه اللّه أهدي هذا الجهد...

طارق الكناني

مقدمة

ماجد الغرباوي مفكر عراقي، شأنه شأن أي مفكر، دائم البحث عن الحقيقة بدليل صحيح، لا يركن لقول واحد، ولا يتوقف عند رأي خاص مهما كان قائله .. يسعى لاكتشافها بمعزل عن الغيبيات خارج حدود القرآن الكريم. فالعقل وكتاب الله ركائز ومرجعيات اعتمدها الغرباوي في هذا الحوار الذي دارت أسئلته حول العقيدة الإسلامية عامة والعقيدة الشيعية خاصة، لأنها الأساس الموجه لسلوك الإنسان، وما معاناة المسلمين اليوم مع الفئات الدينية المنحرفة إلا بسبب عقائدهم وسوء فهمهم لغايات وأهداف الدين الحنيف فتسببوا في تشويه معالمه.

قد يعترض البعض أن كتب الحديث تشتمل على تفصيلات يحتاجها المسلم ولم يفصّلها الكتاب الكريم، فتكون الأحاديث وسنة الرسول مكملة للكتاب الكريم. وهذه وجهة نظر صحيحة إلى حد ما ولكنها ليست حاسمة، فوجود نص نبوي لم يَحُل دون وجود الاختلاف في مجال العقيدة. فكثرة التفسيرات القرآنية التي وردتنا عبر كتب التاريخ والحديث جاءت متناقضة، يغالط بعضها البعض وفيها الكثير من الغلو والغيبيات التي لا تطمئن لها النفس. من هنا نجد أن الحوار الذي اعتمدناه مع الأستاذ ماجد الغرباوي جاء وفقا لمعطيات قرآنية – عقلية لا تجافي الصحيح من الأحاديث والسنة الشريفة، بعيدا عن التعصب والغلو، خاصة بالنسبة لمعتقدات الطائفة الشيعية حول أئمة أهل البيت ودورهم الرسالي.

لهذا نجده يدعو في هذا الحوار إلى حملة توعية كبرى تناقش من خلالها كافة المعتقدات الموروثة منذ مئات السنين لتنقيتها مما علق بها من خرافة وأسطرة جاءت بسبب السباق الطائفي المحموم الذي شهدته القرون الماضية لاثبات أحقية أشخاص دون سواهم فأورثنا هذا الفعل كثيرا من المعتقدات الخاطئة التي أصبحت الآن جزءا لا يتجزأ من فهمنا للدين والعقيدة الاسلامية. وأنا هنا لا أبرأ عقائد أية طائفة، ولكني أحيي الأستاذ ماجد الغرباوي في جرأته وقدرته على عبور كل الخطوط الحمراء التي وضعها رجال الدين، حينما تجاوزها بوعي بعيدا عن التعصب، فكان يرحب وهو يحاور بأية وجهة نظر لكنه يؤكد دائما: لسنا ملزمين بقبول كل ما يعتقده الآخرون، أو بعضه. لقد طرح آراءه بوضوح وشفافية مستدلا عليها بالقرآن الكريم، مرجعنا جميعا، وتبقى مسؤوليتنا مناقشة كل ما طرحه الاستاذ الغرباوي مناقشة هادئة شفافة بعيدا عن التعصب الأعمى والإنفعالات الطائفية التي أورثتنا الدمار والقتل .

هكذا كان هذا الكتاب نهاية حوارنا الذي كنا قد بدأناه مع الأستاذ ماجد الغرباوي وهو المحور الثالث ضمن ثلاثة محاور، تم نشر المحورين الأول والثاني منهما ضمن كتابنا الأول: (رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي) الذي صدر عن دار أمل الجديدة -سوريا، والذي تناولنا فيه موضوعات الفكر القومي ورهانات السلطة في العراق. وخصصنا المحور الثالث، أي هذا الكتاب، لمناقشة قضايا عقائدية مهمة، منها: المخلّص في الديانات الحديثة، والمهدي المنتظر في الدين الاسلامي،

والمرجعيات الدينية والتقليد، والخمس، والرجعة، ولذلك تقرر إصدارها في كتاب مستقل لأهميتها. وقد تناول الكتاب أيضا قضايا خلافية، حيث ناقشها الباحث والمفكر ماجد الغرباوي بموضوعية وحيادية استند فيها على التحليل العلمي والنصوص القرآنية بعيدا عن التعصب والانحياز. فحاكم جملة معتقدات يعتبرها الكثير منّا مسلمات لايرقى لها الشك. ودليله في ذلك كتاب الله والعقل وما صح من الأحاديث النبوية الشريفة.

لقد أجاب المفكر ماجد الغرباوي في هذا الحوار عن تساؤلات تمثل نبض الشارع الباحث عن الحقيقة وسط زحام الأفكار المتوارثة والأحاديث التي لم تعد مقنعة لجيل يعيش ثورة فكرية وعلمية وتكنلوجية كبيرة، وفي كل يوم يصطدم بالإرث واللامعقول الديني. للأسف الشديد رغم هذا التنوير لكن مازال بعضنا يتقمص دور شخصيات القرن الأول الهجري ويقتدي بهم صوريا ويقلدهم بعيدا عن جوهر عقيدتهم ودينهم ومستوى إيمانهم وفكرهم وعقائدهم التي يمكنه الارتكاز عليها. لكننا اضعنا الكثير بسبب التقليد الأعمى لرجل الدين.

لقد ناقش الباحث ماجد الغرباوي فكرة المخلّص في الديانات المأخوذة عن البوذية، وتناولها باسهاب مبيناً مضمونها. كما تطرق الحوار لقضية المهدي المنتظر عند المسلمين وتداعيات هذا المعتقد بين كونها فكرة تبعث على الأمل في تحقيق العدل الإلهي وبين كونها فكرة مثبطة للعزيمة. ومن هذا المنطلق تدرج الحديث إلى تاريخ المرجعية والمباني التي ارتكزت عليها مسألة التقليد.

لقد فتح الأستاذ ماجد الغرباوي الباب على مصراعيه في هذا الكتاب من خلال طروحاته الجريئة، التي قد تحدث هزة في الفكر الجمعي العقائدي للمسلمين عموما والشيعة منهم على وجه الخصوص، وستكون هناك ردود أفعال متباينة في قوتها واتجاهاتها ولكنها بالنتيجة ستصطدم بالعقل والمنطق بعد أن يدافع كل فريق عن طروحاته العقائدية بل وسيستميت البعض ممن تؤثر عليهم هذه الطروحات في نفيها واثبات الأفكار القديمة بنفس الأسلوب وليّ عنق الآيات لتتلائم مع طروحاتهم، ومايهمنا وجود حراك فكري وإشعال جذوة الحوار البنّاء للوقوف على الحقائق وإحداث حالة من التحرر الفكري الذي يجعل هذه المجتمعات المنغلقة تنظر إلى أفق جديد وإلى عالم آخذ بالازدهار وفق رؤى حديثة ومتطورة وتجعل من الإسلام دينا لحياة قابلة للتجدد واحتواء كل ماهو نافع للبشرية.

ماجد الغرباوي والاصلاح

هذا الحوار يقع ضمن المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي، وهو باحث متخصص في الدراسات الإسلامية، وأحد رجال الإصلاح الديني في العصر الحديث، من خلال كتبه وطروحاته الفكرية فيما يخص النهضة والتسامح الديني والثقافي، فطالما عالج موضوعات التخلّف الحضاري، العنف والإرهاب، الحركات الاسلامية ودورها السلبي في المجتمع، والعلاقة بين السياسة والدين. وأصدر سلسلة رواد الإصلاح للتعريف بمشاريعهم وأهدافهم

الإصلاحية، ومدى تأثيرهم في النهضة الإسلامية.

ولم يقتصر الغرباوي على ما تقدم بل راح يدعو علانية الى إعادة فهم الدين وفقا لضرورات الزمان والمكان ومتطلبات العصر والمجتمع والإنسان، والاستفادة من معطيات العلم وتراكم التجربة البشرية، كما دعا بصوت مرتفع الى إعادة النظر في فعلية الأحكام الشرعية، ومدى صلاحيتها بعد انتفاء موضوعاتها، وحذر علنا من تزوير الوعي ومكائد رجال الدين، وتوظيف الدين لمكاسب سياسية وأخرى شخصية أو أيديولوجية.

وهنا أعيد ما ذكرته في مقدمة الكتاب الأول: رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي، حول الأستاذ ماجد الغرباوي ليأخذ القارئ صورة واضحة عنه قبل قراءة الحوار:

ماجد الغرباوي مفكر وباحث، يسعى من خلال مشروعه الى: ترشيد الوعي بعد تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، عبر قراءة متجددة للنص الديني تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، كشرط أساس لنهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في إطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب.

وطالما أكد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف والسبل الكفيلة بالنهوض الحضاري: إن المشكلة الأساس وبالدرجة الأولى ثقافية، تتعلق ببنية العقل، والنظام المعرفي لشعوب المنطقة، لأنها القاعدة التي ترتكز اليها النهضة، أية نهضة كانت .

ويختلف ماجد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف وعوامل

النهضة الحضارية، حيث راح يتوغل في العقل والثقافة باحثا عن كيفية تكوّن البنى المعرفية وما هي المفاهيم والمقولات المؤسسة لها، فكان وما زال يؤكد على نقد جميع الثوابت والقناعات واعادة تفكيك العقل وبنائه وفق قيم ومقولات حضارية، لهذا أكد كثيرا على فهم الدين كمكون أساس لشعوبنا، فاعتبر الفهم الخاطئ للدين أحد الأسباب الرئيسية وراء تخلّف المسلمين حضاريا. وبهذا امتاز عن غيره من رواد النهضة بقدرته على التشخيص والنقد الذي يغور في أعماق الثقافة والفكر، فما عادت الأسباب المطروحة من قبل الرواد الآخرين كافية لوجود نهضة حقيقية بل ما زال الوضع ذاته اذا لم يكن أسوء مع ظهور حركات التكفير الديني .

أخيرا أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ ماجد الغرباوي على صبره وحلمه، وهو يجيب على أسئلة تمثّل خطوطا حمراء، ومناطق محرمة دينيا، كما أشكر كل من ساهم في صدور الكتاب، خاصة الأستاذ د. صالح الرزوق وما بذله من جهود مشكورة في مراجعة هذا الكتاب وسابقه لتدارك ما طرأ عليهما من هنّات لغوية. كما أشكر الاخ الأديب حمودي الكناني وجهده المشكور في مراجعة الكتاب لغويا أيضا، وصديقي الاعلامي اليمني علي الورقي الذي آزرني في كل مراحل الكتابين. والله ولي التوفيق.

طارق الكناني، كربلاء – العراق

10 – 4 - 2017م

حوار مع الأستاذ ماجد الغرباوي

حول مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني

حاوره: طارق الكناني

ماجد الغرباوي

- كاتب وباحث عراقي / أستراليا.
- مؤسس ورئيس تحرير صحيفة المثقف.
- مؤسس ورئيس مؤسسة المثقف العربي، في سيدني – أستراليا.
- كان رئيسا لتحرير مجلة التوحيد (الأعداد: 85 - 106).
- أصدر سلسلة رواد الإصلاح، وكان رئيساً لتحريرها.
- كان عضو الهيئة العلمية لكتاب التوحيد.
- شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية.
- مارس التدريس ضمن اختصاصه في المعاهد العلمية لسنوات عدّة.
- حائز على عدد من الجوائز النقدية والتقديرية عن أعماله العلمية.
- كتب عن منجزه الفكري والثقافي والأدبي عدد من النقّاد والباحثين العرب والأجانب.
- له 25 عملاً مطبوعاً، تأليفاً، وتحقيقاً، وحواراً، وترجمة، إضافة الى عدد كبير من الدراسات والبحوث والمقالات في مجلات وصحف ومواقع الكترونية مختلفة.

صدر له

- إشـــكاليات التجديـــد (3 طبعـــات)، 2000م، 2001م و2017م.
- التسـامح ومنـابع اللاتسـامح .. فـرص التعـايش بـين الأديـان والثقافات (طبعتان)، 2006م و2008م.
- تحديات العنف، 2009م.
- الضد النوعي للاستبداد .. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، 2010م.
- الشيخ محمد حسين النائيني .. منظّر الحركة الدستورية (طبعتان)، 1999م و2012م.
- الحركـات الإسـلامية.. قـراءة نقديـة في تجليـات الـوعي، 2015م.
- جدليـة السياسـة والـوعي.. قـراءة في تـداعيات السـلطة والحكم في العراق، 2016م.
- الشيخ المفيد وعلوم الحديث، 1992م.
- ترجمـة كتـاب الـدين والفكـر في شـراك الاسـتبداد، 2001م.
- تحقيق كتاب نهاية الدراية في علوم الحديث

كتب حوارات معه

- المرأة والقرآن .. حوار في إشكاليات التشريع / حاورته: د. ماجدة غضبان، 2015م.
- إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحضاري / حاوره: سلام البهية السماوي، 2016م.
- رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي/ حاوره: طارق الكناني، 2017م.
- مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني / حاوره: طارق الكناني، 2017م.

كتب صدرت عنه

- جدلية العنف والتسامح .. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي/ د. صالح الرزوق، 2016م.

في البدء.. قبل الحوار

يشهد تأريخ الفرق والمذاهب الكلامية أن العقائد تنشأ بسيطة ثم تنمو وتتطور. بعضها يقاوم وبعضها يضمحل، فالاعتقاد بأي عقيدة لا يدل على حقيقتها ومطابقتها للواقع دائما، ولا ينفي دور الوهم والعوامل النفسية والخارجية في تشكيلها، وهذا مبرر موضوعي يسمح بنقدها ومراجعتها للكشف عن تاريخيتها وزيفها وحجم الوهم والمؤثرات الآيديولوجية والطائفية في صياغتها. فيخطئ من يؤمن بثبات العقيدة، أو ينفي تطورها وتاريخيتها. من هنا استهدف الحوار عقائد المسلمين عامة وعقائد الشيعة خاصة، نقدا وتقويما، وفق منهج علمي موضوعي ارتكز لمرجعية القرآن والعقل والصحيح من السيرة، بعيدا عن التحيزات الطائفية، مع احترام كامل لإيمان الناس وعقائدهم. وأجوبة هذا الحوار تمثّل وجهة نظر خاصة، علها تزعزع يقينيات كانت وما تزال تجافي الحقيقة، ومنطق العقل. ويبقى الرهان على الوعي ويقظته في استيعاب ما جاء فيه من أفكار. فالخلاف سيكون مع بعض القرّاء في المبنى والمنهج، خاصة وإن منهج الحوار جعل القرآن والعقل مرجعيته الأولى، فتكون علاقة الروايات بهما علاقة طولية. مع التأكيد على تاريخية العقائد واستجابتها المتواصلة لوعي الفرد والعقل الجمعي، ومتطلبات المرحلة، أيديولوجيا وطائفيا.

وما يبرر النقد أيضاً أن العقيدة منظومة فكرية توجّه وعي الفرد. يتأتى الإيمان بها عبر تراكمات لا شعورية، نفسية – ثقافية، هي سر تفاوته من شخص إلى آخر. فتؤثر في تكوينه جميع المؤثرات النفسية والسلوكية والاجتماعية والسياسية

والعلميـة والثقافيـة والتربويـة، ومنهـا ذات العقيـدة وقـوة رمزيتهـا وإيحاءاتها وحجم تأثّر العقل الجمعي بها، لذا يكتسب النقد صفة الضرورة ليحد من تمادي العقيدة على حساب المبادئ الأصيلة.

كما تساهم ممارسة الطقوس، والشعارات وإحياء المناسبات في ترسيخ الإيمان بها، فيلعب دورا فعّالا في تأسيس بنية معرفية يترشّح عنهـا منظومـة أفكـار وتصـورات ومعتقـدات تغـذّي الخيـال حـداً يمكنـه مقاومـة الانهيـارات المفاجئـة لصـدقية حقيقتـه، مـن خـلال إعـادة تشـكيل وبنـاء العقيـدة في ضـوء قبليـات الإنسـان وحاجاتـه وضـروراته وتطلعاتـه، خاصـة في مجـال العقائـد الدينيـة والمواقـف الآيديولوجية. فالعقيـدة تنمـو في أحضـان الإيمـان ودفئـه، وقـد تلتـف على معطيات العلوم والاكتشافات المعرفية وتوظفها لترسيخ أسـس الإيمـان بهـا، وتحصـين ذاتهـا بأسـيجة تضـمن بقاءهـا حيـة فاعلـة، كقداسة وعصمة الرموز التاريخية. فثمة جدل متواصل بين الإيمان وبيئتـه لتجديـد فاعليتـه علـى مسـتوى السـلوك والأخـلاق والـوعي، بدوافع آيديولوجية، لتبقى العقيدة سلطة توجه وعي الفرد وتـؤثر في فهم الواقع. فالصورة الذهنية للعقيدة وليـدة إيمـان الفـرد وضـروراته ومصادر معرفته. يتجسـد ذلـك في التقاطعـات الحـادة حـول مفـردات العقيـدة. وعـدم تـأثر الإيمـان بالكشـوفات المعرفيـة. وطالمـا مـارس الناس طقوسا رغم مخالفتها للعقـل والـذوق العـام. وهـذا أيضـا مـبرر شجعنا على مواصلة النقد.

ماجد الغرباوي

المحور الأول

المخلّص .. المفهوم والمصداق

جذور الفكرة

س1: طارق الكناني: في كل الديانات نجد فكرة المخلّص المنتظر موجودة، وتأخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام، ويركز عليها رجال الدين بشكل مكثف لأغراض نعرفها، منها انتظار العدالة المفقودة التي تعاني منها المجتمعات. هل هذه الفكرة تدعم الإنسان كإنسان يريد أن يحيا على هذه الأرض ويحقق ما يصبو إليه من ملذات العيش الرغيد أم هي فكرة لتخدير الإنسان وجعله يجتر الظلم دون أن يحرك ساكناً بانتظار ظهورالمخلّص؟

ج1: ماجد الغرباوي: المخلّص فكرة قديمة، ذات رؤية كونية، تجدها واضحة في تراث الديانات الكبرى كـ"المسيح" عند اليهود، و"يسوع" لدى المسيحيين، و"المهدي" في تراث المسلمين، مع اختلاف في تفاصيل شخصيته، فهو حيّ وما يزال لدى الشيعة، وسيولد مستقبلاً عند مذاهب أخرى.

تُلخص الفكرة في أحد بُعديّها تطلّع الإنسان لقيام مجتمع العدل على يدِ شخصيةٍ تتسم بفرادة الصفات، سواء كان مسدداً ووعداً من اللّه كما بالنسبة لنظرة الأديان، أو سواء كان بذاته يملك مقومات الشخصية المثالية. وهذا ليس مهما بقدر تطلع الإنسان لعالم يسوده العدل، تختفي فيه فوارق الطبقية والتعسف الاجتماعي، ويعيش المرء في ظلّه سعادة حقيقية، بعد تلاشى مظاهر الظلم والعدوان والاستغلال التي عانى منها طويلا وما يزال يعاني رغم جسامة التضحيات للتحرر من سطوتها. فالآمال منعقدة على ظهوره.

وفي بعدها الآخر تكشف الفكرة عن شعور عميق بالعجز أمام المحن والأهوال والمصائب والظلم والعدوان.

إن انتظار الإنسان لمن يخلّصه تعبير آخر عن عجزه وضعفه. وتكاد القناعة بالمخلّص لدى بعض الناس أقوى من أي قناعة أخرى، كأمل مفتوح على العالم والوجود والآخرة للمؤمنين بها. فلا يعتريهم شك بذات العقيدة، إلا في حدود التفاصيل الثانوية. فوجوده من هذه الزاوية ضرورة لا تقبل النقاش، لتفادي الانهيارات النفسية، وتبرير تقاعسهم عن مسؤوليات الحياة ومستقبل أبنائهم. فالأمل معقود عليه في حياة ناعمة تعويضا عن شقائهم وحرمانهم. وهذا بعد سلبي مخدّر، لا يساهم في بناء شخصية متوازنة.

س2: طارق الكناني: هل هذا يعني أنها فكرة مثبطة للعزائم؟. ألا يوجد فيها جانب مشرق كالسعي لقيام دولة العدل الإلهي؟ ألا توجد قراءات أخرى غير هذه القراءة السلبية، مثلا قيام دولة على غرار الدولة المنشودة (دولة العدل الإلهي) لتكون نموذجاً؟

ج2: ماجد الغرباوي: حاول بعض الباحثين الهروب من إشكالية التخدير والتقاعس في انتظار المخلّص إلى ما أسماه بالانتظار الإيجابي، الذي يدفع بتجاه العمل الصالح من أجل ظهور المهدي، والتوطئة لدولته، دولة العدل الإلهي. لا شك أن الانتظار الإيجابي أهون من الانتظار السلبي، أعني انتظار الإنسان متقاعسا عن مسؤولياته التأريخية على أمل ظهور مخلّص يقلب الحياة حقل سعادة وأمان ورفاه وعزة وكرامة.

لقد روى الفريق الأول أحاديث كثيرة تعزز موقفهم، حتى راح بعضها يدين قيام أي دولة قبل ظهور المخلّص، أو المهدي المنتظر، في خطوة لشرعنة تقاعسهم، وتأجيل المسؤوليات لما بعد الظهور (إن كل راية قبل راية قائمنا فهي راية ضلال). وتخلّى آخرون عن فكرة الثآر بانتظار أن يقتص المهدي من المجرمين بعد عودتهم للحياة الدنيا ثانية. فالرموز البشرية الكبيرة ستعود، وفقا لعقيدتهم، للحياة بعد ظهوره ليقتص منهم المهدي بعد محاكمتهم. ويصطلح عليه بـ (الرجعة)، وإيمانهم بها راسخ حدّاً كفّر بعضهم من لا يؤمن بها. وقد عاصرت حركة الحجتية في إيران التي كانت ترى في الفساد والإفساد مسؤولية شرعية من أجل التوطئة للمهدي الموعود!!، فكانوا يرتكبون الموبقات والمحرمات بما فيها القتل، كي يظهر المخلّص أو المهدي المنتظر ويملأ الدنيا عدلاً وقسطاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً، وبالفعل أدانتهم المحكمة الإيرانية بقتل المفكر الكبير الشيخ مرتضى مطهري. فالظلم والجور والفساد مقدمة حتمية لظهوره، أو شرط لظهوره، وما لم ينتشر الفساد وتنعدم العدالة كليا لن يظهر المخلّص، فواجبهم إشاعة الفساد والمنكر كمقدمة لظهوره!!.

لاحظ أي فكر سقيم بعيد كل البعد عن الدين والأخلاق والضمير والإنسانية؟؟. وقد امتدت هذه الحركات لدولٍ أخرى مثل العراق للأسف الشديد، والآن هناك حركات تقول (نرتكب المعاصي لنعجّل بظهور الحجة المنتظر أي الإمام المهدي)، وربما تجد الفكرة ذاتها في الأوساط الشيعية المنتشرة في أنحاء العالم.

س3: طارق الكناني: من الواضح أن فكرة الانتظار انقلبت إلى فكرة هدّامة تسببت في تداعيات خطيرة على المجتمعات. وسؤالي: عندما تخرج فئات تطالب باشاعة الفساد في المجتمع بغية ظهور الحجة هل استندوا في تبني هذه الفكرة على مبنى فقهي أو حديث معين يدعم هذه العقيدة؟.

ج3: ماجد الغرباوي: لا شك أن تداعيات هذا اللون من التفكير خطيرة، تتنافى مع الهداية التي هي مسؤولية المهدي أساسا. فشرط خروجه (أي انتشار الظلم والفساد كما جاء في الخبر) لا يبرر ارتكاب جرائم وموبقات بحجة التوطئة للمهدي، ولا يكون معذرا للفرد يوم القيامة إطلاقا: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

المقصود من الشرط المتقدم أن ظهوره سيصبح ضرورة حينما يسود الظلم بسبب الظالمين، وينتشر الفساد بفعل الفاسدين، فيظهر ليقيم دولة العدل الإلهي، وينصف المظلومين، ويردع الفاسدين، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلما وجورا. فالظلم والفساد متحققان بفعل سلوك المجتمع بعيدا عن ضوابط الدين والأخلاق، لا أن يرتكب الإنسان المؤمن والملتزم الموبقات عن قصد وإرادة، ويمارس الظلم بحجة التوطئة لظهور المهدي!!. هذا يتنافى مع قيم الدين ومبادئه، ويتنافى مع الآية الكريمة، ولم يأمر به الدين الحنيف ولا تعاليم الأنبياء والمرسلين، بل هي نزعات

شيطانية وحجج لممارسة الفسوق والظلم والاعتداء والتجاوز على الناس وحرماتهم. إنه تفكير منحرف ليس له أساس ديني أو أخلاقي. (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

ثم هل كل هذا فقط لأن المهدي من سلالة الرسول؟ فهل يعني أن المسألة عنصرية، بينما خلق الله الناس جميعا من نفس واحدة، ولا خصوصية لأحد. وما نحتاجه اليوم مهديا من عصرنا يفهم متطلباتنا وحاجاتنا، يأخذ بأيدي الناس نحو الصلاح. ومن يدعو للمهدي فليبين للناس مشروعه الذي لا يضاهيه أي مشروع وضعي كما يقولون، وعليه عدم تجاهل المنجز البشري، خاصة الحضارات المتقدمة، كي يكون لظهوره مبررا حقيقيا. فقد قطع الغرب شوطا كبيرا على مسار الرقي الإنساني بينما ثمة من ينتظر رجلا يخرج من أعماق الغيب والتاريخ يصنع كل ما صنعه الإنسان!!. كم أتمنى أن يعي الناس حقيقة عقائدهم وجدواها، ويسعوا لنهضة حقيقية تضعهم في مسار الحضارات.

أعود لسؤالك: في التراث الإسلامي للأسف الشديد كل ما يشتهي ويرغب الغلاة، وما من فكرة إلا ويسعفك التراث بنصوص كافية، وهي نصوص موضوعة، تنسب زورا للنبي وأهل البيت. وفكرة التوطئة من خلال إشاعة الفساد هي لازم بعض روايات اعتبرت الفساد شرطا لظهوره.

تداعيات الانتظار

س4: طارق الكناني: أفهم من كلامك أنك تعارض عقيدة الانتظار؟ فهل هناك تداعيات سلبية أخرى لهذه الفكرة؟

ج4: ماجد الغرباوي: الناس أحرار فيما يعتقدون، وأنا أحترم عقائدهم، غير أني أرصد تداعيات العقائد وما تتركه من آثار سلبية أو إيجابية على سلوك ومشاعر الفرد والمجتمع، وهذا حقي كباحث يشعر بالمسؤولية تجاه دينه وشعبه ووطنه، بل مسؤوليتي كمثقف انتشال الوعي من الرثاثة والخمول والعودة به إلى أفق العقل والعقلانية والتعامل مع الأشياء بواقعية ومنطق سليم. وأنا كائن مسكون بالأسئلة منذ وعيت مسؤوليتي ودوري في الحياة، وهذه القضايا أصبحت بمرور الأيام جزءا من مشاغلي لأكثر من 30 عاما، لأنها ضمن الدراسات الإسلامية التي هي تخصصي.

فكرة انتظار المخلّص أو المهدي فكرة جميلة، تعبّر عن طموح الإنسان لإقامة مجتمع مثالي، وربما تدفعه لتحقيقه. لكنها فكرة سلبية، على مستوى المجتمع والأمة، تدعو للتقاعس والتخلي عن المسؤوليات المناطة بالإنسان الذي اختاره اللّه تعالى خليفة له في أرضه. وقد كلّفت الناس كرامتهم وحيثياتهم، وزرعت فيها روح اليأس والإحباط وعدم الثقة بقدراتهم على بناء حضارة أسوة بالشعوب المتقدمة، وراحوا منذ العصر الأول للإسلام ينتظرون وما زالوا في حالة بؤس وحرمان وفقر بانتظار المهدي أو المخلّص، حتى اضطروا للإيمان بقضايا غير ممكنة واقعاً لتبرير الانتظار،

وأدمنوا أحلاما وأوهاما في مجتمع مثالي بعد ظهور المهدي. فالأمم تعيش الرفاه والسعادة بجهود شعوبها، وهناك مجتمع متقاعس لا يحرك ساكنا بانتظار المهدي يحقق أمنياته.

كلما أتذكر أحداث الزرقاء في مدينة النجف بالعراق (2007م) أشعر بالإحباط لانتكاسة الوعي الجمعي حدّاً لا يمكن السكوت عليه. حيث أقدم 400 شاب على الموت ضمن (حركة جند السماء المسلحة)، تمهيدا للمهدي، فقُتلوا في ساحة المعركة خلال ساعات!! ... 400 شاب لو توفرت لهم فرصة تثقيفية واعية، واحتضنتهم بيئة سليمة، نقية من الخرافات، لكانوا ثروة لبلادهم ومستقبلهم، غير أن الإحباط خطفهم والخرافة دفعتهم نحو الموت مستسلمين على أمل أن يحققوا إحدى اثنتين، إما النصر أو الشهادة. وماذا تقول بأكثر من خمسين فصيلاً مسلحاً في العراق الآن بحجة محاربة داعش الذي استباح الأراضي العراقية كلاً يريد أن يوطأ للمهدي الموعود؟ كيف سيكون مستقبل البلد والسلاح بيد هؤلاء الناس المخدوعين؟ إنها كارثة ساعدت على انتشارها مصالح سياسية وأخرى طائفية.

ينبغي عزل الفكر المغالي عن مجتمع يروم التطور والرقي، إنه فكر خرافي، وليد ثقافة سقيمة، ساهمت في تشكيله مختلف الظروف والتحديات، فلعب وما يزال دورا سلبياً في تزوير الوعي، وتعبئة الناس بالكراهية والحقد. كما يتقاطع مع مبادئ الإنسان، ومستقبله في ظل تعدد الثقافات. فهو فكر أحادي، يكرس مفاهيم تفرض سلطتها بالعنف والقمع، وهذا مكمن خطرها.

س5: طارق الكناني: لسنا الأمة الوحيدة التي تؤمن بظهور المخلّص لماذا لا نرى هذه الآثار السلبية التي تعج بها بلادنا في الدول الأوربية وهم أيضا يؤمنون بظهور هذا المخلّص، أيا كان شكله واسمه وطريقة ظهوره فالفكرة واحدة؟

ج5: ماجد الغرباوي: الغرب يختلف عنا في علاقته بالدين والغيب، فمنذ اقصاء الكنيسة عن الحياة عامة والسياسية خاصة انطلقت الشعوب الأوربية نحو العلم والمعرفة وتطوير الحياة، فأخضعت كل شيء للتجربة والعقل، وراحت تبحث عن الأسباب الكامنة في الكون بعيدا عن التفسيرات الغيبية فأصابت الهدف وحققت نتائج مبهرة في الحياة، بعد ما اكتشفت القوانين المنظّمة للكون، وكيفية ترابطها. وصار العالم برمته مدينا لاكتشافاتهم. أما شعوبنا فمسكونة بالغيب، بعد أن وجدت فيه حلا سحريا لكل مشاكل الحياة، ووجدوا فيه تبريرا لكسلهم وتقاعسهم، فراحوا ينتظرون الغيب ليحل مشاكلهم أو يجزيهم يوم القيامة جنات عدن بدلا من معاناتهم!!. نحن شعب نكره الجد والمثابرة، ونتمنى الأشياء جاهزة، بلا تعب ومعاناة خلافا لسنن الحياة، وننتظر حلول وتسويات الغيب لمشاكلنا بالدعاء، فانتهى بنا الأمر مستَعمَرين لدول الغرب إقتصاديا وصناعيا وتكنلوجيا. الغرب يتقدم على مختلف أصعدة الحياة ويقيم أفضل الأنظمة السياسية في ظل مجتمعات مدنية، ونحن ننتظر المهدي ودولة العدل الإلهي الموعودة!!. نحن مجتمع قطيع ترنو عيناه لرعاته ومن يقود مسيرته. لا أدري لماذا ننتظر مخلّصا والعالم الغربي حقق كل شيء بما فيها

العدالة التي يبكي عليها الشرق؟ هل حققوا كل هذا بواسطة مخلّص ومهدي أم بجهودهم وسعيهم وتفهمهم وكفاحهم المرير والآن يعيشون عيشة كريمة؟؟. ما نحتاجه راهنا إعادة النظر بوعينا وثقافتنا كي نتخلّص من روح التبعية والانقياد بثقة عالية.

العدالة رهن من يسعى لتحقيقها، بعيدا عن الانتظار لينعم بها ويسود العدل مفاصل الحياة في بلاده. ومن له حقوق عليه انتزاعها بنفسه فلا أحد يعيدها له.

حدثني شخص عن حرارة شوقه لظهور المهدي ودولته دولة العدل والإنصاف!!. فسألته عن سبب الانتظار؟ قال: أنتظر سيادة العدالة بعد اختفاء الظلم، والحصول على حقوقنا والمحافظة على كرامتنا وحيثيتنا، بعد تلاشي مظاهر الفقر والعوز، وتحقيق الضمان الاجتماعي والأمني. فقلت له: مطالب مشروعة، لكن أسألك أليس كل ما تطلبه تعيشه الآن فعلا وعملا في أستراليا؟؟ هل ما حققه هذا البلد كان على يد المهدي أم على يد شعب ناضل وحقق كل هذه المعجزات؟ أليس لديك ضمان اجتماعي وصحي، وحرية كاملة للعقيدة والرأي والتعبير، وتداول سلمي للسلطة؟. لا استبداد، لا دكتاتورية، تقف أنت والحاكم معا أمام القضاء .. فبهت الرجل كأنه لم يعلم بهذا من قبل!. لكنه لم يسكت، فقال هذا صحيح، لكن ما سيحصل مع المهدي شيء آخر. طالبته بالتوضيح، فراح يتعثر بكلامه لا يدري ماذا يقول. لم أتفاجأ بارتباكه، وتفهّمت موقفه جيداً: (الاعتراف بالحقيقة يقتل الأمل). والإنسان مستعد للتضحية من أجل بقاء الأمل شعلة وقّادة في نفسه،

خاصة ما يخص الجانب الديني واليوم الآخر وتحديات الصراعات الطائفية والمذهبية. فظهور المهدي في عقيدة بعض المسلمين تؤثر في مستقبل الإنسان ومصيره في الآخرة فضلا عن مختلف تأثيراتها في الدنيا. فهناك جملة أشياء تتوقف على ظهور المهدي المنتظر، لا فقط إقامة دولة العدل الإلهي.

والأدهش ثمة من يعتقد بتوقف الوجود على وجوده!!. لا باعتباره المهدي المنتظر هذه المرة بل باعتباره أحد علل الوجود أو واسطة ضمن وسائط الفيض، حسب بعض النظريات الشيعية!!. فهناك تمادي في أسطرة المهدي أو المخلّص في الخيال الشعبي الشيعي، يؤثر باستمرار في الوعي الجمعي، وتترتب عليه نتائج خطيرة عندما تمس قداسة الخالق جل وعلا. الشيعة أسقطوا على المهدي كل أوهامهم وآمالهم، حتى غدت حقيقة راسخة، بل بديهية يستفزهم من يشكك بها. بل بعض الناس يرسم للمهدي صورة أسطورية تشابه صورة الخالق في قدراته الخارقة، أو كأنه دائرة داخل دائرة أكبر في تسيير شؤون الخلق.

معنى الخلاص

س6: **طارق الكناني: نعود لفكرة الخلاص التي جاءت بها البوذية وأخذتها عنها المسيحية، فرغم أن لفظ الخلاص لم يرد في القرآن الكريم إلا أننا نجد المسلمين قد تشبثوا به من خلال تقليدهم لمراجعهم الدينية والتمسك بكل الفتاوى التي تصدر عنهم. وأسوق هنا أمثلة عديدة، تشترك بها كافة المذاهب الإسلامية دون تخصيص. فمثلا فتاوى العمليات الانتحارية والتي أطلق عليها (العمليات الجهادية) نجدها في كل المذاهب دون استثناء وكذلك فتوى الجهاد الكفائي (فالفتوى التي أصدرها المرجع الشيعي السيد علي السيستاني لمحاربة داعش) حيث تم إحصاء ثلاثة ملايين متطوع في يومين عند صدور الفتوى، استعدادا للقتال ضد داعش الذي اجتاح الأراضي العراقية، ولم تحدث حالة إنهزام واحدة خلال تأدية مهامهم القتالية. في حين شهد الجيش حالة انهزام كبرى.**

وهذا المعنى يتجسد أيضا خلال زيارة الإمام الحسين في مدينة كربلاء – العراق. خاصة الزيارات الأربعينية، حيث ترى الناس يبذلون الغالي والنفيس في سبيل توفير الطعام والمسكن لأناس لايعرفونهم، فيستضيفونهم في دورهم ويسهرون على راحتهم اعتقاداً منهم – وبحسب الروايات الواردة في تراثهم - أنها ستكتب لهم حسنات يجازيهم الله تعالى عليها يوم القيامة، وهم على يقين بذلك. لكن نفس هذا الإنسان الذي يبذل الملايين في

سبيل الحسين، لا يتصدق على فقير يطلب منه المساعدة بـ (ربع دينار)، وربما يتخلى عن شراء علبة مناديل ورقية من بائع متجول فقير بسبب تفاوت السعر بمبلغ بسيط جدا....

والسؤال: هل تعتقد أن هذه الحالة داعمة للروح الإنسانية؟

ج6: ماجد الغرباوي: قبل الإجابة على السؤال أتوقف مع مقدمته لتتضح الإجابة بشكل جلي. ذكرت: (فرغم أن لفظ الخلاص لم يرد في القرآن الكريم إلا أننا نجد المسلمين قد تشبثوا به من خلال تقليدهم لمراجعهم الدينية والتمسك بكل الفتاوى التي تصدر عنهم.).

فكرة الخلاص لدى الأديان الأخرى تختلف من حيث المعنى عما جاء في تراث المسلمين، فهي في الديانة المسيحية مثلا تفترض وجود خطيئة تستحق العقوبة، ووجود من يفتديها تكفيرا عن مرتكبها، فيتحمّل الأول آلام الفداء من أجل براءة وخلاص الثاني (مرتكب الخطيئة). والخطايا عندهم على شكلين: إحدهما خطيئة أبدية، عندما خالف آدم ربه وأكل من الشجرة، فخرج من الجنة عقوبة له، فتوارثت البشرية خطيئته، وستبقى إلى يوم القيامة تتحمل وزرها ما لم تجد من يضحّي ويخلّصها من عقاب اليوم الآخر، فكان المنقذ والمخلّص عيسى النبي الكريم، عندما افتدى بنفسه خطيئة المسيحيين، وتحّمل وحده آلام الصلب، من أجل براءتهم وغفران ذنوبهم. لذا يعتقد المسيحيون: (بأن أمَم الأرض عليها أن تخضع لابن الرب يسوع الذي صلب نفسه فداء للبشر وتكفيرًا عن خطايَاهم).

وأيضا هناك خطيئة السلوك اليومي التي يمكنه تكفيرها بالاعتراف بين يدي الكاهن في باحة الكنيسة، فتبرأ ذمته.

فكرة الخلاص متوارثة عن ديانات وشعوب أخرى كالبوذية. ولازمها – وهذا ما يهمنا – أن يتحمّل أو يفتدي شخص عقوبة شخص آخر، مما ينافي المبدأ العقلائي والقرآني القائل: (لا تزر وازرة وزر أخرى). فإذا أخطأ آدم ما ذنب البشرية تتحمل وزر خطيئته الى يوم القيامة، ثم تضطر للبحث عن منقذ يخلّصها .. يفدي نفسه لأجلها؟. ومتى شهد أبناء آدم جناية أبيهم كي يؤآخذوا بجريرته؟ ثم آدم لم يخطأ خطأ سرمديا، بل اكتشف خطأه فأناب الى الله تعالى وغفر له، وانتهى الأمر كي يبقى هو وعمله، أسوة بغيره من البشر. ثم أين ذهبت رحمة الله وعفوه ومغفرته التي يتحدث عنها في جميع كتبه؟ فكلامهم مخالف للعدالة والمنطق والعقل. الشخص لا يؤخذ بجريرة غيره، قانون تسالمت عليه البشرية وفقا لمنطق العدل ما عدا الشعوب القبلية والهمجية التي تستبيح دماء عشيرة الجاني، بلا ذنب اقترفوه سوى انتماء الجاني لعشيرتهم. والقرآن الكريم يؤكد: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ". ولا يمكن الاستدلال بفداء إسماعيل لتبرير الفداء الكنسي أو أي فداء آخر، فما فعله إبراهيم كان شيئا مختلفا تماما لا علاقة له بهذا الموضوع. إبراهيم تعرّض لامتحان في يقينه، ففدى الله عزوجل إسماعيل بذبح عظيم، كي يصدق إبراهيم وعده ولا يذبح إسماعيل. فإسماعيل لم يذنب كي يستحق العقوبة ويحتاج من يخلّصه، كل ما في الأمر أنه اختبار

عملي لتقوى إبراهيم الخليل وبر وطاعة إسماعيل لأبيه، وقد نجح فعلا، لهذا جاء الفداء مناسبا، بكبش يُذبح ويُستفاد منه، ولم يتقدم أي شخص لتخليصه فداء عنه كي يمكن الاستدلال به على شرعية الفداء الكنسي.

وثانيا ما ذنب النبي عيسى يتحمّل وزر مَن أخطأ، والله يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)؟ بل هو منطق العدل والعقل أيضا. فالآية إذاً تنسف شرعية فكرة الخلاص والفداء جملة وتفصيلا. وبهذا يتضح أن ما ذكرته في السؤال يتنافى مع منطق القرآن الكريم.

هذا إضافة للمعنى العام للخلاص، ويقصد به انتظار من يخلّص الشعوب المضطهدة من الظلم والعدوان، ويقيم العدالة، وينشر السعادة والرفاه، وتعيش الشعوب في ظله حياة جديدة.

س7: طارق الكناني: هل تعني أنها لا تستبطن فكرة الخلاص إطلاقا؟ وماذا عن أمثلة السؤال المتقدم؟

ج7: ماجد الغرباوي: أما ما ذكرته من أمثلة حول استجابة الناس لفتاوى مراجع الدين، واندفاعهم للموت، والاستشهاد تلبية لنداءات الرموز الدينية الكبيرة، فلا يستبطن فكرة الخلاص أو الفداء، والمسلم لا يعتقد بها كما يعتقد بها المسيحيون. المسلم وفقا لعقيدة القرآن يؤمن أن مدار الثواب والعقاب على العمل، ويأمل إضافة لعمله شموله بالشفاعة يوم القيامة. ولا يقصد بالشفاعة تحمّل الشفيع وزر عمل المشفوع له، بل ينتظر عفو الله عزوجل وسقوط العقوبة إكراما للشفيع، ويبقى هو المسؤول عن عمله.

(كل نفس بما كسبت رهينة).

الشفاعة قرآنيا منضبطة وفقا لمحددات تحدثت عنها آيات أخرى. فبعض الذنوب لا تُغتفر ولا تنفع معها شفاعة الشافعين، وليس الأمر فوضى كما يحلو لهم. هذا أولا.

وثانيا: إن الذين ذكرتهم في سؤالك، يتعاطون مع الفتاوى والنداءات الدينية كواجبات شرعية مقدسة يجب تنفيذها. وكغيرها من الأحكام الشرعية، تستوجب مخالفتها العقوبة والعذاب. ويمثل المرجع الديني بالنسبة لهم مطلق الشرعية، فيجب عليهم طاعته وفقا لنظرية الإمامة عند الشيعة (إنما أقول الشيعة انسجاما مع أمثلة السؤال التي هي أمثلة شيعية)، بل هم لا يعرفون مصدرا آخر للأحكام الشرعية سواه، ولا يعترفون بقيادة شخص ما عداه. لذا تجدهم أكثر ثباتا في المعارك، وأسخى في العطاء والكرم لإحياء تلك المناسبات والشعائر (التي ذكرتها في السؤال). فالفرق بين المتطوع استجابة لفتوى دينية والجندي العسكري، أن الأول ليس مجبرا على اقتحام المعارك، وقد تطوع بكامل إرادته انطلاقا من إيمانه ويقينه بصحة عمله، لا ينتابه شك بقدسية مهمته والثواب الذي ينتظره. عكس الثاني، المجبر على فعله بحكم وظيفته، فتراه يتجنب المخاطر التي يقتحمها الأول بإيمان ثابت. وهذا فارق جوهري، وهما المثالان اللذان ذكرتهما في سؤالك.

وأيضا ما تلاهما من أمثلة السخاء والكرم في إحياء المراسم الدينية والحسينية خاصة. فهو ينفق بكل سخاء إنطلاقا من يقينه

بجدوى الإنفاق وعظمة أجره، خاصة والروايات الدينية تعزز هذه العقيدة، أضف إلى ذلك خطاب المنبر الحسيني الذي يُلهب المشاعر في ظل أجواء الفجيعة والحزن، وما يحف به من أحلام وحكايات وشواهد يرددها الناس في كل مكان. وهذا يجعله يستهين بالأجر القرآني في مقابل الأجر الحسيني!!!. بل ويتهاوى أمامه الإغراء القرآني، فالقرآن الكريم يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. فما قيمة العشر أمثال وهناك روايات تؤكد من بكى أو تباكى على الإمام الحسين تتساقط عنه جميع ذنوبه ولو كانت بعدد الحصى و.. و..، وله من الأجر... (ثم تبدأ الرواية بعرض ما ينتظره من ثواب وجنان وحوريات يوم القيامة، وهي عروض مذهلة لمجرد سقوط دمعة أو محاولة سقوطها!!!!!)، فكيف بالإنفاق والبكاء والعويل واللطم والضرب على الرأس والإطعام، فلا شك ثوابها وفقا لهذا المنطق بلا حدود، مهما امتد به خيال المستمعين. فهل من المعقول أن يغامر بالتصدّق على الفقير من أجل عشر حسنات (كما ذكرت في السؤال) ويترك كل ما ينتظره من جنات وحوريات ونعيم إذا أنفق من أجل الحسين؟؟!!!. بلا شك لا يُصدق الإنسان العادي، الطيب، البسيط، الذي تنطلي عليه تزويرات الحقيقة، فيندفع بهذا الإيمان ويبذل الغالي والنفيس لضمان أجر يعوض به شقاءه وأحزانه. هذه الحقيقة المرة هي التي تتحكم بالناس اليوم، وهي الوتر الذي يعزف عليه رجل الدين المخادع من أجل مصالحه. فيهمه جدا بقاء الناس في جهل وغفلة، كي ترتوي جيوبه من عرق جبينهم، ويغدو وعائلته في نعيم وسرور على حساب شقائهم

وتعاستهم. نحن بحاجة لوعي يمزق جدار الصمت، يفضح الكذب والتزوير وينطق بالحقيقة بصوت مرتفع يزعزع عروش بعض رجال الدين المهيمنة على عقول الناس البسطاء. أي استهانة بالعمل الصالح بحيث قطرة دمع على الإمام الحسين لا يحصى ثوابها بينما الأعمال الصالحة الحقيقية لا قيمة لها بنظرهم؟؟ بأي منطق هؤلاء يؤسسون لوعي زائف؟ لماذا لا يحد إيمانهم بالقرآن الكريم تماديهم لو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ ألم يقل الباري تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ). (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

س8: طارق الكناني: لكن هل هي دوافع إيمانية خالصة أم هناك دوافع أخرى بنظرك وراء هذه التبرعات؟

ج8: ماجد الغرباوي: أكيد توجد دوافع أخرى، فلا تنسَ حاجة الإنسان للاعتراف به، وتأكيد ذاته، وولعه بحب الظهور والتباهي والرياء والوجاهة، فهو يبذل ما بوسعه كي يؤكد حضوره الاجتماعي ويحرص على رقيه من خلال سلوكه واستغلاله للمناسبات العامة. فالتصدق على الفقير عمل محصور بينه وبين ربه لا يجني منه سوى مرضاة الله التي لم تترسخ في قلبه كإيمان حقيقي يدفع الإنسان باتجاه العمل الصالح. وهذا ما يميز المؤمن الصادق عن

غيره، فالأول يتعامل مع اللّه حقيقة ماثلة أمامه، بينما الثاني يخالط الشك إرادته حينما يتصدق سرا لا علانية. فنفس هذا الشخص الذي يرفض التصدّق بربع دينار على الفقير سرا، مستعد للتصدّق عليه أضعاف هذا المبلغ علنا كي يتباهى أمام الآخرين ويحقق ما يصبو له من اعتراف اجتماعي هو بحاجة ماسة له، خاصة من يبحث عن مجد وهو خالي الوفاض، أو تستوطنه عقد نفسية مدمرة!!. فلا تستغرب التبرعات الهائلة والخدمات الكبيرة، فهناك دوافع مختلفة وراءها ربما التقرب للّه تعالى آخر ما يفكر به بعضهم، بل ويصدق عليها مفهوم الرياء المحرّم شرعا، لكنه لا يبالي. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).

هذا الكلام لا ينفي وجود نفوس خيّرة تجود بما تملك من أجل الخير والعطاء، وتحسب أن الإنفاق على الإمام الحسين وشعائره وطقوسه مصداقا بارزا للعمل الصالح، فيستحضر القربى عند أداء عمله وإنفاقه، فهو شخص صادق النية، لا يرتاب ولا يتباهى ويبغي مرضاة اللّه تعالى والحسين عنه.

فليست فكرة الفداء الكنسي وراء دوافع الأمثلة المذكورة في السؤال، بل دوافعها إما تقربا للّه تعالى أو طاعة لرجل الدين أو حبا بالخير أو رياء أمام الناس. نعم هناك مفهوم الشفاعة عند الشيعة، الذي يقترب من فكرة الفداء الكنسي بفلسفة أخرى. فينفق من

أجل الحسين أو للتقرب من الحسين ليضمن رضا الله من خلال رضا الحسين الذي أرضاه من خلال ممارسة الطقوس وأداء الزيارة وبذل الطعام إلى غير ذلك. لكن من يقرأ سيرة الإمام الحسين يعرف جيدا أن رضا الحسين من رضا الله تعالى، ويمكن التأكد من ذلك من خلال دعائه يوم عرفه، وانظر كيف يخاطب اللّه تعالى خاشعا ذائبا في ذات اللّه. وأما هدفه الاجتماعي فهو الاصلاح: إنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي. فأين تضع سلوك العقل الجمعي الشيعي؟؟.

إنها كارثة الوعي الديني لدى شرائح واسعة في مجتمعاتنا. إنه الانسياق اللاواعي لخطابات طائفية مضللة لا تخشى اللّه سوى مصالحها الآيديولوجية.

أجد بعض الطقوس وثنية، وشركا. بل وفخاخا نصبها رجل الدين ليصطاد بها الطيبين، ويكفي شاهدا نصوص زيارة الأضرحة المقدسة التي تجعل من صاحب القبر إلها يحييّ ويميت ويرزق ويتولى قضاء حوائج الناس، وبيده حسابهم إلى أخره. وهذه العقائد كانت وما زالت وستبقى ذريعة لنبذ الشيعة ومحاربتهم.

لا شك أن بعض الناس يعي حينما يتوسل بأهل البيت، فهو يتقرب بهم إلى اللّه تعالى في قضاء حوائجه، لكن للسواد الأعظم فهماً آخر، فيتعاملون معهم كآرباب مفوضين من قبل اللّه في قضاء حاجتهم واستجابة دعائهم؟ وهنا مكمن الخطر حينما يسكت رجل الدين ويتخلى عن مسؤوليته في بيان الحقيقة.

معنويات الخلاص

س9: طارق الكناني: ما زلت انتظر جوابك على ما جاء في نهاية سؤالي المتقدم، عن قيمة الفكرة ومدى قدرتها على دعم معنويات الإنسان، فما هو رأيك؟

ج9: ماجد الغرباوي: نعم نعود لسؤالك المهم،تقول: هل تعتقد أن هذه الحالة، أي فكرة الخلاص والفداء، داعمة للروح الإنسانية؟

الإنسان بطبيعته مسكون باليأس بسبب قساوة الحياة، فيبحث عن الخلاص سيما في ظل خطاب ديني مرعب، يبالغ في قساوة الإله. فهو جبار عتيد، يتربّص بالإنسان لينتقم منه لأدنى خطأ، فكيف والإنسان خُلق ليخطأ ويتعلم من خطئه. بل ويرث خطيئة أبيه آدم، بلا ذنب اقترفه، وفقا للفكر الكنسي. فلا شك أن في الفداء خلاص، وفي الشفاعة نجاة!!!. وأكثر من ذلك، ثواب وجنان!!. هذا هو الفهم الساذج للفكرة، الذي يحطّم الإنسان، ويكرّس التسويف واللامبالاة، ويخلق شخصية لا تكترث لتداعيات سيئات الأعمال. فمن يعتقد بوجود فداء وشفاعة مفتوحة لا يبالي ماذا يرتكب، فيمكنه الاغتسال من الذنوب أنى يشاء. وبمجرد الاعتراف بين يدي الكاهن تبرأ ذمته ويعود كيوم ولدته أمه، أو تنطفئ سيئاته من خلال المشاركة بالشعائر الحسينية فيدخل الجنة بلا حساب، وبإمكان الناس البسطاء أن يرووا لك عشرات بل مئات الأمثلة من أحلام ورؤى منامية ولقاءات بالأنبياء والصديقين تؤكد صدقية فهمهم.

لا ينقضي عجب المرء كيف تقاس الأمور بعيدا عن القرآن؟ أليس بعض الناس يُحبط عملهم فلا تنفع معه أي شفاعة؟ أليس بعض الأفعال لا يغفر الله لصاحبها أبدا؟ فكيف يمنح أنصار الإمام الحسين صكوك براءة مفتوحة، كصكوك الغفران وأكثر؟. نحن نسعى لمجتمع الفضيلة، مجتمع خال من الرذيلة، تسوده قيم الخير والصلاح، ومفاهيم الفداء الكنسي والشفاعة الحسينية المطلقة تسوّف الإنسان بل تشجعه على ارتكاب المعاصي ما دام ثمة براءة ممكنة بأبسط الطرق.

شخصيا لا آراها لصالح الإنسان ومعنوياته، حتى وأنا أشاهد اندفاع الناس خلال مراسم زيارة الإمام الحسين، وكيف يبذلون الغالي والنفيس، على أمل شفاعته في الآخرة بل وفي الدنيا - كما يعتقدون -مزيدا من العيش الرغيد ببركته!!. لا شك أن نواياهم أو أغلبهم صادقة، مخلصة، يرجون بعملهم مرضاة الله تعالى من خلال الحسين وموالاته عند الباري عز وجل، لكنهم غير معذورين دائما، فقد منحهم الله عقلا يحتج به عليهم يوم القيامة، كان عليهم العودة للقرآن ليعرفوا حقيقة الأشياء، عليهم أن يضعوا مسافة بينهم وبين رجل الدين، بل وبينهم وبين التراث المثقل بالأكاذيب والافتراءات على الله ورسوله وأهل بيته.

إن مشكلة الإنسان في ضعفه وجُبنه، يريد التخلّص من المسؤولية بلا عناء، فيتشبث برجل الدين لتطمئن نفسه، لهذا يستميتون دفاعا عن عقائدهم، لتبقى متوهجة ومضة الأمل، تبدد اليأس والتشاؤم. إن موازين العمل الصالح قرآنيا واضحة، ولا مبرر

للإسـراف بهـذه الطريقـة في مراسـم الزيـارات السـنوية، تحـت أي ذريعة (إِنّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشّيَاطِينِ وَكَانَ الشّيْطَانُ لِرَبّهِ كَفُورًا). وكـان الأفضـل نفقـة هـذه الثـروات الطائلـة علـى مشـاريع خدميـة وتعليميـة ترجـع بـالنفع على محبي الحسـين. ياسيدي: نفقـة الشـيعة علـى مـآتم الإمـام الحسـين في جميـع أنحـاء العـالم إسـراف هـائل، أرقامه مهولة، لا تنتج سوى مزيد من التبذير وهدر الثروات، وهي في تصاعد مـا دام رجـل الـدين مـن ورائهـم، يمنحهم صـكوك غفران وجوازات مرور للجنة مجانا!!.

أموال طائلة لـو صُرفت في محلها ستقلب مـوازين القـوى وتضـع الشيعة في مصاف الأمم الراقية. ثروات خرافية لا تحقق مـا يتناسـب مع حجمها إلا مزيدا من تكريس الحس الطائفي، ونبذ الآخر، بل وحتى على مستوى الهداية ليست هناك أرقـام تـذكر رغـم اسـتمرار هذه الطقوس مرات عدة سنويا.

س10: طارق الكناني: لكن من يضمن أن الشيعة ينفقون على المشاريع والمؤسسات الإصلاحية؟

ج10: ماجد الغرباوي: نعم، هذا هوالإشكال الخطير فالشيعي ينفق بسخاء علـى مـآتم وطقـوس عـزاء الإمـام الحسـين، لكنـه غيـر مسـتعد للإنفـاق علـى مؤسسـات خيريـة تعـود بـالنفع علـى مجتمعـه وأهله، بسبب رثاثة الوعي، وسقم الثقافة، وتزوير الحقـائق، فـدور رجل الدين المعتاش على جهود الآخرين خطير يجب مكافحته كـي تستقيم الأمور ونسترد وعي الناس بعد معرفة الحقيقة. المرء لا يجـد

معنى لنفقته على المشاريع الاجتماعية، بينما يأمل بثواب الأخرة عندما يُنفق على الطقوس والشعائر الحسينية بسبب خفاء الحقيقة.

ربما امتد بنا الكلام من أجل توضيح الفكرة. وخلاصة ما أقول: قد تمنح الشفاعة والفداء الكنسي شيئا من الأمل، لكنه أمل كاذب، مزور لا يخدم مجتمع الفضيلة، يسوّف عمل الإنسان حد التمادي، ما دامت الشفاعة ممكنة وبثمن زهيد!!. أنا لا أدري كيف من يسرق الآخرين، أو يخدعهم ويعتدي عليهم ويسلبهم أموالهم تسقط عقوبته بشفاعة الحسين أو بفداء عيسى النبي الكريم؟ حاشى للّه، هذا خلاف عدله. هناك ذنوب جزم الباري عزوجل أنها لا تغتفر إطلاقا. فما ذنب الضحية؟

سيقولون: إن اللّه سيعوّضه يوم القيامة ببركة الحسين او عيسى بن مريم!!!.

هل تلاحظ كيف يبررون الأشياء كي تبقى الفكرة متوهجة في خيالهم؟؟ (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) إنها كارثة، لا تستقيم مع منطق القرآن الكريم والعدل الإلهي. ثم لماذا لا ينص اللّه عزوجل على ذلك في كتابه كي يكون كلامه حجة ينتفع به الناس جميعا؟ ولماذا تصلنا هذه العقائد دائما بطرق ملتوية كالروايات والأحلام والقيل والقال؟؟ إنها رثاثة الوعي، كانت وما تزال سبب تخلفنا وانحطاط حضارتنا. إنه الفكر المغالي يتحكم بإرادة البسطاء من الناس، ويوجه وعيهم كما يشاء خدمة لمصالح شخصية وأخرى طائفية.

من هنا يجب التعامل مع المفاهيم، بما فيها المفاهيم القرآنية بحذر وحيطة ومسؤولية، فهناك موازين وثوابت قرآنية في ضوئها يجب فهم العقائد وتحديد مداليلها كي لا تسقط العقيدةُ المشروعَ القرآني في خلافة الإنسان ووحدانية الباري تعالى.

كما يجب أن تكون مرجعية القرآن حاكمة على كل شيء، فالروايات كما جاء عن النبي الكريم وأهل بيته تُعرض على القرآن والعقل، والتأكد من عدم معارضتها له، فضلا عن تقاطعها مع ثوابته ومحدداته، وإلا ستكون فوضى عارمة، وستأخذ العقائد مساحات واسعة، تضطر لتأكيدها وترسيخها الفرق والمذاهب من خلال تأويلات بعيدة لآيات الكتاب الحكيم، أو التوغل في اللامعقول لسد الطريق على الوعي والشك. وهذا أخطر ما في الدين. فالحذر في الفهم العقائدي قمة الوعي والعقل. وانظر كيف يتعامل القرآن مع المشككين، وكيف يتعامل مع إشكالاتهم بجدية، خاصة عندما تكون القضية غير معقولة وفقا للطبيعة البشرية، فلا يمارس معهم إرهابا دينيا، ولا يقمع وعيهم بل يجيبهم بأدلة وبراهين مقنعة تدحض شكوكهم. (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

فالسؤال كان متوقعا وطبيعيا جدا، بل يجب أن يكون هناك سؤال وشك بالموضوع، لأن إحياء الميت مستحيل في نظر الإنسان، فمن حقه الشك والسؤال والاستفسار، فما بالنا لا يحق لنا الشك بعقائد لا تمت للعقل والقرآن بأي صلة، ونستسلم لخطاب رجل الدين وهو يستخف بوعينا؟ لماذا نتنازل عن عقولنا لمجرد سماع رواية واحدة لا نعرف عن صحة صدورها شيئا؟. وحتى مع صحة صدورها فللرواية ظرفها، والإمام يتعامل مع الناس وفقا لمستوى عقولهم، أو وفقا لبيئته الثقافية والمعرفية، ولا يمكنه التعبير بلغة أخرى.

بدأت أوربا نهضتها بشك عارم طال كل شيء ثم بدأوا بتأسيس معارفهم بالعلم والتجارب فشيدوا حضارة تاريخية. وإذا أراد المسلمون النهوض عليهم مراجعة جميع ثوابتهم وبديهياتهم حول الكون والحياة والدين، وعليهم تحديد مصادر معرفتهم بدقة في ضوء فهم صحيح للكتاب الكريم بمعية العقل والضرورات الزمانية والمكانية.

ينبغي للمسلمين من أجل نهضة حقيقة فسح المجال أمام جميع الشكوك وعلامات الاستفهام، وعليهم التسلح بثقة عالية والتراجع عن أي معلومة دينية يثبت خطأها.

القرآن ليس كتابا علميا، وليس من اختصاصه بيان معارف العلوم الحديثة، ومن يصبو للاعتماد على الكتاب الكريم فيها لا يحقق أي شيء، لأنه اختار الطريق الخطأ. فينبغي الفصل بين ما هو ديني وما هو علمي. فكلا من المجالين له دائرته، ومصادر معرفته، والتداخل يفسدهما معا. فالعلم قد يساعدك في تشييد

منظومتك العقائدية لكنه لا يصلح أن يكون بديلا عن المعرفة الدينية في مجال تخصصها ، خاصة في مسائل الغيب العصية على الإثبات. وأيضا بالنسبة للدين، فهو صالح لتأسيس قاعدة أخلاقية وإطار يضبط حركة العلم، لتدارك سلبياته حينما يوظف ضد الإنسان وأمنه وسلامته. لكن ليس باستطاعة الدين أن يكون بديلا عن العلم.

وبالتالي فالسؤال والشك بات ضرورة لمعرفة الحقيقة. وليس كالنقد والمراجعة أداة لبيانها واكتشافها ، لأن كثير من العقائد والبديهيات اليقينية لدي المسلمين تقوم على مقدمات وهمية وأفتراضات فلسفيه تراكمت واستحكمت بمرور **الزمن،** فينبغي نقضها وأعادة تشكيلها وفق معطيات العلوم الحديثة. بهذا فقط يمكن التخلص من تبعات ترسبات الأفكار والعقائد كخطوة أولى باتجاه فهم ديني وعقيدي صحيح يقوم على مبادئ حقوق الإنسان ورؤية كونية تستمد ركائزها من العقل والكتاب الكريم.

المحور الثاني

الشفاعة دينيا واجتماعيا

مفهوم الشفاعة

س11: طارق الكناني: أرجو التوضيح كيف يقترب مفهوم الشفاعة عند الشيعة من مفهوم الخلاص الكنسي، كما أشرت في جوابك المتقدم؟

ج11: ماجد الغرباوي: مفهوم الشفاعة عند الشيعة يقترب من فكرة الفداء الكنسي بفلسفة أخرى. الحسين بن علي بن أبي طالب ابن بنت رسول الله، ضحىّ بنفسه في سبيل الله، وقُتل مظلوما فنال بشهادته مقاما عليّا عند الله عزوجل، يمنحه صلاحية الشفاعة لأنصاره ومحبيه بلا حدود!!، وبشفاعته يُسقط الله عزوجل عنهم العذاب ويتجاوز عن سيئاتهم. بل ويغدق عليهم جزيل الثواب بشفاعة الحسين (أو يخوّل الله الحسين وأهل البيت ذلك، كما تؤكد روايات أخرى). وهو معنى آخر للفداء، حيث يفتدي الحسين أتباعه ومحبيه بمقامه الجليل عند الله. أما كيف يكون الحسين شفيعا، أو كيف ينال الإنسان شفاعته؟

هنا يتلاعب خطيب المنبر الحسيني ورجل الدين بوعي الناس من خلال خطاب عاطفي مشحون بالمغالطات، يكرّس الطقوسية والخرافة، ويقدّم فهماً مختلفا لمعنى الشفاعة، يُقصي الإنسان بعيدا عن العقل والقرآن الكريم. فشفاعة الحسين، في نظره، تتناسب طرديا مع حجم الإيمان به، وبمنزلته، وعصمته، وعلمه وقدراته الخارقة، وولايته التكوينية. ويتجسد إيمانك من خلال ممارسة الطقوس والشعائر، وإدمان زيارة قبره، وذكر فضائله،

والحديث عن كراماته ومعاجزه، والإيمان برجعته. وأنْ توالي من والاه، وتعادي من عاداه ولا تكف عن حبه وتقديسه، والقائمة طويلة، كلها تصب في مصلحة رجل الدين أولا، وتغذي الصراع الطائفي ثانية، وترسّخ الإيمان بهذه العقائد ثالثا. فالإيمان المجرد بإمامته وعصمته ومنزلته لا يكفي لنيل شفاعته. ثم يُمطرك بروايات صاعقة، الواحدة تلو الأخرى. روايات تنتمي لتراث الغلو المشحون بالخرافات والهرطقات. رجل الدين المغالي لا يتورع ولا يخاف اللّه، ومن يخاف منهم رب الأنام تجده بسيطا ساذجا يتسلق أعواد الخطابة ويملي على الناس من تراث لا يمكن إطلاقا الركون إليه، بمعزل عن القرآن والعقل والصحيح من السنة النبوية (وما خالف القرآن فهو زخرف، وما خالف القرآن فاضربوا به عرض الجدار). وهذا منطق أئمة أهل البيت، الذي طالما أكدوا عليه في أحاديثهم ورواياتهم المروية بأسانيد معتبرة وكتب موثوقة، فالتراث الشيعي فيه الغث والسمين، وليس كل ما يروى صحيحا، حجة، يجب الأخذ به كما يحب خط الغلو والمغالين ذلك. هؤلاء يزوّرون الحقيقة ويستغلون بساطة الإنسان وحبه لأهل البيت. وهم يعلمون جيدا: إن مصير الإنسان مرتهن بعمله يوم القيامة، ولا ينفعه شيء آخر: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى). لكنهم يستغلون سعة مفهوم العمل الصالح، فيقحمون فيه طقوسا ومفاهيم بعيدة كل البعد عن سلوك وأخلاق ووعي أهل البيت، وأمامك التراث وراجعه.

لا أريد الخوض في هذا الحديث المؤلم، ويبقى القرآن بوصلتنا لحسم النزاعات العقيدية. فكل عقيدة لم يصرّح بها القرآن

الكريم ليست بحجة علينا ، وليست ملزمة مهما كانت أدلتها. القرآن الكريم يؤكد على العمل الصالح الذي تنتفع به الناس وتصلح أمورهم، فلا يشمل الطقوس غير المشروعة، فأي صلاح فيها سوى تشويه صورة الدين ونقائه؟. ولا فوضى بالثواب والعقاب، وكل شيء يجري بميزان. بل ومضاعفة الثواب أيضا مشروطة لمن يطمح في ثوابه وقربه تعالى. فالأمر لا يقتصر على عشر حسنات كي يستخف بها الآخرون، بل (ويضاعف الله ما يشاء) و(وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). فرضوان الله أكبر من كل مظاهر السعادة. وباب التوبة مفتوحة تغنيك عن الشفاعة إذا كانت صادقة، مخلصة لله تعالى، مشفوعة بالعمل الصالح.

بودي التنبيه: عندما أدين عمل رجل الدين لا أقصد التعميم، فثمة علماء ورجال دين يمثلون في وعيهم ويقظتهم مدرسة أهل البيت بجميع تفاصيلها، فتجد مجالسهم مجالس علم ومعرفة، لا يبتعدون عن القرآن والصحيح من سيرة النبي الكريم وأهل بيته الطيبين. لا يؤمنون بالخرافات والطقوس المجافية للعقل والمنطق، ولايرتفعون بأهل البيت إلى مصاف الخالقية، معاذ الله. وهؤلاء هم دعاة الإسلام، الذين ساهموا في نشر الوعي الديني وما يزالون، منذ بداية الإسلام وفي جميع المذاهب خاصة المذهب الشيعي. تعرفهم من صدق لهجتهم، وسعة أفقهم وتقواهم وتحرّجهم في أكل المال الحرام، وعليهم المعول في انتشال الوعي الديني من براثن الغلو. أقول هذا عن حس وتجربة، ولا أريد أن أظلم أحدا. وما أقوله في الحوار يمثل وجهة نظري، وأنا مسؤول عنها.

الشفاعة رؤية مختلفة

س12: طارق الكناني: ولكن هناك دلائل وآيات عديدة في القرآن تقول بالشفاعة، وتؤكد وجود شفعاء ارتضاهم الله. صحيح هو لم يحددهم ولكن هناك ما يدل عليهم. فهل تنكر وجود هذه الآيات، وكيف تفهم الشفاعة قرآنيا وفقا لرأيك؟

ج12: ماجد الغرباوي: معاذ اللّه أنْ أنكر أيةَ آيةٍ مُنزلة، لكن القرآن الكريم واضح في مفاهيمه، وعملية خلط الأوراق وتزوير الحقائق مرفوضة، فالإنسان ليس بحاجة للشفاعة دائما لكي نتمسك بالشفيع ليل نهار وكأنه لا عمل لنا سواه. هذا ضرب من اليأس مذموم قرآنيا: (لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ). بل في أحد أبعاده إرتياب باللّه تعالى واهتزاز الثقة بوعوده عندما قال: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ). كما ضمن للمذنب إذا تاب توبة نصوحة وعمل صالحا أن يكفّر عنه سيأته ويدخله مدخلا حسنا، فمن يرد التوبة صادقا فما عليه سوى الاستغفار والندم والإقلاع عن الذنوب، والنأي عن المحرمات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ). فالآية لم تشترط الشفاعة، ويبقى مصير الإنسان مرتبطا بعمله فقط ومدى إخلاصه للّه تعالى، مما يؤكد اختصاص الشفاعة القرآنية بمواضيع أخرى يجب التحري لاكتشافها، كي

نرفع غشاوة الجهل عن أعيننا. ويجب عدم الوثوق مطلقا بالتراث وبما يقوله رجل الدين في هذا المضمار والعودة للقرآن لمعرفة الحقيقة. فالله أعلم بحقائق الأمور، وهو عالم الغيب والشهادة.

ثم ينبغي للمذنب التائب تأكيد صدقيته من خلال العمل الصالح، فلا حاجة لأي شفيع ووسيط، بل هو طريق مضمون عند الله عزوجل بعد أن صرّح به في كتابه الكريم، (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا). فهذه الآيات محددات لفهم معنى الشفاعة الواردة في الكتاب الحكيم، وهي الأصل في الأحكام ومدار الاعتقادات. وأما من يطمح بشفاعة فضفاضة اعتمادا على روايات لا دليل على ثبوتها وصحتها، فهذا شأنه، وسيكون مسؤولا عنها يوم القيامة، ما دام إنسانا عاقلا، مريدا، مؤمنا باليوم الآخر.

فالآية تقول: إلا من تاب (هذا الشرط الأول). وعمل صالحا (الشرط الثاني). فالتوبة الصادقة قرآنيا تغفر الذنوب جميعا، والعمل الصالح يجني الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)، وهذا ضمان ثانٍ. فالذنب يغتفر بالتوبة الصادقة عهد من الله تعالى، ومن خلال العمل الصالح تتراكم الحسنات ويذهبن السيئات. فما على المرء سوى الإقلاع عن الذنوب خاصة كبائرها، ويعمل صالحا، مطلق العمل الصالح، ويطرق باب رحمته بأمل كبير وثقة عالية، ويبعد عنه القنوط واليأس، ويأتي الله تعالى بقلب سليم، ولسانه يردد: (قل يا عبادي الذين

أسـرفوا علـى أنفسـهم لا تقنطـوا مـن رحمـة الله)، سـيجد أبـواب رحمته مشـرعة، تتجلـى في قلبـه وروحـه طمأنينـة تدفعـه للمضـي في الحيـاة بثبـات يحطـم وسوسـات الشـيطان والـنفس الأمـارة بالسـوء. والله عزوجل صاحب الأمـر والنهـي وقـد وضـع منهجـا كـاملا لفتح آفاق الأمل المضمونة، ليس كالشفاعة الـتي لا يمكـن الجـزم بهـا، لصـعوبة شـروطها، وعـدم الـتكهن بآليتهـا، ولا يوجـد دليـل معتبر يعضّد الفهم المغـالي للشـفاعة سـوى روايـات ضـعيفة، طافحـة بـالغلو تجعل من الطقوس والخرافات شرطا لنيـل شـفاعة أهـل البيـت. هـذا فهم سقيم يبتعد عن منطق القرآن الواضح في مفاهيمه وشـروطه.

الشفيع مهما كـان نبيا أو إماما أو رجلا صـالحا في عـالم آخـر، لا يمكنه الاتصال بأهل الدنيا، بأي نحو من الأنحاء. فهـو في عـالم مختلف في طبيعته، يصفه الرسول: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطـر علـى بـال بشـر). ومـا تقـرأه في نصـوص زيـارات الأضـرحة المقدسة: (أشهد أنك تسمع الكلام وترد الجـواب) لا دليـل عليـه بـل يتعارض مع منطق العقل والفهم القرآنـي للميـت والشـهيد، وترفضـه طبيعـة الفـروق الجوهريـة والذاتيـة بـين عـالمي الـدنيا والآخـرة، فهمـا عالمان مختلفان، لا يمكـن لأي أحد اختراقهما.

الشفاعة القرآنية تختلـف مـن حيـث المفهوم مـع مـا يطرحـه خـط الغلو. الشفيع بالمفهوم القرآني يتعامل مع الله مباشرة حينما يإذن لـه بذلك، ولا يتعامل مع أهل الدنيا بأي شـكل مـن الأشـكال. ويشـفع لمـن كـان مؤمنـا بـالله وبـاليوم الآخـر، ويعمـل صـالحا لكنـه خلـط عملا صالح بآخر سيء، فاستحق شفاعة من ارتضى.

الشفاعة قرآنيا

س13: طارق الكناني: وما هو مفهوم الشفاعة قرآنيا، فهل لديك رؤية جديدة تختلف بها عن الآخرين في هذا المفهوم؟

ج13: ماجد الغرباوي: أطرح هنا مفهوما أرقى لمعنى الشفاعة في ضوء الكتاب الكريم:

الشفاعة تعني أن رحمة الله ستشمل كل من خلط عملا صالحا بآخر سيء وهو مؤمن، ولم يقترف ما يُحبط عمله أو يحرمه مغفرة الله وعفوه مؤبدا، فيغفر الله ذنوبه ويتجاوز عنه إكراما لمن ارتضى، دون تدخّلهم بالأمر، لاختصاصه بالحساب، ثوابا وعقابا ومغفرة، وشفاعة: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)، (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)، (إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء). فالقضية بين الإنسان وربه، لكن تصدر قرارات عفو عامة عن بعض المذنبين، ممن توفرت فيهم شروط الشفاعة كاملة، إكراما لمن ارتضى. تماما تكتب أو كما يصدر بعض رؤساء الدول عفوا شاملا أو خاصا إكراما للعيد أو إكراما لشهر رمضان. فالشفاعة بهذا المفهوم تختلف عن مفهومها الشائع، وهي أنْ يلتمس الجاني شفيعا يتفنن بالتزلف والتقرب له، ولو على حساب دينه وعقيدته كي يشفع له. تقول الآية: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

إن الفهم الخاطئ لمفهوم الشفاعة الآخروية، قياسا على معناها الشائع دنيويا، هو الذي دفع الناس للتقرب من الأولياء والصالحين

ليشفعوا لهم. بل وليرزقوهم ويقضوا حوائجهم، ووووو...، فخلقوا بينهم وبين بارئهم فجوة عميقة، فراحوا يدورون في مدارات قصية بعيدا عن رحمته وعفوه. (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا).

إن الابتعاد عن أجواء القرآن وصياغة المفاهيم بشكل يخدم المصالح المذهبية والطائفية والآيديولوجية هو السبب الرئيس وراء الالتباس المفاهيمي لمعنى الشفاعة، فأدى إلى ضياع الناس وتشبثهم بالأولياء والصالحين بحجة الشفاعة، فيبتعدون عن اللّه من حيث لا يشعرون، وهذا القرآن صريح حينما يقول تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ). (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ). (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ). فالآية لم تطلق الدعاء كيفما كان، ولم تقل "ادعوا" وسكتت، كي يشمل فعل الدعاء باطلاقه الدعاء والاستغاثة بالواسطة، بل حصرت الدعاء باللّه تعالى: "ادعوني" أي بشكل مباشر بلا أية واسطة. فحصر الدعاء به شرط في استجابته. (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). فسمّى الدعاء عبادة، وأطلق على من يدعو غيره صفة المستكبر، ووعده بجهنم وبئس المصير. وما يؤكد أن دعاء غير اللّه شرك قول النبي الكريم: (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً). فاعتبرت الآية دعاء غيره شرك. هكذا هو فهم الأنبياء للدعاء، نبي يدرك ما

يقول، فاعتبر دعاء غير الله تعالى شركا، وهو لا يشرك بالله. فيبنغي أن يكون قوله درسا لنا. فالله هو الجهة الوحيدة التي ينبغي التوجه لها بالدعاء، وليس كمثل الله تعالى أحد يستجيب دعاءك، وهذا ما يشعر به الإنسان بفطرته: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ). جاءت هذه الآية ضمن مجموعة آيات تستنكر على المشركين، فتستفزهم بأسئلة، تذكرهم بالله وتفرده (انظر سورة النميل 59 -64)، وهذه إحدى الأسئلة، مفادها أن المضطر لا يتوجه لغير الله، فهل تنكرون ذلك؟. الإنسان لا شعوريا يتوجه لله تعالى في قضاء حاجته عند الشدائد، فينبغي أن يتوجه له في يقظته أيضا ولا يحيد عنه بأي ذريعة كانت، فهو لا يحتاج واسطة ولا شفيعا، وقال ادعوني، أي مباشرة.

فلا يذهب بحلمكم كيد رجل الدين وغاياته الطائفية المقيتة. علاقات الإنسان بالله تعالى مباشرة، لا أحد يتصدى لحسابك غيره، ولا أحد يشملك بشفاعته غيره. (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)، (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون). والله هو الذي يغفر الذنوب جميعا، وهو الذي يعفو ويتجاوز عن سيئاتك، وهو الذي يقبل شفاعة من يشفع لك. لا تشغل نفسك بعيدا عنه بأوهام لذيذة بعيدة كل البعد عن الواقع. كما لا يمكنك ضمان من تُحب يوم القيامة، الله أعلم بذلك فقط، فضع أملك بالله ربما تضمن شفاعته بينما لا تستطيع ضمان شفاعة غيره إطلاقا: (يَوْمَ يَفِرّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهُ وَبَنِيهِ. لِكُلّ امْرِىءٍ مّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ). نحن لا نعرف طبيعة تفكير

الإنسان بالآخرة، فهي حياة مختلفة "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر". ولا نستطيع ضمان أحدا: (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه).

إن في آية (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)، تحذير من اللجوء لغيره، فلا أحد أقرب لك من اللّه، ولا تذهب بك الوساس لسلوك طرق ملتوية باسم الشفاعة والتوسل وغيرهما. حاجتك عند اللّه وقد فتح لك أبوابه مشرعة، وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

حاول المشركون التمسك بأصنامهم بذريعة التقرب بهم للّه، لكن الكتاب الكريم رفض ذلك. (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ). وكان بإمكان الرسول أن يتدرج معهم ويغض الطرف عمن يعتقد بأنهم مجرد وسيلة وزلفى للّه، لكنه رفض، لأن اللّه متفرّد في ربوبيته وخالقيته، متفرّد بصفاتهما، وكل ما يرتبط بهما، ويدعو لعلاقة مباشرة بين الخالق والمخلوق (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)، وهي إحدى أهداف الرسالات السماوية، أن يتحرر المرء من كل ارتباط ديني إلا خالق السماوات والأرض (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ). لذا تجد حتى علاقة الأنبياء بالخلق علاقة مقننة، منضبطة.

الشفاعة المنضبطة

لقد تمادى التراث الإسلامي في تفصيلات الشفاعة، بمعزل عن القرآن، أو تأويله لصالح آيديولوجياتهم، بينما منهج القرآن الكريم واضح: (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا). وأغلب آيات الشفاعة غير صريحة، ويصدق عليها مفهوم المتشابه فترد إلى المحكمات من الآيات، فثمة آيات صريحة واضحة يمكن ترتيبها بالشكل التالي:

هناك آيات صريحة تنفي مطلق الشفاعة في يوم الحساب، وهو أحد مراحل الآخرة: (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا. ولا يقبل منها شفاعة. ولا يؤخذ منها عدل. ولا هم ينصرون). وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة، ولا شفاعة، والكافرون هم الظالمون). فكلا الآيتين بصدد بيان صفات يوم الحساب، حيث يقف الجميع أمام الباري تعالى لحسابهم، وهي: ["لا تجزي نفس عن نفس شيئا"، "لا يقبل منها شفاعة"، "لا يؤخذ منها عدل"، "لا بيع"، "لا خلة"، و"لا شفاعة"]. فلا شفاعة في يوم الحساب، حيث تبلى السرائر ويواجه كل إنسان عمله. وكلا الآيتين محكمة، واضحة لا لبس فيها، فتكون ركيزة لبيان معنى الشفاعة في الآيات القرآنية الأخرى. بل

أن الآية التالية تعتبر نفي الشفاعة أصلا موضوعيا ومسلمة وبديهية عند من يخافون ربهم: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون). وهو يوم الحساب.

وعليه، فهذه الآيات واضحة في نفي الشفاعة يوم الحساب ونفيها لغيره مطلقا، حيث يقف الجميع للمساءلة: (يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً). (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ). بمعنى آخر أن مسألة الشفاعة غير مطروحة يوم الحساب، وكل إنسان مشغول بنفسه. فتأتي في مرحلة لاحقة وبهذا الشكل نفهم أن لا شفاعة يوم الحساب، حيث يقف كل إنسان بمفرده أمام الباري عزوجل. (وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا). ثم تأتي الشفاعة بعد تحديد مصير الإنسان.

وهناك آيات تحصر الشفاعة بالله تعالى: (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون). (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون). (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه). (ما من شفيع إلا من بعد إذنه). (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له). وهذه أيضا آيات صريحة محكمة في دلالتها.

وهناك مَن يُحرم من الشفاعة لأسباب بينتها الآيات التالية: (أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون). (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل، نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك

الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون). (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون). (فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين). (وأنذرهم يوم الآزفة، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع).

وهذه الآيات بينت بوضوح الأسباب التي تحرم الشفاعة (الكفر، الظلم، الشرك، الاستهزاء بالدين، عبادة غير الله)، فمن شملته واحدة أو أكثر من هذه الأسباب لا ينال شفاعة الله تعالى، ولا يسمح لأحد أن يشفع له. فهو مستثنى من الشفاعة ومصيره جنهم وبئس المهاد.

ثم إن الشفاعة مشروطة ومنضبطة: (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا). (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون). (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون). (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى).

نخلص من الآيات المتقدمة:

-أختصاص الشفاعة أولا وبالذات بالله تعالى.

-وأنها من شؤون يوم القيامة، ولا شفاعة مطلقا يوم

الحساب. فتأتي بعد ظهور النتائج النهائية للحساب. وتحديد مصير الإنسان، حيث: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ).

-أن يكون الشفيع مؤهلا للشفاعة، وشرطه أنه ممن ارتضى الله تعالى شفاعته وهم الملائكة لاطلاعهم على صحائف الأعمال، ويميزون من يستحق الشفاعة عن غيره، فلهم دور في الحساب يؤهلم للشفاعة إذا أحرزوا رضى الله تعالى وإلا فبعض الملائكة غير مؤهلين للشفاعة كما ذكرت الآية المباركة.

-أن يكون الشخص مؤهلا لشموله بالشفاعة، حيث خلط عملا صالحا بآخر سيء وهو مؤمن، وقد تاب لله تعالى، لكن في توبته شائبة، ويأمل في عفوه ومغفرته، وإلا تقدم أن التوبة النصوح تغفر الذنوب جميعاً، وقد أكدت الآيات ذلك مرات عدة. فليس من المعقول أن يتعهد الله بالتوبة على من يتوب ثم يعود لمحاسبته.

وبهذه النتيجة تتضح قيمة التوسلات بالأموات، حيث لا دليل قرآني على قدرتهم على الشفاعة، فضلا عن عدم قدرتهم على سماع استغاثة الأحياء. وهذا لا ينفي عظمة الرسل ومكانتهم الرفيعة عند مليك مقتدر، لكن لكل شيء نصابه، ومبرراته. وبهذا تتضح قيمة التراث وأشرعته العالية في منح الشفاعة بلا ضابطة قرآنية. وأخيرا، من يروم الاستدلال على الشفاعة بالكتاب الكريم يجب أن يأخذ في نظر الاعتبار سياقات الآيات، والتمييز بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في كل آية، وتحديد هل الآية في صدد إثبات الشفاعة أو عدم جدواها كدلالة على الخسران المبين.

كقوله تعالى: (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) التي جاءت تعبيرا عن خسرانهم في الآخرة بما اقترفت أيديهم، فلا جدوى لشفاعة من يفترضونهم شفعاء لهم. أي من كانوا يأملون شفاعتهم أو افترضوهم شفعاء لهم عندما كانوا في الحياة الدنيا. وإلا فلا أحد يتقدم لشفاعتهم في الآخرة لشمولهم بآيات نفي الشفاعة المتقدمة. وقد بينا أن الشفاعة مشروطة برضا الله تعالى للشافع والشفيع، وهؤلاء ليسوا منهما. وبالتالي لا يمكن الاستدلال بهذه الآية على وجود شفعاء غير الملائكة كما بينت الآيات المتقدمة.

س14: طارق الكناني: هل أفهم من كلامك أن مفهوم الشفاعة في الآخرة يختلف عن مفهومها في الدنيا:

ج14: ماجد الغرباوي: نعم، الشفاعة الأخروية تختلف مفهوما عن الشفاعة الدنيوية. والشفعاء المفترضون (ممن يتشفع بهم الناس) في عالم لا يسمح لهم الاتصال أو التعامل مع الأحياء، لوجود برزخ وحاجز بين العالمين، وهذه إرادة الله تعالى. فكيف يسمع الشفيع استغاثتك؟ وما هي قدراته كي يستجيب لملايين وربما مليارات البشر عند تطاول القرون؟. (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ). والآية بدليل نهايتها تحدد طبيعة المدعو، إنهم بشر يتشبث بهم الناس في دار الدنيا ظنا أنهم يسمعون كلامهم. لكنهم في الآخرة يكفرون بشركهم. والآية لا تستثني أحدا من الأموات. فالكل لا

يسمع دعاء واستغاثة من يدعوه ويستغيث به. بل حتى آية: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ليس فيها دلالة على أمكانية تواصلهم مع أهل الدنيا. وأيضا لا دلالة في آية: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)، لأنها خاصة بالنبي الكريم في حياته، وتتحدث عن جماعة ظلموا أنفسهم بعدم طاعتهم للرسول الكريم: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ). فسبب ظلمهم لأنفسهم عدم طاعة الرسول في الدنيا، وهو واضح من سياق الآية. فيأتون ويستغفرون الله بين يدي الرسول، والرسول يستغفر لهم أيضا، فسيجدون الله توابا رحيما. وليس في الآية أي إطلاق لما بعد الموت.

وأيضا لا دلالة على المطلوب في آية: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)، لأنها ناظرة إلى حياة الرسول، وليست مطلقة بالنسبة له، رغم أنها مطلقة بالنسبة للمؤمنين، والدليل تكملة الآية المباركة: (وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)، ولا شأن للرسول بأعمالكم يوم القيامة. فالرؤية في المقطع الأول يراد بها المشاهدة الحسية، بما يلازم حياة المشاهد. فالمقصود بالاية خصوص من عاصر النبي.

فما تقدم لا دليل عليه إطلاقا، والآيات الكريمة مطلقة ليس فيها تفاصيل شافية، مما يؤكد تغاير مفهوم الشفاعة. ثم لو كان معنى الشفاعة كما نتصوره دنيويا لتصدى الله تعالى رحمة بنا الى بيان أساليبها وطرقها وكيفية نيلها. ولا تكفي بضع روايات،

لتعلق الأمر بمصير البشرية جمعاء، فتحتاج لتفصيلات تشبه آيات الجزاء. يمكننا فهم الشفاعة الدنيوية لكن كيف نتصور الشفاعة الآخروية ونحن في عالمين مختلفين؟.

الإنسان قادر على أدراك الحقائق لولا التزوير والتلقين المستمر، الذي جعله لا يرتاب بيقينياته وعقائده، فغدت بديهيات بسبب بساطة الوعي وخمول العقل، وهذه كارثة تفرز يقينا سلبيا جازما، تداعياته أخطرعلى مستوى التفكير والسلوك والمشاعر.

ثم كيف يشك الإنسان البسيط بشفاعة صاحب القبر ونصوص زيارة الأضرحة تنسب له صفات الخالقية، وتصوره حيا جالسا لاستقبال زواره وقضاء حوائجهم؟ كيف يشك بشفاعته وخطيب المسجد يتلاعب بمشاعرهم، ويروي له حكايات وقصصا عن كرامات صاحب الضريح وما حصل من معاجز ببركته، بل وحضوره شخصيا لبعض المناسبات، ليتدارك من يستغيث به من أتباعه ومحبيه!!. وترى الناس تصغي وتبكي شوقا وحبا وتوسلا.

المشكلة في الخلل المعرفي عندما يستكين العقل وينطفئ الوعي، وترتوي العاطفة بأوهام وأكاذيب تعزف على مخيالها، فتتأجج على حساب الأدراك. وهذا بحد ذاته انتكاسة تحتاج لمعالجات فورية لانقاذ الناس من خطاب حسيني يجافي الحقيقة ويصادر عقل الناس على حساب الحقيقة. فهو لم يشوّه معنى الشفاعة فقط بل راح يؤسس لوعي يمنح الرموز الدينية سلطة التحكم بمصائر الناس، من خلال تفويض إلهي مزعوم لا دليل عليه، فيطوف الزائر حول الأضرحة المقدسة بكل إيمان. لا يبالي

حينما يعود خائبا، بل يشك في إخلاصه ولا يشك بقدرات صاحب القبر!!، بل وينسب كل خير يصيبه لهم. إما مباشرة أو ببركتهم..

للأسف، إن بساطة وعي الناس وسذاجة عقولهم لا تسمح بسؤال المتحدث عن عدد الذين لم يقض حوائجهم صاحب الضريح المقدس؟ وكم عدد الذين لم يشفِ مرضاهم؟، وكم الذين لم يغثهم، ولم يرزقهم، وكم، وكم..؟ هذا هو السؤال المحرّم الذي يخشاه الجميع!!، ويفضي بصاحبه للموت، بعد تكفيره بتهمة التشكيك بقداسة الأولياء.

نأمل أن يكون الجميع أكثر وعيا، ويزرعوا روح الشك في نفوس أدمنت الاستكانة والانقياد. اسأل كل من يحدثك عن كرامات الأولياء عن عدد الذين لم يستجب لهم الولي ولم يقض حوائجهم نسبة لعدد الزائرين التي تجاوزت عشرات الملايين لبعض المراقد المقدسة، كي نساهم معا في انتشال الوعي، وتحريره من سطوة رجل الدين، وسلطة تراث صار مقدّسا على حساب وعينا ومستقبلنا. ولا تصدق أبدا أن السبب فينا، وعدم اكتمال شروط الشفاعة، فعدد الزائرين هائل، وطلباتهم أضعاف أعدادهم، هل يعقل كل هؤلاء الناس الطيبين لا يستحقون عطفه ورحمته وقضاء حوائجهم؟ وهل الجميع لم تكتمل فيهم شروط الشفاعة؟ هذا كلام لا يصدق إطلاقا نسبة بعدد الزائرين. فكن واقعيا وادرك الحقيقة بنفسك، كي لا تكون ضحية ممارسات خاطئة.

اسأل بدلا من الخشوع والاصغاء البليد كي تتضح الحقيقة وتسلك طريق الله المستقيم. لا تعطّل عقلك وأنت تصغي لخطباء

المنابر الدينية، فيستغلون عواطفك ويملون عليك وعيا سقيما.

الشك دليل الوعي، وعلامة يقظة العقل. والسؤال حق طبيعي، تقبّله القرآن برحابة، وأجاب على أسئلتهم وشكوكهم بكل صراحة ووضوح. فالشك والسؤال والاستفسار ليس كفرا، ولا محرما، ولا يؤاخذ الإنسان عليهما، بل تدل على ذكائه ووعيه وحبه وإخلاصه وشعوره بالمسؤولية وشغفه بمعرفة الحقيقة لضمان إيمان نقي، يساعده بثبات على مواجهة أخطر سؤال: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ).

فلا تكفوا عن الشك والسؤال والنقد لتفادي تداعيات العقل الجمعي الذي يسوق الناس بمكر باتجاه الخرافة، ويستدرجهم عاطفيا على حساب يقظة العقل وتوقد الوعي. ألا تستفزنا جموع الزائرين وهي تطوف بعواطفها ترجوا قضاء حاجاتها ثم تعود خائبة سوى حفنة أمل في مستقبل لا دليل على ضمانه؟.

على الجميع تدارك الناس الطيبين، ضحايا العقل الجمعي المضلل ليعودوا إلى رشدهم، فقد استنزف الخطاب الطائفي جهودهم وأموالهم ووعيهم وصاروا وقودا على حساب مستقبلهم بل وأخرتهم. تقع المسؤولية أولا على المؤمنين الواعين ممن يخشون الله ويخافون يوم الحساب. هؤلاء ضحايا منابر الجهل والأمية والضلال، تسوقهم حيث درّت معايشهم ومصالحهم الطائفية.

س15: طارق الكناني: هل الواسطة (الوسيلة) أو الشفاعة نظرية دينية أم اجتماعية أم سياسية؟

ج15: ماجد الغرباوي: هي كل هذا. لقد سخّن الصراع

السياسي على السلطة بعد وفاة الرسول أجواء التنافس على انتزاع الشرعية واحتكار الفضائل، بدءا من الخلافة وشرعيتها وانتهاء بالعقيدة وأدلتها، مرورا بالروايات والأحاديث ودلالاتها. ثم احتدم الصراع بعد حروب الإمام علي في ظل شكوك حول شرعية الأطراف المتحاربة، وجُلها صحابة رسول الله، ولهم قدم سبق في الإسلام، ومن المبشرين بالجنة حسب الروايات، فمَن الفئة الباغية يا ترى؟ فتدارك الأمر معاوية في إجراء احترازي، فخطى باتجاه تشويه سمعة الإمام علي بعد شراء ذمم الرواة، وتسخير الخطباء، وفرض سبّه على المنابر لستين عاما، واتهامه بشق عصا المسلمين وعدم شرعية تصديه للخلافة في يوم السقيفة. ولفّق حوله روايات تذم سلوكه مع زوجته فاطمة بنت النبي، وبهذا الإسلوب الماكر دفع الشبهة عن شرعية حكومته. لكن الشيعة لم يسكتوا، فراحوا يحشدون قواهم للرد على جميع الشبهات، بل والاستدلال على شرعية علي وخلافته وقربه من رسول الله، بدءا من ترشحه للخلافة بعد النبي. ومنذ ذلك اليوم بدأ الصراع حول شرعية السلطة والخلافة والخلفاء، حتى امتدت تداعيات هذه المسألة لكل مناحي الثقافة والفكر والسياسة ولم تنجُ من مكرها العلاقات الاجتماعية، فتقطعت أواصر الأخوة والمحبة.

ثم راحت الأطراف المتنازعة في خضم الصراع الفكري العقائدي وعدم وجود مرجعية معتبرة (آية أو رواية)، تبحث عن أدلة بل ولفقت أدلة روائية لتعضيد متبنياتها العقيدية والفكرية التي تدل على أفضلية هذا الطرف أو ذاك، فطُرح في هذا السياق مفهوم

الشفاعة الفضفاض الشامل لأتباع أهل البيت جزاء لموالاتهم وحبهم. فالشفاعة ليست مختصة بمن ارتضى، بل تشمل أهل البيت، خاصة الزهراء وولدها الحسين، وهذه ميزة لا تدانيها ميزة إذا ثبتت فعلا، وتدل بلا أدنى شك على أفضلية أهل البيت في كل شيء ومنها الخلافة وهو المطلوب. بل وتدل مفهوما على انحراف وعدم شرعية خصومهم التاريخيين. وهذه نتيجة أقوى.

من هنا تفهم سبب الصراع المرير بين الأطراف المتنازعة حول فضائل الصحابة وأهل البيت. كل فضيلة يُستدل عليها بتأويل آية أو رواية تؤثر في ميزان الشرعية الدينية والسياسية. وهذا صراع لن يهدأ ما لم تقوض الثقافة الدينية الطائفية، وتحل محلها ثقافة منفتحة لا تتكفئ للوراء وتنظر للمستقبل بتفائل كبير.

تصور قضية واحدة استغرقت قرابة 1500 عام، استهلك بسببها المسلمون جهودا جبارة، وأراقوا دماء زكية بريئة، وما زالت تتفاعل دون حسم نهائي. قضية لا تؤثر على عمل الإنسان، وليس لها مدخلية في قبول الأعمال أو ردها، ولا يسأل الله تعالى الناس عنها، تلك أمة خلت. ماذا يريد المسلمون بالضبط؟ أليس للسلطة اليوم مفهوم آخر، لها أدواتها وآلياتها؟ أليس طرق الوصول للحكم باتت واضحة لا علاقة لها بما مضى؟ لقد باتت الشعوب تطالب حكامها بمستقبل آخر وفقا لتطور الحضارات، ولا تريد العودة للماضي كما يتمنى رجل الدين، ليبقى متسلطا على رقاب الناس بالباطل.

ما نحتاجه عاجلا أن يفهم الناس دورهم في الحياة، وما هو

المطلوب منهم دينيا من خلال كتاب اللّه لا من خلال أقوال الفقهاء.

إن مهمة الإنسان في هذه الحياة خلافة الأرض وإعمارها، حيث استعمرهم اللّه تعالى فيها لإحيائها والتعرف على قدراته وعظمته من خلال قوانينها وسننها التي تدل دليلا قاطعا على وجوده ووحدانيته وعظمته، وما الماضي سوى تجربة بشرية في مسار طويل، لها ظروفها التي لا نستطيع معرفة ملابساتها لبعد المسافة وعدم قدرتنا على توثيق أحداثها من خلال كتب التاريخ والتراث. وقد انتهى دور الوصايا الدينة بختم النبوة ليرتكز الإنسان لعقله وتجربته الحياتية، ويستظل بالدين وقيمه ومبادئة في مسيرته الطويلة، فما عاد الإنسان بحاجة لاحضان الدين، سوى روحه الهلعة، كي تستقر وتطمئن وتسمو إلى اللّه من خلال معرفته والانفتاح عليه بقلب سليم، وتعيش تجربتها الدينية مع الخالق جل وعلا. العقل الآن يتحدى ويشق طريقه بثبات، وقدّم لنا حضارة راقية فما علينا سوى العودة لعقولنا ووعينا.

نعود للسؤال: فالشفاعة دينية لأنها ذات جذر قرآني، واجتماعية باعتبارها فعل اجتماعي متعارف عليه، وسياسية باعتبار التنظير لها بهذه السعة يخدم مصالح المتنازعين على السلطة. مع التأكيد أن مفهوم الشفاعة قرآنيا وأخرويا يختلف عنه اجتماعيا وفي الحياة الدنيا لأن طبيعة الحياتين متغايرة، وطبيعة الإنسان وفهمه وإدراكه ووعيه للأشياء مختلف بين الدارين أيضا. وقد ذكرنا ما يكفي من أدلة قرآنية لبيان الشفاعة وتفصيلاتها.

المحور الثالث

المهدي المنتظر في العقيدة الشيعية

استحالة الرؤية

س16: طارق الكناني: في حديث منسوب للإمام الحجة (الإمام المهدي المنتظر عند الشيعة) وعلى لسان آخر السفراء أنه لن يتسنى لأي شخص رؤيته بعد وقوع الغيبة الكبرى ولا يوجد سفراء بعده، وبالرغم من هذا الحديث مازلنا نسمع الكثير من علماء الشيعة بأنهم حازوا على شرف اللقاء مع الإمام الغائب وتكلموا معه، ويدعي الكثير منهم بأن خطاهم مسددة ببركة الإمام الحجة ومشورته ومن هؤلاء مازال على قيد الحياة.

ما مدى صحة الحديث الوارد عن الحجة بعدم قدرة أي شخص على رؤيته إذا وقعت الغيبة الكبرى؟.

ج16: ماجد الغرباوي: هناك توقيع نقله السفير الرابع علي بن محمد السمري عن الإمام الحجة أو المهدي المنتظر، يقول فيه كما ذكر في المصادر الشيعية:

(... إن السمري السفير الرابع للإمام الحجة عليه السلام، أخرج للناس توقيعاً للإمام جاء في نصه: (يا عليّ بن محمّد السمري أعظم اللّه أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، قد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلاّ بعد إذن اللّه عزّ وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مُفتر ولاحول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم).

وهذا خبر صحيح وفق مبانيهم، وصريح ينفي إمكانية رؤية الإمام المنتظر خلال غيبته الكبرى التي بدأت بعد وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري مباشرة، عام 329هـ. وبالتحديد كما جاء في التوقيع "قبل خروج السفياني والصيحة" وهما من علامات الظهور، فيمكن تكذيب من يدعي رؤيته خلال غيبته الكبرى استنادا لهذا الخبر: (فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مُفتر). بل أزعم أن التوقيع ينفي أي ظهور، وما الانتظار إلا وهم لا دليل عليه. ودليلي أن التوقيع صريح عندما علق ظهوره بإحدى علامات يوم القيامة حيث نهاية عالم الدنيا، بل أن الصيحة كما في سورة ياسين من علامات الآخرة. وأما السفياني مجرد اسم بلا تفاصيل فهو قضية مجهولة. وهذا يؤكد إما موت المهدي أو عدم ولادته أساسا. وقبل هذا وذاك أن التوقيع علق ظهوره على إذن الله تعالى، ولا يمكن لأحد التنبؤ بها، كما أن عدم تطرق آيات الذكر الحكيم لها دليل كافٍ لنفي القضية جملة وتفصيلا.

س17: طارق الكناني: ما هو سبب عدم رؤيته ما دام حيا؟. هل السبب فيه أم في الظروف المحيطة به؟ وإذا كانت الظروف هي السبب فنحن نجزم بارتفاعها خلال هذه المدة الطويلة جدا، فما يمنع الناس أو على الأقل المخلّصين له من رؤيته؟ اتمنى جوابا صريحا حول هذه النقطة المهمة

ج17: ماجد الغرباوي: التوقيع لم يبيّن سبب تعذّر رؤيته ما دام

المهدي حيا وإنسانا بكامل وعيه كما يقولون. وقد اكتفى العلماء بالتعليل الوارد في التوقيع حينما ربطوا أمر ظهوره بالله عزوجل، حيث قال: (قد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلاّ بعد إذن اللّه عزّ وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً).

والتمويه واضح في أجوبتهم لوضوح الفرق بين الظهور علنا لممارسة دوره، وهذا مرتبط بالله تعالى كما جاء في التوقيع، وبين لقائه ورؤيته. فبأي دليل علقوا رؤيته على مشيئة الله وقد تجاهل التوقيع موضوعها؟ أليس التهرّب واضحا في جوابهم؟. السؤال عن سبب تعذر الرؤية لا عن الظهور فلماذا يربطونها بمشيئة اللّه. إذاً فتعذر رؤيته أو مشاهدته مطلقا يعمّق الإشكال ويبعث على الريبة والتساؤل حول أصل وجوده حيا منذ ولادته 255 هـ.

لقد بين التوقيع المتقدم سبب عدم ظهوره، لكن لماذا تمتنع رؤيته؟ رؤية الإمام لا علاقة لها بظهوره وممارسة دوره الديني والسياسي علنا، فيفترض إمكانية رؤيته، لا أقل لخاصة الشيعة ومنهم مراجع الدين العظام، ولم يدع أحد منهم لقاءه.

إنه أمر مريب مع حاجة الشيعة للتواصل معه بعد توقف السفارة، وانقطاع التواصل معه!!. وهنا يحق لنا السؤال:

هل علة تعذّر رؤيته مطلقا في الغيبة الكبرى ذاتية، تعود لطبيعته؟ أم مرتبطة بشخصه وظرفه؟ فإذا كان السبب ذاتيا فهنا احتمالان:

موت الإمام

الأول: احتمال وفاته بعد أن عاش 70 عاما هي مدة الغيبة الصغرى، ولم تساعد الظروف السياسية على ظهوره علنا ، فاستعان بالسفراء للتواصل مع شيعته، ثم دنى أجله ومات، فلا حاجة للنيابة أو السفارة. ومن باب أولى تمتنع مشاهدته، وسيكون كاذبا من يدعيها. وهذا احتمال معقول جدا ، على فرض صحة ولادته ووجوده. فالسبعون عاما ربما هي أكثر من معدل حياة الإنسان آنذاك حيث تنتشر الأمراض والحروب. ولا يقاس على عمر شواذ المعمّرين. ولا يستدل بعمر نوح لأنه مختص به.

كما ينبغي التنبيه أن مسألة طول غيبته غير مطروحة في ذلك الزمان، وكان الناس يترقبّون ظهوره ويتلهفون لرؤيته، لهذا شكلّ طول غيابه تهديدا خطيرا للعقيدة الشيعية في حينه، فراح متكلموهم يربطون ظهوره بمشيئة الله، وأن المسألة غيبية يتعذر على الإنسان معرفة أسبابها. فكان الغيب وما يزال علة سحرية لتبرير ما يعجز العقل على تبريره. خاصة مع وجود روايات تؤيده. إنه أسلوب مراوغ لكنه ناجح جدا مع سذاجة الوعي وغياب العقل. هذا بالنسبة للاحتمال الأول.

وهم الاعتقاد

الثـاني: إن المهـدي قضـية وهميـة، فرضـتها ظـروف الطائفـة الشيعية، وعقيدتها بعدد الأئمة، فهي سالبة بانتفاء الموضوع كما يعبر المنطقيـون، فعـدم إمكـان رؤيتـه تحصـيل حاصـل، وكـان التوقيع صادقا جدا، ولازمه كذب من يدعي رؤية المهدي أو يدعي السفارة عنه.

فالسـفارة وفقـا لهـذا الاحتمـال، كانـت خطـوة لتـدارك انهيـار الوضـع الشـيعي، ومرحلـة انتقاليـة بـين الحضـور والغيـاب المطلـق، لامتصاص صدمة الفراغ القيادي لعدم وجـود مـن يتـولى الإمامـة مـن أبنـاء الحسـن العسـكري. وقـد اقتصـر دور السـفراء علـى قضـايا إداريـة وتنظيمـة تـرتبط بـالحقوق الشـرعية، وأحـالوا الشـيعة علـى الفقهاء لمعرفة الأحكـام الشـرعية، فانتفت الحاجـة الفعليـة لوجـود الإمـام ظـاهرا، وتكفـي غيبتـه المـبررة سياسـيا وأمنيـا لطمأنـة نفوسـهم، وترسـيخ إيمـانهم بالإمامـة. فاكتمـل عـدد الأئمـة، بإمـام غائـب، وهـذا مطلـب أسـاس وفقـا للمنظومـة العقائديـة الشـيعية. وربطـوا ظهـوره بمشـيئة الله تعـالى، وهـو أفـق مفتـوح يبـدد جميـع الشـكوك والاعتراضـات. فالسـفارة كانـت خطـة ذكيـة جـدا، حققت من خلالها الغيبـة الصـغرى كامـل أهـدافها: (اكتمـال عـدد الأئمة كي لا تتخرم العقيـدة الشيعية بعـدد الأئمـة. وطمأنـة الشـيعة بوجود إمامهم، كي لا تخلو الأرض من إمام. غايـة الأمـر أنـه غائـب وسـيظهر بمشـيئة الله تعـالى). فلاحـظ دقـة التخطـيط وحبكتـه،

وبالفعل حقق نجاحا باهرا. ربما لم يكن مخطط له بهذه الاستراتيجية لكنه فاق التوقع في نجاحه وأداء رسالته.

وبالتالي فالسفارة قضية فرضتها ضرورات الواقع والتحديات الخطيرة التي هددت الكيان الشيعي برمته. فكان تذمر الشيعة يتصاعد طرديا مع تأخر ظهوره يوما بعد آخر، لكن وجود السفراء طمأن الشيعة، وهدأ مخاوفهم بشكل تدريجي حداً وطنوا أنفسهم على غياب الإمام على أمل ظهوره مستقبلا. وقد ساعدت الروايات على تعزيز ثقة الشيعة بعقيدتهم، فراحت الروايات تترى لتحد من مخاوفهم، وترسّخ إيمانهم بعقيدتهم بشكل عام، وبوجود المهدي المنتظر بشكل خاص. ثم جاءت روايات الرجعة لتبعث الأمل في لقاء الإمام في الدنيا مستقبلا والتنعم بعدالته ودولته. ويفتخر غلاة الشيعة بالرجعة وأحداثها، ويعقدون عليها آمالا واسعة.

وهذا أيضا احتمال معقول، خاصة وقد علق التوقيع ظهوره على أمرين: ظهور السفياني، وهو اسم نكرة، مجهول، كل ما يدل عليه انتسابه لأبي سفيان، او اتصافه بصفاتهم السيئة، فهو مستوحى من تلك القرون، ولا يوجد ثمة من ينتسب له حاليا، فعلق الظهور على قضية وهمية لا تتحقق، وهذا دليل آخر على عدم وجوده أساسا، أو موته. ثم يأتي الشرط الثاني فيعطي مصداقية كبيرة لهذين الاحتمالين عندما علق التوقيع ظهوره على الصيحة، وهي من علامات يوم القيامة قرآنيا!!! فلا ظهور إطلاقا، خاصة مع ربط القضية برمتها بمشيئة الله تعالى.

ثم لم يصرّح السفراء في رسائلهم بلقائه بل يقولون: خرج التوقيع

من الناحية المقدسة. فراحت توحي عبارة "الناحية المقدسة" تحت تأثير العقل الجمعي أن المراد بها هو الإمام المهدي من غير دليل!!.

إضافة إلى أن السفير الرابع شخصية مجهولة، لم يُذكر في المصادر الرجالية، ولا توجد معلومات عنه، فكيف نصدق ما يخبر به؟. وأساسا لا دليل على سفارته سوى إدعاء بني نوبخت، العائلة الشيعية المتنفذة آنذاك، ومن حراس العقيدة، بأن التوقيع خرج بتصيب علي بن محمد السمري سفيرا رابعا، فلماذا لا نحتمل أنهم كانوا وراء التوقيع الأخير بعد انتهاء مهمة السفارة؟ خاصة أن صياغة التوقيع بانتهاء الغيبة الصغرى كانت دقيقة جدا. وقد صدق الناس. ومَن يعترض أو يكذب بني نوبخت في حينه؟ هل يمكنك اليوم تكذيب أبناء المرجع الأعلى حول أية قضية تخصه؟ لا تستطيع. لأنك لا تلتقيه للتأكد بنفسك، وليس لك دليل على كذبهم.

لقد أدى السفراء دورهم ضمن خطة محكمة على أفضل وجه، وانتهت مهمتهم بوفاة السفير الرابع، حيث سد السفراء الأربعة الفراغ القيادي الذي حصل بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، ووطّأوا لغيبة مفتوحة عندما ربطوا أمر ظهور الإمام بمشيئة الله.

إن عدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري أحرج فقهاء وعلماء وكبار التشيع، وأحبط آمال الشيعة في لقاء إمامهم الثاني عشر، فماذا يفعلون وقد سرى الشك حداً مزق التشيع الى 13 فرقة، كما ذكر الشيخ المفيد؟. فهل يتراجعون عن عقيدتهم بعدد الأئمة ويعلنون الحقيقة؟ أم يتخذون تدبيرا ينقذ الوضع، ويحفظ ماء

الوجـه، ولا يـؤثر علـى وضـعهم الـديني؟. لا شـك أن السـفارة قـرار صائب في حينه، وليس أمامهم حلا آخر أمام حيرتهم. فنعم الخطـوة الـتي أتـت أكلـها أضـعافا مضـاعفة، لكنهـا أفضـت إلى خَـرَفٍ عقائدي شوّه صورة التشيع. بل ذكـر الحسـن بـن موسـى النـوبختي مـن أعـلام القـرن الثالـث الهجـري في كتابـه فـرق الشـيعة: انقسـم الشـيعة بعـد وفـاة الإمـام الحسـن العسـكري إلى 14 فرقـة. وقـد ذكرها بالتسلسل (انظر كتاب فرق الشيعة للنوبختي: ص96).

لقد كانت السفارة حلا عمليا جريئا حقق كامل أهدافه بنجاح منقطع النظير. فأجد في التوقيع بـراءة وحسـن نيـة وإخـلاص، حيـث قطع كاتبه جميع التكهنات حول المهدي ونيابته ومستقبل ظهوره، بعد أن أدت السفارة دورها لتهدئة مخاوف الشيعة ورص صفوفهم، وقامت بواجبها من الناحية الشرعية بلا تبعات دينيـة، بعـد أن أحـال السـفراء النـاس علـى فقهـاء الشـيعة في مجـال الأحكـام الشـرعية، وتولوا بأنفسهم اسـتلام الحقـوق الشـرعية نيابـة عـن الإمـام المهـدي، وهـذا يكفـي. وبالتـالي فالسـفارة كانـت خطـوة جريئـة جـدا قادهـا السـفير الأول ونجحـت علـى مـدى سـبعين عامـا، وهـي فـترة كافيـة كتوطئة لغيبة مفتوحة.

فكاتـب التوقيـع الـذي صـدر عـن الناحيـة المقدسـة، علـى يـد السـفير الرابـع وأعلـن فيـه بدايـة الغيبـة الكـبرى، كـان صـادقا في نواياه، وكـان بحق كنزا معرفيا لمـن يتأملـه بتجـرد كامـل، حيـث كشـف بوضـوح معـالم المشـروع الشـيعي والأسـباب الكامنـة وراءه. ويكفـي دلـيلا علـى صـدقهم أنهـم كـانوا ينسـبون مـا يصـدر مـن

تواقيع للناحية المقدسة التي كما يحتمل أنها تشمل الإمام المهدي، يحتمل أيضا أنها تشمل علماء وفقهاء الشيعة، وربما يقصد بها ذات السفير وحده، فهي سفارة تضم كادرا متخصصا في شؤونها. خاصة إذا عرفنا أن السفير الأول عثمان بن سعيد كان يدير مكتب الإمامة في زمن العسكري، وكان متنفذا جدا، وكان كاتبه ابنه محمد بن عثمان بن سعيد الذي صار سفيرا ثانيا للمهدي، فماذا سيتغير سواء وجد الإمام أم لم يوجد؟ كان عثمان بن سعيد المتنفذ الوحيد في مكتب الإمامة وكان يمسك بكل شيء، وكان أقوى حضورا من الإمام، خاصة في المجال المالي وإدارة شؤون وكلاء الإمام. يشهد لذلك مراسلات العسكري مع أصحابه، حيث تجد بصمات عثمان بن سعيد وأسلوبه في المخاطبة واضحة فيها. فاحتفظ بنفس صلاحياته ومسؤولياته بعد وفاة العسكري، ثم بعد وفاته حل مكانه إبنه الذي تمرّن على يديه واتقن وظيفته بشكل أصبح كاتبا للإمام وأبيه وصاحب ختمهما. وإذا كانت هناك مشكلة مرجعية، فحول شرعية السفيرين الثالث والرابع. والأمر كان هينا بفضل بعض كبار الشيعة، خاصة بني نوبخت وقوة حضورهم في الوسط الشيعي.

هذا بالنسبة للسبب الذاتي بكلا احتماليه.

السبب الموضوعي

وأما السبب الموضوعي، فيمكن أن يقال:

الأول: إن عدم إمكان رؤيته أمر مرتبط بالله حقيقة. وهو احتمال ممكن، لولا انقطاع الوحي عن النزول، واختصاصه بالرسول الكريم وقد مات!!.

وأما الروايات الواردة في المقام (وتدعي نزول الوحي بشكل وآخر بعد الرسول) فليست حجة بسبب ضعف الإسناد وتعارضها مع القرآن والعقل. وما خالف كتاب الله فهو زخرف، وما عارض الكتاب فاضربوا به عرض الجدار، كما جاء في عدد من الروايات. فلا يوجد وحي يخص رسالات السماء لغير المرسلين والأنبياء إطلاقا، وهذا من البديهيات، بل هو الفارق الأساس بين النبي وغيره، أن النبي أو الرسول يوحى لهم، كي يواصلوا رسالتهم، فهم بحاجة لوحي السماء، كي لا ينطقون عن الهوى، فما حاجة غيرهم للوحي الرسالي وهم ليسوا برسل ولا أنبياء، وقد أكتملت رسالة الإسلام بنص صريح لا لبس فيه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا).

وبالتالي، فلا علاقة لله تعالى بغيبته ولا بظهوره. (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا).

وما يريده منا تعالى اسمه مكتوب في كتابه الكريم، بشكل صريح وواضح.

الثاني: إن سبب تعذر رؤيته في الغيبة الكبرى ذات سبب غيبته، أي خوفا من ملاحقة السلطة العباسية، التي فرضت الإقامة الجبرية من قبل على جده علي الهادي ووالده الحسن العسكري، والتي تسعى لقتله بعد ولادته. وهو ما صرح به السفير الأول عثمان بن سعيد عندما أعلن خبره على الملأ.

وهذا ليس معقولا وغير مقنع على المدى البعيد إطلاقا، فلا يمكن للخوف أن يكون سببا وعلة دائمة لغيابه، لأننا نجزم بارتفاعه فعلا بعد غيبته الكبرى، فلماذا لم يلتقه أحد بشكل موّثق لا لبس فيه خلال فترات الاسترخاء الأمني كي يتعمّق إيمان الناس به، وتنقطع شكوك المشككين؟ بل لماذا لم يظهر والناس بأمس الحاجة لحكومته العادلة، بعد تفشي الظلم والاستهتار بقيم السماء والإنسان، وقد مرت بالشيعة ظروف قاسية جدا، وكان الوضع أمنيا مهيئا لظهوره؟ بل لماذا لم يتدارك الوضع الشيعي قبل الأزمات السياسية التي مروا بها؟، بل لماذا على فرض وجوده ولقائه بهم كما يدعي البعض لم يصوّب اجتهادتهم وفتاواهم؟ أليس اختلاف الفتوى دليل آخر على عدم وجوده؟

هذه المسألة سببت حرجا كبيرا لعلماء الشيعة، فربطوا تعذر رؤيته بمشيئة الله، للتخلّص من كثرة الإشكالات واستمرارها وعدم وجود أجوبة مقنعة يرتضيها العقل والمنطق السليم.

ثم أي خطر يشكل طفل بعمر خمس سنوات على السلطة العباسية وشخص الخليفة المتوكل كي تتوجس من وجوده

وتطارده؟. العباسيون يحذرون أهل البيت عندما يشكلون خطرا حقيقيا عليهم من خلال قواعدهم الجماهيرية وتحركاتهم السرية.

فالخوف إذا لا يبرر غياب طفل صغير لا لشيء فقط لاحتمال أن يشكل خطرا على سلطتهم مستقبلا، علما أن العباسيين لم يرصدوا أي تحرك سياسي للأئمة المتأخرين. ويبدو أن الروايات انتبهت للإشكال فراحت تصفه بصفات توحي بخطورته حتى مع كونه طفلا، وقد انطلت وما زالت تنطلي على رثاثة الوعي.

ثم لماذا لم تقتل السلطات العباسية أباءه؟ ورواية: ما منا إلا مقتول أو مسموم، ليست ثابتة. ولماذا لم يلاحقوا أطفال مناوئيهم الآخرين، الذين قد يكونوا أشد خطرا عليهم؟.

وخلاصة الكلام أن الخوف ليس مبررا حقيقيا لغيابه. والمقارنة بفرعون الذي قتل أبناء بني إسرائيل خطأ، لأن القرآن قد نقل لنا حوادث وقعت فعلا وشملت الجميع، وهنا أمر مختلف.

التراجع الإيجابي

س18: طارق الكناني: أشعر من خلال كلامك أنك تتحفظ على بعض العقائد الشيعية، فهل تقترح شيئا لتفادي حالات الشك والريبة كما تقول؟

ج18: ماجد الغرباوي: إن تبرير الشيعة لعدم ظهور الإمام المهدي وتعذّر رؤيته كان مقبولا في السنين الأولى، لكن ما معنى التمسك بروايات بعد مضي أكثر من 12 قرنا؟!!! هذه الروايات لم تعد حجة لعدم وجود مقتضٍ لموضوعها، وموضوعها: (إمام غائب تعذر ظهوره لسبب ما).. فليست المشكلة في وجود مانع يحول دون ظهوره، ولكن المشكلة في عدم وجود مقتضٍ لبقائه بعد امتداد عمره. فنحن نجزم الآن بموته على فرض صحة ولادته. وهذه سنن الحياة تجرى على جميع البشر، ومن يدعي هناك عهد إلهي ببقائه حيا منذ 1250 سنة فليأتِ بآية من كتاب الله، فليس لله مصدر غيره. وأما الروايات فلا يمكن الجزم بصحتها، أو أنها ناظرة للسنوات الأولى من باب التخمين ليس أكثر. وأجزم أن الرسول لا يتكلم خلاف العقل، ولا ينطق بما يعارضه ويخالف الكتاب الحكيم: (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) . فلا تنفع الأدلة والبراهين لإثبات وجوده حيا لعدم وجود مقتضٍ لحياته، كالشمعة التي تركتها تشتغل في غرفتك فإنك تجزم في اليوم التالي بانطفائها، لعدم وجود مقتضٍ لبقائها فترة أطول. فالجدل

حول بقائها مشتعلة عقيم. وهكذا الأمر بالنسبة للإنسان، فكل إنسان تبيد خلاياه، وتتراجع قابلياته الفكرية كلما تقدم بالعمر: (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون)، (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ). واستثناء نوح النبي لا يقاس عليه لأنه حالة خاصة نص الكتاب العزيز عليها، فنقتصر عليه، فضلا عن إمكانية تأويلها والاستفهام حول مقاصدها، فهل المراد بالسنة ذات مفهوم السنة عندنا أم هي وحدة زمنية مختلفة؟ وهل يقصد القرآن المبالغة بالعدد المذكور أم لا؟. وماذا عن إطلاق آية (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون)، هل تستثني نوح أم لا؟ مما يبرر إثارة أسئلة أخرى حول موضوع طول عمر النبي الكريم نوح.

فالمسألة قبل تداولها في ضوء الروايات والأحاديث ينبغي التأكد من إمكان وقوعها خارجا، فإذا كان وقوعها خارجا ممتنعا لأي سبب، ذاتي أو موضوعي، فلا تصل النوبة للروايات، وهكذا إذا كانت مخالفة للكتاب العزيز. مسألة وجود المهدي حيا بعد هذه القرون خرجت عن كونها بشارة نبوية، ولا يجوز تداولها في إطار الروايات والتاريخ. الروايات تقع في طول العقل والقرآن وليس في عرضهما. والأمر لا يرتبط بعصمة مصدرها أو عدم عصمته. فضلا عن عدم وجود شيء يتوقف على وجوده وبقائه حيا كل هذه القرون، سوى أوهام وأمنيات لغلاة الشيعة. بل لا يمكن لأي دين أو رسالة سماوية أو حكومة ومجتمع إسلامي على وجود شخص محدد. هذا بيان للناس (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

على الشيعة إعادة النظر في عقائدهم بعد تلاشي الضرورات التي فرضتها عليهم، فليس الطائفة الشيعية حزبا سياسيا ولا عشيرة قبلية، وليس التشيع سوى مذهب فقهي ورؤية دينية قابلة للتطور. فعليهم الاهتمام بالجوانب المشرقة من مدرسة أهل البيت، والتأكيد على سلوكهم وأخلاقهم وإلتزامهم، ولا تأخذهم في الله لومة لائم لو تراجعوا عن بعض معتقداتهم، في سبيل الله واحتراما لأهل بيت النبوة. والتشيع مذهب مرتبط بالله تعالى وليس بالإنسان ومواقفه حتى يخشوا شماتة الأعداء. إن تطور العلوم واتساع آفاق الوعي لم يدع مجالا للتمسك بجميع العقائد، وقد أصبحت مقاصد الشريعة وفلسفة العبادات وفهم الدين والأحكام واضحة بيّنة، لا مجال للتعبد المطلق فيها، وغدا التعبد تعبدا مستنيرا بالعلم والمعرفة والعقل والوعي، إلا ما استعصى من الغيب كوجود الجن والملائكة، فنكتفي بما بينه الكتاب الكريم.

سوف لن يؤثر تراجع الشيعة عن بعض عقائدهم إطلاقا فهم اليوم مذهب فقهي، ومدرسة لها معالمها، ودولة بشكل مستقل أو مشارك، فما الداعي لإرهاق العقل الشيعي بعقائد يتناقض بعضها مع العقل وتطور العلوم؟ وما الداعي لبقاء الشيعي مستنفرا، يرتبك في تبرير عقائده؟ ولماذا يبقى رد فعل الشيعي غاضبا بوجه كل من يستفزه؟ ألا يكفي ما بُذل من أموال وطاقات، سواء على صعيد تحقيق التراث أو التأليف أو تسخير الخطباء ووسائل الإعلام؟ فماذا حققوا طوال هذه السنين؟

لا ينسَ الشيعة أن أدلتهم العقائدية هشة، ضعيفة، من السهل الطعن والتشكيك بها، وهذا ما جعلهم متوثّبين دائما، يلجأون للعواطف والطقوس لتعميق إيمان الشيعة بها. ولو ترك الشيعي وعقله بعيدا عن التأثيرات العاطفية سيتخلى عن بعضها. اليوم لا تصمد سوى العقائد المصرّح بها قرآنيا، والتي لا تخالف العقل والمنطق، وهذا هاجس الشيعة حيث لا يوجد دليل صريح في القرآن الكريم على أي من عقائدهم، باستثناء العقائد الإسلامية المشتركة، (لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه). الشيعة بحاجة ماسة لوعي يتجاوزون به عقدة الطائفة، والمظلومية، والحق المطلق، والفرقة الناجية، وأن يكرّسوا وقتهم وجهدهم للجوانب المضيئة في مذهب ومدرسة أهل البيت. العقيدة في عصر العلم وفلسفة التنوير لا تبنى بالتأويلات ومراكمة الخرافات، والاستجارة بالتراث. بات الإنسان يشك بكل شيء، ومن حقه أن يشك ليكون على بصيرة من أمره كي لا يشمله قوله تعالى: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا). انظر لدقة التعبير، فالآيات آيات اللّه تعالى ومع ذلك يمتدحهم القرآن لأنهم لم يخروا عليها صما وعميانا. الآية هنا تؤسس لضرورة التدبر بعقل وروية في جميع المسائل الدينية والعقائدية. فليس هناك تعبد محض في مجال العقيدة، والقضايا الدينية باتت خاضعة للتدبر والنقد، كي لا يُخر عليها صما وعميانا، كما هو حال بسطاء الناس الذين يسوقهم العقل الجمعي، بلا وعي ولا تدبر. القرآن في الآية المتقدمة يضع العقل فوق النص في مجال العقيدة، فلماذا لا نتلزم بالنهج

القرآني في مجال العقائد؟

كم استغرب من مصطلح "مستبصر" الذي يطلق على من يهجر مذهبه ويتعبد بالمذهب الشيعي!!. لا أدري ما الذي يحصل ويتغير عندما ينتقل شخص من مذهب إلى آخر سوى بعض الأحكام الشرعية. هل يعلم الشيعة أن الشيخ المفيد كبير الطائفة الشيعية يقول نسبة اتفاق المذاهب الإسلامية فقهيا 95٪، وموارد الاختلاف محدودة لا تتجاوز عدد أصابع اليد؟ ثم هل يعلم الذين يفرحون باستبصار شخص أن العقائد الشيعية لا دخل لها بعبادة الإنسان وقبول الأعمال، ومن يشك في كلامي ما عليه سوى مراجعة جميع فقهاء الشيعة حول هذا الموضوع، بما في ذلك الشهادة الثالثة، فعلامَ الفرح؟ هل الشيعة عشيرة تجند الآخرين ضد خصومهم ومناوئيهم؟ أم هي مدرسة دينية علاقتها المباشرة بالله تعالى وترجو رضاه لا غير؟ هل يخاف الله تعالى أحد حينما لم يصرّح بشيء من عقائد الشيعة في كتابه الكريم؟.

المشاهدات

س19: طارق الكناني: إذا كيف ادعى رؤيته هؤلاء العلماء المعروفون بالورع والتقوى إذا كان الحديث صحيحا، وهو ينفي إمكانية رؤيته؟.

ج19: ماجد الغرباوي: ادعاءات رؤية المهدي لم تنقطع، وقد نقلت الكتب التراثية والتراث الشفاهي للشيعة عددا كبيرا من القصص، فحاروا كيف يوفّقون بين قوله: (فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مُفتر)، وبين من إدعى رؤية الإمام المهدي، خاصة أن بعضهم شخصيات مهمة، وثقات كما يعبّرون؟.

ظهرت محاولات عدة لرفع التعارض بين تكذيب رؤيته مطلقا "كما في التوقيع الوارد عنه"، وبين إدعاء الرؤية من قبل شخصيات شيعية بارزة، وذلك من خلال تأويل كلمة (المشاهدة) المذكورة في التوقيع لرفع التعارض بين مؤدى الخبر وإدعاء رؤيته.

- فهناك من أوّل كلمة "المشاهدة" بإدعاء السفارة عنه، فيدعي المدعي أنه شاهد الإمام ونصّبه سفيرا خامسا مثلا، فهذا هو الافتراء والادعاء الكاذب. فالخبر لا يكذّب مطلق الرؤية والمشاهدة، بل يكذّب من يدعي السفارة خلال رؤيته، أي يدعي: شاهدت الإمام ونصّبني سفيرا عنه. فلا يشمل التكذيب من ادعى المشاهدة فقط.

-وبعض قال: إن المقصود بـ (المشاهدة) التعرّف إليه شخصيا

حال رؤيته مباشرة، وهذا هو المقصود بالخبر. فلا يشمل التكذيب من يدعي مشاهدته ثم عرف أنه المهدي فيما بعد. وبهذا يرتفع التعارض بين تكذيب الرؤية كما في الخبر وبين دعوى الرؤية، لأن الاكتشاف جاء بعد المشاهدة وليس متزامنا معها.

- وثالث قال: إن المقصود بالمشاهدة الواردة في الخبر هي معرفة كونه الإمام المهدي حال رؤيته بلا قرائن. فلا يُصدّق من يدعي المشاهدة ومعرفة كونه المهدي بلا قرائن، ولازمه عدم تكذيب من يدعي مشاهدته ومعرفته من خلال قرائن، حالية أو مقامية.

- وهناك من ضعّف الحديث وشكك في حجيته مطلقا فليس لديه مشكلة في تصديق من يدعي مشاهدة أو لقاء المهدي.

- ومنهم من أسقط حجية الخبر لأنه خبر آحاد فلا تشمله الحجية على رأي القدماء. كمبرر لتصديق دعوى من يدعي رؤيته ومراكمة شواهد تؤكد وجوده حيا. لكن الغريب لم يدع أحد من مراجع الدين الكبار رؤيته ولقاءه للمهدي في غيبته، رغم حاجة المرجع الديني له!!. سوى أخبار لا يوجد ما يؤكد صدق مؤداها.

س20: طارق الكناني: لكن المشاهدات كثيرة، فلماذا لا يمكن الاستدلال بها على رؤيته فعلا، بمعنى أنه موجود لكنه غائب لسبب لا يعلمه إلا الله؟

ج20: ماجد الغرباوي: المشاهدات المزعومة ياسيدي لا تشكل بمجموعها دليلا مقنعا على وحدة المرئي، وأنه المهدي بالذات، ومن

ثم وجوده حيا. ثم كيف نحيل على أشخاص ماتوا، وآخرين لا توجد جهة محايدة تؤكد صحة رؤيتهم؟. كما أن جميع المشاهدات تجارب شخصية لا دليل على تطابق موضوعها!!. مع ضعف أدلة الإدعاء، فأغلب من يدعي مشاهدة الإمام المهدي ينهي قصته بما يلي: ... "فنظرتُ من حولي فلم أجده، فعرفت أنه الإمام المهدي أو الحجةّ المنتظر!!". وهذا مجرد إدعاء لا دليل على صدقه بالنسبة لنا، ولا يصلح دليلا لإثبات وجوده. ثم كيف نثبت بهذه المشاهدات وحدة المرئي، وأنه ذات المهدي المنتظر؟ وكيف نثبت أن مَن رآه زيد نفس من رآه عمرو؟؟. وأساسا لماذا افترضوا أن المرئي هو المهدي وليس شخصا آخر؟ والغريب بعضهم يقول هو أخبرني أنه المهدي!!. وهل كل من يخبرك بشيء تصدقه بلا دليل يؤكد دعواه؟. هل تصدق من يدعي أنه مسؤول في الدولة بدون دليل؟ فلماذا تصدق شخصا مجهولا أنه المهدي بلا دليل؟؟.

لا شك أن أدلتهم نفسية، لا دليل على صحتها إطلاقا، ومجرد رغبات شخصية يتوهم معها المدعي رؤية المهدي، سيما وهو يحمل صورة مثالية عن قدرات المهدي المزعومة في الاستجابة والتخفي والحضور والاستغاثة. أو لأنه يجهل هوية المتحدّث وسبب اختفائه المفاجئ، فيدعي بلا دليل، سوى عقله المسكون بالغيب، أنه المهدي!!، لولعه به، وكثرة تفكيره بلقائه، وتوقع رؤيته، فهي أمنية بالنسبة له، يمنّي نفسه بها دائما، فيتشبث بكل شيء حد الهوس، فالمهدي أول ما يتبادر في ذهنه لتفسير بعض الظواهر والمفاجاءات. والناس بسذاجتها وطيبتها تصدّق، خاصة إذا كان

الراوي رجلا وقورا، يعتمر عمامة كبيرة، ويسدل لحية طويلة.

إن انطباع مدعي المشاهدة عن المهدي وقابلياته على الحضور الفوري بقدرات خارقة تجعله واثقا من كلامه. فالأرض كما هو متداول في الميثيولوجيا الشيعية تنطوي للمهدي. وقدرته على الاختفاء أساليبها غريبة، ويمكنه استغاثة من يستغيث به حالا. فلهذه الأسباب وغيرها يعتقد جازما أنه التقى المهدي!!.

بسطاء الناس لا يأخذون الوعي شرطا في هكذا قضايا، ولا يلجأون للعقل والقرآن في محاكمتها. بل هم أكثر سذاجة من الراوي حينما يعتبرون لقاءه بالمهدي دليلا على منزلته عند اللّه وأهل البيت!!. فيحظى باحترامهم رغم أن دعواه مجرد وهمٍ أو كذبة فاقعة.

ثم مهما كان عدد المدعيّن لا يعني وحدة الموضوع أو المرأي، ولا يؤكد صحة كلامهم، ما دامت تجارب شخصية، لا يعزز بعضها الآخر، وعدم وجود جهة محايدة نحتكم لها، وجهل تام بصفاته ومشخصاته التي تعضد صحة الخبر. فلو اختفى شخص نعرفه بكامل صفاته، ثم جاءنا من ادعى رؤيته، فحينئذ يمكن تصديقه مع ضمان تطابق الصفات التي نعرفها، ثم نزداد يقينا بوجوده حيا مع كل رواية وإدعاء جديد يتطابق مع الرؤى السابقة، ومع كل مشاهدة يزداد احتمال صحة لقاء ذات الشخص مما يؤكد وحدة المرئي وفقا لحساب الاحتمالات. لكن من أين نأتي بمشخصات المهدي لنتأكد من صحة المشاهدات، وتطابقها مع المرئي؟ لذا لا ينفع حساب الاحتمالات.

ياسيدي بلغ الإسفاف حداً نسبوا كل مجهول الهوية للمهدي، فمن يحدّثه أو يرشده مستطرق يجهل هويته، يفترض فورا أنه المهدي، بدليل أن اللقاء كان صدفة أو في ظرف استثنائي، وقد اختفى عن ناظره فجأة!!. فالقدرة على الاختفاء صفة ملازمة له كما يعتقدون. فلا يمكن الاستدلال على المطلوب بهذه الدعاوى.

يوما إدعى خطيب حسيني أنه التقى المهدي وسلم عليه أثناء مروره بأحد أزقة المدينة، يقول: بينما كنت ماشيا خصني شخص مشرق الوجه، بالتحية والسلام ثم غاب فجأة، ولم أر أحدا. فارتفعت أصوات الحاضرين بالتهليل والصلاة على النبي وضج الناس بالبكاء، فانتعش الخطيب وشعر بزهو لا مثيل له، لكن ما إن أنهى الخطيب مجلسه حتى قام أحد الجالسين وقال له سيدنا الكريم، أنا الذي سلمت عليك؟. وقصص كثيرة تبعث على الغثيان، يصدقّها الناس المساكين الذين صيّر منهم رجل الدين مطية لأغراضه، فهو يسعى جاهدا لبقائهم في ثقافة الخرافة، يقمع فيهم روح النقد والسؤال كي لا يفيقوا. لقد دأب رجل الدين على رواية هذه الحكايات بسبب هاجس الشك اللاشعوري، وورطة إقناع الناس بقضية المهدي، وترسيخ إيمانه وإيمان الآخرين بوجوده حيا، حيث أن للمهدي في الروايات الشيعية مسؤوليات عدة خلال غيبته، أهمها نيابة الفقيه عنه في استلام الحقوق الشرعية من خمس وزكاة وصدقات، وبالتالي فشرعية عمله تتوقف على وجوده حيا، كما أن شرعية الأنشطة السياسية تتوقف على وجوده، باعتباره صاحب الحق الشرعي في السلطة والولاية على الناس.

إضـافة إلى تعلـق آمـال الشـيعة في وجـود دولـة عـدل إلهـي يقيمهـا المهـدي، ويقـتص مـن أعـدائهم. فقضـية المهـدي، حيـا يـرزق رغـم غيبتـه، بالنسـبة للشـيعة قضـية مركـزيـة، فكـرا وعقيـدة وشـعورا وإيمانا. ووجوده يمثـل الثقـل الأسـاس في النظريـة الشـيعية. كمـا أن وجـوده حيـا يعـزز شـرعية الشـيعة في مقابـل السـنة الـذين يقولـون أن المهـدي لم يولـد بعـد. فالمهـدي يعـد شـاخصـا في مشـروعية أحـد المذهبين المتنازعين حول انتسابه منذ الصراع على السلطة بعد وفـاة الرسـول الكـريم. فـالحق يـدور مـع المهـدي أينمـا مـا دار، كمـا ذكـرت الروايـات، بـل هـو الحـق، ومذهبـه مـذهب الحـق مطلقـا، وتأكيد وجوده حيا يأتي في هـذا السـياق لضـمان (المهـدي منـا أهـل البيت)، وبالتالي أفضلية المذهب الشيعي، كنتيجة حتمية لانتساب المهـدي لهـا. ولا تـنسَ مـا ترتبـه الروايـات مـن ميـزات، حتـى أنهـم يدخلون الجنة ولن تمسهم النار، بعد أن يغفر اللّه جميع ذنوبهم!!.

أجد أن غيبة المهدي رحمة للدعاة الذين راحوا ينسبون للإسـلام ما لم يقل، فوجدوا في المهدي ضالتهم، ليعلقوا كثيرا من السـعادة والرخـاء علـى ظهوره من خـلال تطبيقـه للإسـلام الـذي عجـزوا عـن تطبيـق أنظمتـه المزعومـة، بسـبب سـوء فهمهـم للـدين الحنيـف، فلـم يجـدوا سـوى المهـدي الـذي سـيحقق كـل أحلامهـم وفقـا لفهمهـم الخـاطئ للـدين ودوره في الحيـاة. هنـاك دعـاوى مؤدلجـة عـن أنظمـة سياسـية وإقتصـادية رغـم عـدم تصـريح الإسـلام بهـا، فمـع كثـرة إخفاقات الإسلاميين لا يوجد غير المهدي مـلاذا لأحلامهم، وكـان بإمكانهم أن يفهموا الدين فهماً يتفادى كل هـذه الإخفاقـات الـتي

انتجت ردة فعل ضد الإسلام وقوانينه وأنظمته، وسُفكت بسببها دماء زكية بريئة. لو كان للإسلام أنظمة خاصة بالسياسية والاقتصاد لتحدثت عنهما آيات كثيرة، لأنهما عصبا الحياة فكيف يهملهم القرآن؟ هذا مستحيل، إذ المعروف عن الكتاب الكريم اهتمامه بالقضايا المصيرية والمهمة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين ووظيفته في الحياة. فكان ينبغي لهم اعادة النظر في فهمهم للدين ودوره المرسوم من قبل الله تعالى، بدلا من تلاحق الإخفاقات ومن ثم ترحيل النجاح والحياة الرغيدة الموعودة على ظهور المهدي. إن هذا يؤكد خطأ اجتهاداتهم، وتنظيراتهم لهذه الأنظمة في ضوء مبادئ القرآن، فليس الخطأ في التطبيق كي نحتاج رجلا مثاليا كالمهدي، بل الخلل في المنظومة المعرفية لهذه الأنظمة، والخلل في فهم الدين وغاياته. وما يؤكد هذا الكلام نجاح الأنظمة الوضعية التي اعتمدت تراكم التجربة في بناء أنظمتها، حتى نجح الغرب في بناء مجتمعات راقية، غدت نموذجا يتحدى، وذلك بالعقل والعلم والمعرفة بعيدا عن الفقهاء، وتراث عفى عليه الزمان. فأساليب الإسلاميين ماكرة في تزوير الحقيقة وخداع الناس، خاصة وهم يرسمون صورة شوهاء عن المجتمعات الغربية، ويرمونها بالفساد والانحراف والكفر لتبرير عجزهم عن اللحاق بهم حضاريا.

يا سيدي الأديان جاءت لاحتضان الإنسان وتعضيد مسيرته كي يستثمر الأرض ويعيش سعيدا، لا أن يبقى في ذل الفقر والهوان بانتظار تطبيق نظام ديني لا دليل على نجاحه؟

الوهم النفسي

س21: طارق الكناني: قرأت عدة روايات عن كبار العلماء من المذهب الجعفري ومنهم المحقق الحلي حين أخذ رسالته العملية التي كانت مكتوبة على جلود الحيوانات وذهب ليلقي بها في شط الحلة حينها قابله الإمام (كما يدعي) وطلب منه عدم القائها لأنها مطابقة لفتاوى أهل البيت عليهم السلام. وكذلك عن الشيخ المفيد أنه كان يجد حلول المسائل المعقدة التي يصعب حلها في رق تحت وسادته وهو نائم، وهناك أبيات شعرية مكتوبة على قبر الشيخ المفيد يزعم الكثيرون أنها وجدت على القبر بخط الإمام المهدي (لاصوّت الناعي بفقدك أنه يوم على آل الرسول عظيم). وكذلك عدة روايات عن الشيخ البهائي وكما ترى فهؤلاء من كبار علماء الشيعة، لماذا يعتقدون أن هذا الشخص هو المهدي وليس غيره؟ كيف تفسّر هذه الظاهرة كما ذكرتها في جوابك المتقدّم؟

ج21: ماجد الغرباوي: لا ننسى دور العامل النفسي عندما ينشغل الإنسان بأمر معين حداً ينقلب إلى همّ دائم، وشغل شاغل في الحياة. فالتركيز على شيء مدة طويلة يجعلك تتخيله وتتعامل معه كأنه حقيقة ماثلة أمامك، وأصدق مثال أحلام اليقظة حينما تركّز على موضوع محدد ينقلب إلى حقيقة تتعامل معها بجدية بغض النظر عن مدى صدقيتها. وهذا أمر شائع لا يختص ببسطاء الناس بل حتى العلماء. وما ذكرته في أمثلة سؤالك لا يوجد ما يؤكده سوى دعواهم، فهي حجة عليهم وليس على الآخرين.

زرت رجل دين صديق في مدينة قم الإيرانية قبل أكثر من 35 سنة، كان يعتمر عمامة كبيرة، ولحية طويلة منسدلة، مع وقار وصمت، وتأنٍ في حديثه، يتكلم بطريقة توحي بسمو روحه، فكان بعض الطيبين يجلس بين يديه متأدبا يصغي إليه ويقتبس من نور وجهه!!. طرقت الباب، فاستقبلني قلقا مرعوبا، تتدلى سكارة مرتعشة بين شفتيه. مابك أيها الشيخ: قال: عاهدني أن لا تخبر أحدا بما سأخبرك؟. ثم سرد علي قصة غريبة، قال: لقد جئت توا من زيارة ضريح السيدة معصومة بنت الإمام موسى بن جعفر، وهي طفلة صغيرة يتراوح عمرها بين 9 -11 سنة، ومرقدها معروف في مدينة قم الإيرانية، عبارة عن بناية متواضعة آنذاك، ذات مسالك وممرات ضيقه من حول الضريح. قال: دخلت لزيارة الضريح فرأيت الملائكة تهبط وتعلو فوقه!!!، فارتعدت وأصابتني قشعريرة كدت أفقد بسببها صوابي. فأبديت استغرابي وتعجبي رغم شكوكي بصحة ما يقول. فسألته ماذا حدث بالضبط؟ قال: بينما كنت أطوف حول الضريح وإذا بألوان خضراء تهبط وترتفع فوق الضريح!!. ودّعته وذهبت فورا لأتفقد الضريح وأقف على الحقيقة بنفسي. كانت الممرات من حول المرقد ضيقة جدا لا تسع إلا لمر شخص واحد من جهتين متقابلتين، أما الجهتان الأخريتان فمفتوحتان على ساحات واسعة. وعادة يحصل زحام داخل الممرات الضيقة، ينقطع معها نفس الزائر. كانت القبة وما حولها من الأرض حتى السقف مصفوفة بمرايا تعكس أشعة خضراء، تسقط عليها من أربعة مصابيح خضراء. فعرفت ماذا حصل لهذا الرجل المسكين، كان يتعاطى التدخين

بشـــراهة، وكـــان بطبيعتـــه قليـــل الطعـــام، ويعـــاني هبوطـــا مزمنـــا بالضغط، فعندما دخل مسار الزحام هبط ضغطه أكثر بسبب الحـر وشدة التعرّق، وبدأت تعلو بصره غشاوة، فتراءت لـه الحـزم الضـوئية الخضراء تتراقص تعلو وتهبط مع حركـة عينيـه فوق الضـريح، وهـذه ظـاهرة طبيعيـة، سـببها اخـتلال الرؤيـة النـاتج عـن خلـل في بصـره أو بسبب اختلاف زاوية النظر.

وبما أنـه في جو روحي عـال، مولـع بالغيـب وبالملائكـة، وهـي، كما يعتقد، كائنـات شـفافة كالضـوء أو أكثـر رقـة، لـذا فسّـر سطوع الأضواء بنزول الملائكة، قبل أن يفكّر بـالأمر ويبحـث عـن الأسـباب الطبيعيـة للظـاهرة!. فهو لا يعلـم باسـتحالة رؤيـة الملائكـة على هيئتهم الحقيقية، بالنسبة لنا. بل حتـى رؤيـة الرسـول لجبرائيـل لا يوجد في الآيات ما يدل على أنها رؤية حسية مباشرة جزمـا، لهـذا وقع الاخـتلاف بـين المفسّرين حولها. فرؤيتـه كانـت رؤيـة قلبيـة، لا حسية: (ثُمَّ دَنَـا فَتَدَلَّـى، فَكَـانَ قَـابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَـى). (مَـا كَـذَبَ الْفُـؤَادُ مَـا رَأَى). والقرينـة الصـارفة واضـحة في هـذه الآيـة. ويؤكـده قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنـدَ سِـدْرَةِ الْمُنتَهَى، عِنـدَهَا جَنَّـةُ الْمَأْوَى، **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**). فرأى آثار وجود الملائكة من خلال ما اعترى السدرة، والآيات التي رافقتها.

وبالتالي ثمة اختلاف جوهري يحول دون لقاء الملائكة مباشرة، فـلا توجـد سـنخية بـين جنس الملائكـة وجنس البشـر. قـال تعـالى: ((وَقَـالُواْ لَـوْلا أُنـزِلَ عَلَيْـهِ مَلَـكٌ وَلَـوْ أَنزَلْنَـا مَلَكًـا لَّقُضِـيَ الأمْـرُ ثُـمَّ لاَ

يُنظَرُونَ، **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**).

وأيضا بالنسبة الى مريم تقول الآية: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)، فهي لم تشاهده على حقيقته بل تمثل لها بشرا سويا. وهكذا بالنسبة لإبراهيم عندما استقبل ضيفيه، تعامل معهم على أساس أنهم بشر قبل أن يكشفوا عن هويتهم وهدفهم من الزيارة: (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف). هذا بالنسبة للرسل والأنبياء فكيف بإنسان عادي؟ فما ترآى له كان انعكاسا لعقله الباطني المسكون بالغيب والتفسيرات الغيبية، وكان ينبغي له التفكير ألم يلحظ حتى ابراهيم الخليل ومريم العذراء لم يتعرفوا على الملائكة مباشرة، فكيف عرفها؟

إن الملائكة مخلوقات نورانية لا نعرف كنهها، ولا توجد سنخية بينها وبين البشر، بل لها صفات تكوينية مختلفة، إذ تصفها الآية الكريمة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وبالتالي عالم الملائكة عالم محجوب عنا تماما، وقد قرأت الآيات المباركة التي تؤكد عدم قدرة الأنبياء والرسل على رؤيتها بهيئة بشرية، وما يؤكد هذا الكلام أكثر أن الكتب السماوية وحي من قبل الله تعالى، فجبرائيل كان يوحي للنبي الكريم ولم

يكلمه. وهذه نقطة مهمة تؤكد عدم قدرة الإنسان على رؤية الملائكة بهيئتها الحقيقية.

لكن فضيحة التراث حينما يحدثك عن أنواع الملائكة وعدد أجنحتها حينما يزورون النبي ويتحدثون معه، خاصة حول شأنه الشخصي وما يخص أهل بيته!!. حيث تهبط مخلوقات بآلاف الأجنحة، وقد كتب على ظهورها: علي ولي الله. فالنبي الكريم لا تستفزه آلاف الأجنحة والهيئة المرعبة للملاك، بل يهمه أن يكتشف متى كتبت هذه العبارة؟!!!!

المسلمون، شيعة وسنة، لا يحترمون ولا يوقرون الرسول الكريم، الذي يصفه القرآن المجيد : إنك لعلى خلق عظيم. فيروون في شؤونه الخاصة، وكأنهم جلسائه، فيقصون قصصا غريبة تشوه سمعته وأخلاقه، خاصة علاقته مع بعض نسائه، وبسطاء الناس يصدق ما يروى له، بل ويتفاعل معه بكل جوارحه.

العقل الديني عقل خامل، كسول، لا يكلّف نفسه مشقة البحث والاكتشاف. يلوذ بالغيب لتفسير الظواهر المجهولة. يجد فيه منبعا للاطمئنان والسعادة النفسية عقائديا، فتراه يدمن الطقوس، وتلهب الخرافات مشاعره، إنها نكسة الوعي، أحد أسباب تخلف المسلمين حضاريا.

إن انطباع المسلمين والشيعة خاصة عن رموزهم الدينية غريب، لا ينتمي للعقل ويتعارض مع القرآن الكريم أحيانا، فلديهم عقائد ومفاهيم أسطورية، بعيدة كل البعد عن روح الإسلام، لكنهم يصرون عليها ويتعاملون معها كحقائق خارجية لا تقبل الشك.

من حق الجميع أن يفتخر برموزه الدينية، يتأسى بهم، يتفاخر بعلمهم وتقواهم، يحيي ذكراهم ومناسباتهم. أما أن ينسب لهم خوارق الأمور فهذا خلاف العقل وتجاوز للقرآن الكريم عندما يقول: أتقولون على الله ما لا تعلمون. تقديس غير الله يفضي في أغلب الأحيان إلى انتحال صفة الخالق، من هنا تأتي خطورته. الإنسان يبقى إنسانا في قدراته البشرية، وأي صفة خارقة تحتاج الى دليل قرآني منصوص بخصوصه، وإلا تبقى أحكام العقل مطلقة، لا تخصص إطلاقا، لأنها قوانين عامة، تشمله كما تشمل أي إنسان آخر مهما كانت منزلته ومقامه، "إنما أنا بشر مثلكم".

سافرت يوما من مدينة قم إلى جنوب إيران، فكان معي في نفس مقصورة القطار خطيب حسيني لا أعرفه. سألني: هل انت خطيب حسيني؟ فنفيت. سألني لماذا؟ قلت: ليست مهنتي. ثم راح يحدثني عن فضائل المجلس الحسيني، التي تحضرها فاطمة الزهراء بنفسها. وروى لي قصة ذلك الرجل الذي كان جالسا في نهاية مجلس حسيني، فشعر بوجود امرأة تبكي بجانبه دون رؤيتها، ثم عرف بعد انتهاء المجلس أن الزهراء كانت حاضرة تبكي ولدها الحسين. ثم عقّب: هل تعلم أن الزهراء تحضر جميع المجالس الحسينية؟ فسألته: هل تحضر بجسمها، أم تتجلى نورا، قال: لا، بل بشخصها تحضر، فسألته: وماذا لو كان هناك أكثر من مجلس حسيني وفي أكثر من مكان ووقت؟ فقال أيضا تحضرها جميعا بجسدها لا بنورها!!. فقلت له هذا غير ممكن إطلاقا، كما أن الزهراء عند مليك مقتدر، لا تنزل لعالم الدنيا وليس بمقدورها ذلك. فتهستر من كلامي، وراح

يصرخ: (ولك شيعي وتنكر حضور الزهراء بالمجلس الحسيني؟)، وإمعانا في أستفزازه، أجبته: طبعا أنكر، لأني أحترم عقلي فكيف أصدقك؟ فتجمهر المسافرون، واصطفوا معي ضده، فراح يتحدى بصوت مرتفع ولم يسكت لولا مدير القطار الذي خيره بين السكوت أو إنزاله من القطار فورا. فسكت بعد أن توّعدني: (ولك شوف إذا بقيت حيا حتى الصباح أقطع يدي!!، ستتكفل الزهراء بقتلك هذه الليلة حتما، وسترى). قلت له سيأتي الصباح وستراني حيا أرزق. فلما أصبح الصباح رمقني خائفا بطرف عينه، فوجدني بكامل صحتي، فراح يتوعدني بعد انتهاء الرحلة ليسوقني لمحكمة رجال الدين الإيرانية!!. أذكر هذه القصة لترى حجم المأساة عندما يكون رجل الدين والخطيب الحسيني الذي يصغي له الناس بهذا المستوى من التفكير المعتوه!!. صحيح هم يتكسبوّن بالدين، ويسوقونه حيثما درت معايشهم، لكن لا على حساب العقيدة وتغييب الوعي. هذه مفردة ضمن سجل طويل من القصص المغالية والمكذوبة على آل الرسول. كان الإمام الصادق يلعن الغلاة، ويحذّر أصحابه منهم. ويرفض كل ما يقولون، ويؤكد للجميع إنما نحن عبيد لله.

أما ما ذكرت في السؤال من أمثلة لا يوجد ما يؤكد أن المهدي وراء ذلك، بل هي تخمينات. كما ذكرت سابقا كلما شاهدوا شيئا غريبا، او حدثهم أو أرشدهم شخص مجهول يحتملون أنه المهدي، بل يجزمون فيما بعد في ظل أجواء روحية حماسية مشجعه وانطباعات أسطورية عنه. لا أحد يعرف مشخصاته وأوصافه فكيف يجزمون هو المهدي؟ ثم كيف سيكون شكل الإنسان إذا

تمادى به العمر، فهل لديه إمكانية التنقل فضلا عن حضوره أسرع من الضوء كما تصفه الروايات؟ (ومن نعمّره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون). (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا).

وبأي دليل يجب أن يبقى المهدي شابا، وهذا متعذّر سوى للباري جل وعلا، أتقولون على الله ما لا تعلمون؟؟ هناك تهويل وأسطرة لشخصية المهدي، تلك القضية التي أرهقت الشيعة ومزقتهم، حتى أجد أن من يعتقد بولادته مستقبلا (وهو قول أهل السنة) قول معقول مع فرض صحة ضرورته يوما ما. رغم تحفظي بعد أن وجدت في القرآن الكريم رؤية آخرى لمعنى الهداية ومستقبل الإنسان ودوره في الحياة.

كل ما كتب عن المهدي المنتظر تم التنظير له فيما بعد لتدارك تحديات المشككين وطمأنة الشيعة مع تعبئتهم ضد خصومهم التاريخيين. مساحة اللامعقول في العقيدة الشيعية يضعها موضع الشك من قبل أبنائهم قبل غيرهم، لولا تعدد الطقوس ودورها في تخدير العقل الجمعي، وحجم التحديات وعدوانية الآخر ضدهم وضد عقيدتهم. فالشيعة مازالوا مستهدفين من قبل الوهابية والتكفيريين. وخير شاهد معاناة العراق اليوم بفعل التمدد الإرهابي في أراضيها والحملات الإعلامية المضادة ضدهم وضد معتقداتهم ورموزهم.

المهدي والثأر

س22: طارق الكناني: هناك رواية يتداولها الشيعة بأن الحجة سوف ينتقم من قتلة الحسين. فإذا كان هذا صحيحا، ترى ما الفائدة من هذا الانتقام، علما بأن قتلة الحسين مضوا إلى سبيلهم وهم بيد الله .. هل عجز الله سبحانه عزَّوجل عن محاسبة هؤلاء حتى يوكل محاسبتهم للإمام المهدي المنتظر؟

ج22: ماجد الغرباوي: هكذا جاء في الأخبار، بأنه سيقتل على جسر الكوفة فقط 70 ألفا!!، ويقتص من قتلة الإمام الحسين، بعد عودتهم للحياة بأمر من الله تعالى!!. وهناك روايات تقول يُحيهم الله فيقتلهم الرسول، ثم يحيهم فيقتلهم الإمام علي، ثم تقتلهم الزهراء الى آخر الأئمة ثم جميع الشيعة!!!!!!. لكن الروايات لم تذكر سبب ذلك؟ ولماذا يتجاوز الله عزوجل موازين العدل والقسط بحق قتلة الإمام الحسين؟ هل فقط لأنه ابن بنت رسول الله أم لسبب آخر؟.

تعلم أن الشيعة يؤمنون بالرجعة، التي تعني عودة بعض الأموات للحياة، خاصة الشخصيات والرموز التاريخية، للاقتصاص منهم في محكمة العدل التي سيقيمها الإمام المهدي بعد ظهوره. وهذا كلام خطير، يعكس رغبة عميقة بالانتقام، تتصاعد مع كل خطاب طائفي، وسط بيئة لا تفهم سوى لغة الدم والانتقام والقصاص. لا تقنع بعدل الله وجزائه، ما لم يقتص المهدي ويشفي قلوب شيعته بالانتقام من قتلة الحسين!. ربما الإخفاقات السياسية المتلاحقة عبر التاريخ كانت وراء هذا الشعور الذي يغذيه التراث

الملغوم كراهية وحقدا على الآخر.

لا أدري كيف يكون المهدي مهديا ويقتل 70 الفا على جسر الكوفة؟ ماذا سنسميه حينئذٍ، هاديا أم قاتلا، مهما كانت مبررات القتل؟ لكن يبدو أن الرقم (70) جاء للمبالغة ليعكس حالة التشفي، وقد دُس دسا ضمن الأخبار. لماذا لا يهديهم المهدي بدلا من قتلهم، فربما حالت الظروف دون هدايتهم وألقت بهم في طريق الضلال؟. ولماذا ندين روح الانتقام عند داعش والتكفيريين بينما نفخر بمجزرة المهدي على جسر الكوفة؟. لماذا يستقيل العقل الشيعي أمام هذا النوع المحرّض من الروايات؟ هل هي رغبة جامحة بالانتقام من الآخر؟ أم هي رثاثة الوعي واستكانة العقل؟؟. للأسف الشديد العقل الشيعي ضحية تراث ملغوم بالكراهية، وما لم يتخلوا عن هذا التراث بالذات لا أمل يترآى في أفق حضاري قريبا.

ينبغي توجيه هذه الأسئلة لمن يؤمن بهذا اللون من الأحاديث لعله يقدّم لنا تفسيرا مقنعا، ولا أظنه قادرا على التبرير. خاصة غلاة الشيعة الذين يتباهون بالرجعة والانتقام من قتلة الإمام الحسين على يد المهدي بل على يد الرسول وأهل بيته وجميع الشيعة. بهذه الطريقة فقط يشفى غليل الغلاة.

إن تاريخا طويلا من الإقصاء والإخفاقات السياسية ولّد شعورا مريرا لدى الشيعة بالخيبة، والعجز أمام مناوئيهم، ولم يجدوا سوى المهدى ليقتص من أعدائهم ويحقق تطلعاتهم وأمنياتهم التاريخية. فالمشروع الحضاري الشيعي مؤجل في نظر غلاة الشيعة إلى ما بعد ظهور المهدي، حيث سيملأ الأرض قسطا وعدلا.

س23: طارق الكناني: هل مهمة الإمام مهمة انتقامية أم مهمة تقويمية للمسيرة الإنسانية وتقويم مجتمعي وسلوكي؟ إن مسألة الانتقام والثأر تثير اشكاليات كثيرة منها، هل أن أهل البيت هم رحمة للعالمين مثل جدهم أم شخصيات موتورة لا تفكر إلا بالإنتقام من أشخاص ماتوا قبل عشرات القرون؟ وهذا يثير تساؤلا خطيرا هل ان مهمة الإمام المنتظر اشاعة العدل وبناء الدولة العالمية الكبرى والتأسيس لمشروع الإنسان الكوني أم مهمة انتقامية كما اسلفنا؟

ج23: ماجد الغرباوي: اتضح من جواب السؤال المتقدّم أن الانتقام ينافي الهداية والعدل ولا يقول به سوى غلاة الشيعة. ولا يؤخذ المرء بجريرة غيره مطلقا (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى). إنه أسلوب الضعفاء. أما المهدي فيفترض أنه مشعل هداية ورحمة، يسعى لانتشال الناس من الانحراف والتسيّب (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا). المهدي كما في الروايات سيملأ الدنيا قسطا وعدلا بعد ما مُلئت ظلما وجورا، وستكون دولته دولة العدل الإلهي، المدينة الفاضلة، يوتوبيا الحلم الشيعي، فكيف يمارس القتل بهذه الطريقة البشعة؟. في الروايات صورة مثالية لدولة المهدي المعهود وتفصيلاتها كثيرة، تجدها في كتب التراث الشيعي. رغم أني لا أفهم كيف سيقيم دولة مثالية؟ وما هي أدواته؟ هل سيغيّر طبيعة الإنسان؟. أم ماذا؟ نحن الآن نتفهم آليات المجتمع الغربي وكيف استطاع تحقيق مستوى رفيع من التقدم الحضاري لصالح الإنسان. أما دولة المهدي فتبقى مجهولة في تفاصيلها. ويبدو من

الأفضل أن تبقى هكذا ، تُلهب مشاعر الناس شوقا لدولته التي عجزوا عن تحقيقها ، بما فيهم الإسلاميين.

الحلول السحرية ضرب من الوهم والخيال، ما هي إلا أمنيات العاجزين. الغرب حقق نهضة حضارية حقيقية ، وما زال بعض الناس ينتظر المهدي بحلوله السحرية. يجب أن يفيق المجتمع من غفلته ويثوب إلى نفسه، ويبدأ بنهضة إنطلاقا من العقل والثقافة والمجتمع.

أعود وأقول: يفترض أن تجسّد دولته قيم السماء وقيم أجداده أهل البيت الذين لم تسمح لهم الظروف السياسية إقامة دولة عادلة بقيادتهم، بل أن دولة المهدي كما في الروايات مثالية ، من حيث الرخاء والنعيم وسيادة العدل. فمن المستحيل أن يفكر صاحب المشروع الديني الإلهي بالانتقام، هذا منطق لا ينسجم مع مدرسة أهل البيت، ولا تجد في قاموسهم روح الانتقام، حتى يُذكر أن الإمام علي رفض الانتقام من قاتله عبد الرحمن بن ملجم، وأوصى ولده الإمام الحسن أن يكون القصاص ضربة بضربة ولا يزيد. كما أن أئمة أهل البيت في سلوكهم وتعاملهم مع الناس مثالا لأخلاق القرآن في عفوهم ورحمتهم وتسامحهم، والقصص والروايات ليست عزيزة. يذكر أن رجلا أدمن ذم الإمام علي بن الحسين السجاد ، بينما كان الإمام يحمل له سرا كل ليلة ما يحتاج من متاع، فلما مات السجاد عرف من كان يتفقده فراح يصرخ ويضرب رأسه ندما ، هذا هو سلوكهم. أما تراث الغلاة فيجنح بالقارئ بعيدا عن الواقع، ويعطي انطباعا سلبيا عنهم.

يا صديقي نسبة الدس في روايات الشيعة عالية جدا، كان الأئمة يشكون من ظاهرة الدس والتزوير، ويلعنون الغلاة ويتبرأون من سلوكهم ومعتقداتهم. مشروع أهل البيت واحد أعلن عنه الإمام الحسين: (خرجت لطلب الاصلاح)، والانتقام ينافي الإصلاح، بل يشيع الفوضى والانتقام المضاد.

الشيعي ضحية خطاب طائفي وتراث ملغوم بالأكاذيب، في رواية يسأل أحد أصحاب الإمام الرضا: إذا كان الانتقام من قتلة الحسين مبررا، فما بال الانتقام من الآخرين والآية تقول: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؟. فيجيبه الإمام لأنهم سمعوا بقتله فرضوا وفرحوا؟.

هل يعقل هذا الجواب من إمام يفترض أنه معصوم، وهو يعلم جيدا أن المرء لا يؤآخذ على نيته ما لم يقع الفعل خارجا؟ وإلا ستساق البشرية جمعاء للنار وهذا خلاف رحمته بل وعدله، فما من بشر إلا وهمّ باقتراف موبقة، فهل سيساق للنار لمجرد أنه همّ بها. وهل سيعاقبهم على نواياهم؟.

ربما سيقولون بأن للحسين خصوصية. وهذه علمها عند غلاة الشيعة فقط، أما منهج الكتاب الكريم فشيء آخر.

ولا استبعد الأهداف السياسية في نصوص الإمام الرضا. فيأتي الحديث في سياق تعبئة الشيعة ورص صفوهم خلفه. لهذا هناك مجموعة أحاديث تنسب له، كلها تعبأ ضد الآخر، وتدعو لنصرته. وهو أمر طبيعي لأنه صاحب مشروع سياسي.

الولادة المريبة

س24: طارق الكناني: نعود لبداية الحديث لنسأل عن الأدلة التي أثبتوا بها صحة ولادة المهدي، فهناك لغط كبير بين الشيعة حول هذا الموضوع. وحتى جعفر بن الإمام علي الهادي لم يعرف شيئا عن ابن أخيه، فهل من توضيح لهذا الاختلاف والتباين؟

ج24: ماجد الغرباوي: المعروف عن الإمام الحسن العسكري أنه لم يخلف ولدا، يقول الحسن النوبختي، وهو من أعلام القرن الثالث الهجري في كتابه فرق الشيعةن س96: (وتوفي -الحسن العسكري -ولم يره له أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر). لذا واجه الإعلان المفاجئ عن وجود ولد اسمه محمد بن الحسن شكوكا عارمة من الشيعة قبل غيرهم، خاصة وأن الشكوك حول مصداقية الأئمة بدأت تدب في الوسط الشيعي منذ زمان الإمام علي الهادي، ثم تفاقمت في زمان الإمام الحسن العسكري، فمن الطبيعي أن يثير الخبر شكوكا أكبر، لهذا راحوا يسألون عن تفصيلات الولادة وملابساتها، ومدى صحتها، ومن هم شهودها؟.

ثم بعد أن أعلن عثمان بن سعيد عن اسمه، وأنه هو الإمام والحجة من بعد أبيه، تركزت الأسئلة عن شخصيته: أين هو المهدي؟ ولماذا غاب وعمره خمس سنوات؟ ومن شهد ولادته؟ ولماذا لم يخبر الإمام العسكري أحدا؟.

بعض اقتنع بأجوبة عثمان بن سعيد وتبريرات كبار الشيعة، وآخرون استبد بهم شك عميق، حتى انقسم الشيعة بعد وفاة الإمام

الحسن العسكري الى 13 أو 14 فرقة كما تقدم. فأي زلزال حلّ بهم حينئذٍ، خاصة بعد أجواء عاصفة في ظل إمامة العسكري؟

ثم راحت تسرّب أخبار عن ولادته، ومن شهدها، ومن شاهده، فقالوا: إن ولادته جرت في سرية تامة خوفا من تسرّب خبر ولادته للسلطات العباسية فيقتلوه، وهم أساسا ينتظرون ولادته ويبحثون عنه. وتقول الأخبار: عندما دعا الإمام الحسن العسكري عمته حكيمة استغربت أن تكون نرجس زوجته حاملا، وقالت والله ما بها أثر حمل. ثم بقى المهدي بعد ولادته بعيدا عن الأنظار إلا لخاصة الإمام كما يذكرون. وفي عمر الخامسة غاب ولم يتصل به أحد، لسبعين سنة في غيبته الصغرى إلا السفراء الأربعة. فمن الطبيعي أن يثير الوضع شكوكا واسعة، لأن التشيع نظريا قائم على وجود 12 إماما، فكيف تخلو الأرض من الإمام الثاني عشر؟ وأين صدقية هذه العقيدة؟ وأين الوعود بدولة العدل الإلهي التي تعيد للشيعة حيثيتهم وتحكم باسم آل محمد؟ كان إحباطا كبيرا، لم تنقذه إلا فكرة غيبة الإمام، التي نجحت رغم تعثرها، ثم ترسخت بمرور الأيام لتصبح ثابتا عقائديا لا يناقش، ثم راحت الأوهام تبعث الطمأنينة في نفوس الشيعة وجعلتهم يعيشون أحلام الانتظار واللقاء.

س25: طارق الكناني: هل تعتقد بوجود دوافع أخرى وراء الإعلان عن وجود ابن للإمام العسكري؟

ج25: ماجد الغرباوي: هناك قصة تروى في المقام توحي بدوافع أخرى وراء الإعلان عن وجود خلف للإمام الحسن العسكري،

عمّقت الشكوك أكثر بصحة ولادته، بل كانت ضربة قاصمة، عندما ادعت جدة المهدي بعد قدومها من المدينة أن المهدي لم يولد بعدُ!!، في محاولة لحرمان عمه جعفر من ميراث أخيه. حيث ادعى الأخير تفرّده بميراث الحسن العسكري لعدم وجود وريث غيره، فيختص به وفقا للفقه السني، الذي يقسّم الإرث بين الأم والأخ إذا لم يخلف الميت ولدا. بينما الطبقة المتقدمة تحجب الطبقة التالية، وفقا للفقه الشيعي. ومع وجود ولد للميت لا يصل لعمه شيء، لأنه من الطبقة الثانية، لذا أدعت أنّ إحدى إماء العسكري حامل، وعليه فإنّ للإمام ولداً محتملا.

(لكن جعفر لم يسكت لأنه يعلم أنّ الهدف من التصريح حرمانه من الميراث، فرفع دعوى إلى السلطة العبّاسيّة ضدّ أُمّ الإمام العسكري، فأصدر القاضي أمراً بنقل الأَمَة للإقامة الجبريّة تحت الرقابة حتى انقضت أقصى مدّة للحمل، حسب الفقه الحنفي، وظهر أنّها لم تكن حاملاً، فعندها رُفعت عنها الإقامة الجبريّة وبعد سبع سنوات من الصراع قُسّم ميراث الإمام العسكري أخيراً بين جعفر وأُمّه، وعلى رواية: وأُخته..). عن كتاب مدرسي طباطبائي. وإنما نقلت النص المتقدم بطوله لتسليط الضوء على حيثيات التشكيك ومعرفة الحقيقة. فهذا الخبر ينفي ولادة الإمام المهدي في زمن حياة أبيه جملة وتفصيلا، ويعتبرها قصة مفبركة لأغراض مالية، من أجل حرمان عم المهدي من ميراث الإمام العسكري، أي صراع على الميراث. ويؤكد النوبختي في كتاب فرق لشيعة: (وتوفي .. ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من

ميراثه أخوه وأمه). فهذه القصة كانت مشهورة لكن تم تعتيمها.

وهذه المرأة إما أن تكون صادقة في نفيها لوجود ولد لابنها الإمام الحسن العسكري، أو أنها أنكرت وجوده خوفا عليه من السلطات الحاكمة؟. والثاني مستبعد لأنها مجازفة خطيرة مع احتمال اكتشافه، وهي شخصية كبيرة ومعروفة ومرصودة، فلا يليق بها الانكار. خاصة والمسألة دخلت المحاكم. بل ما دامت القضية مالية، وتنازع على إرث ولدها فلا اظنها تتوانى في الإعلان عنه لو كان حقا هناك ولد لابنها العسكري، فالمال مغرٍ، وقد جاءت من المدينة لأجله، حتى قاضت جعفرا، وادعت أن إحدى الجواري حامل، فهي تبحث عن أي دليل يعضد دعواها، فكيف تنكر المهدي وهي بأمس الحاجة له، خاصة وعمره خمس سنوات؟ فدعوى وجود ولد للعسكري بقيت مجرد دعوى، أما مسألة إنكاره فشواهدها أقوى، كهذه الحادثة بالذات وتفصيلاتها القضائية.

وبالتالي لا يوجد من شهد على ولادته سوى عمة الإمام وهي غير موثّقة في كتب الرجال، ولا يوجد مصدر محايد يمكن الركون إليه للتأكد من صحة شهادتها. هذا لو كانت المرأة قد شهدت ولادته حقا. وحتى لو قلنا بوثاقة من أطلعهم الإمام العسكري على الخبر وشاهدوه وكلمهم وكلموه، وأظهر أمامهم معاجز وخوارق كما في الروايات، فأيضا لا ينفع، لعدم إمكان الجزم بتطابق الشخصيتين. فمن قال إن الذي غاب هو ذات الشخص الذي تعرّف عليه أصحاب الإمام ولم يلتق أحدا غير السفراء الأربعة؟ ثم كيف

نثق بهم وهم ينقلون خوارق تخالف القرآن والعقل والسنن الكونية والطبيعة البشرية، ونحن نشترط بالوثاقة معرفة الحديث؟. وماذا عن دعاوى صعوده للسماء ووقوفه بين يدي اللّه، ولم يدع أحد ذلك من قبل، لا نبي ولا رسول!!. ألا يدل على سذاجتهم أو خداعهم؟.

كان ينبغى توثيق ولادة الإمام الذي سيغيب بعد خمس سنوات بعدد كبير من الشهادات كإجراء احترازي لتفادي أية شكوك مستقبلا، لأنه إمام يتوقف عليه مستقبل التشيع. فالمسألة مريبة، والتشكيك محتمل جدا، فلماذا لم يحصل التوثيق المطلوب وأصحاب الإمام كثيرون، وأغلبهم ثقات مؤتمنون؟.

كما أن علة غيبته وهي الخوف من المتوكل العباسي لم يقل بها أحد من قبل سوى عثمان بن سعيد، حينما أعلن فجأة عن وجود خلف للعسكري يتولى الإمامة بعده وقد غاب أو اختفى خوفا من ملاحقة السلطة العباسية. غير أن التعليل لم يخلق قناعة كافية تبرر مطلق غيابه واختفائه حتى عن مقربي أبيه.

والحقيقة أن قضية المهدي طالما مزقت التشيع تاريخيا، بعد أن ربط الشيعة أمانيهم وأمنياتهم به، في ظل توالي الإخفاقات السياسية وشدة الإقصاء ومحاصرة الدولتين الأموية والعباسية لهم، وعدد الذين قتلوا من أصحابهم، خاصة خلال انتفاضاتهم بعد استشهاد الإمام الحسين. فكانت بعد وفاة كل إمام تظهر فرقة تدعي أن الإمام لم يمت وإنما غاب وسيعود لينشر العدل والقسط، ويتعقب قتلة الإمام الحسين!!!.

وقد عصف الشك والتمزق إلى ما بعد الغيبة الكبرى. فالمسألة

في غاية الخطورة وتمس العقيدة الشيعية.

من يقرأ التاريخ يقطع بضرورة الغيبة لضمان استمرار التشيع ضمن نفس العقيدة والمتبنيات الفكرية. فقد نجحت فكرة الغيبة ببراعة، وحققت الأهداف المرسومة، وأهمها أكتمال عدد الأئمة بوجود الإمام الثاني عشر، وبهذا تصدق نبوءة الرسول الكريم: "يكون من بعدي إثنا عشر إماما"، وليس خليفة كما يروي أهل السنة!. وباكتمال عدد الأئمة ينتزع الشيعة الشرعية، ويحرزون كافة الفضائل، ويدينون من غصب عليا حقه بالخلافة، وهي العقدة التي أرقت الشيعة على طول التاريخ. فحتى لو لم يكن هناك إمام غائب فيجب أن يكون كضرورة لرص صفوف الشيعة وتفادي انهيارها. لذا لا أقتنع أن الغيبة الصغرى تكتيك للتوطئة للغيبة الكبرى، بل فرضتها الظروف ومستقبل التشيع، وجاءت بلا تخطيط مسبق لتدارك الأمور والحيلولة دون انفراط التشيع أولا وقبل كل شيء. فالتوطئة تحققت تلقائيا خلال 70 عاما، لهذا لم تحدث الغيبة الكبرى ردود فعل واسعة. فالغيبة الصغرى إذاً كانت معالجة عملية للإمساك بالوضع، والحفاظ على الشيعة بعد موجة الشك العارمة في ظل تحديات خطيرة، كالدولة العباسية، والتنافس الحاد على الإمامة بعد العسكري، وما واجه الأخير في حياته من شكوك وتحديات وانقسامات في صفوف الشيعة، خاصة موضوع الإمامة. فالمهم آنئذٍ لدى كبار الشيعة الحفاظ على التشيع وخط أهل البيت بأي طريقة.

هناك من يعتقد أن ما جرى قدر من الله تعالى لتمحيص إيمان

الشيعة بأئمتهم، كما في الرواية (إن حديثنا أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد أمتحن اللّه قلبه للإيمان).

وهذا أسلوب العقل المستقيل والروح المسكونة بالانقياد، والنفوس المرعوبة، القلقة. فتبحث عن أي سبب ميتافيزيقي يحد من شكوكها، ويهدئ قلقها، ويمنحها زخما في تعهد عقيدتها بإيمان وثقة ويقين. البسطاء ينأون عن العقل وإشكالاته. لا يطيقون التفكير والتمادي في الإشكال خوفا على طمأنينتهم وسرقة أحلامه، وآمالهم المعلقة على مشجب الوهم والخرافة والتعليلات الساذجة. ويتعاملون مع أهل البيت تعاملا عاطفيا، والقضية برمتها بالنسبة لهم أسرية، هناك خمسة أشخاص خلق اللّه لأجلهم الكون والحياة، وهم ميزان الأعمال، وحملة رسالة السماء، وهم أفضل من كل نبي مرسل إلى آخر القائمة في مخالفتها للعقل ومنطق الذكر الحكيم. أما لماذا؟ لا أنت تدري لماذا ولاهم يدرون سوى وجود عقل جمعي يغذيه التراث البائس، وينظر له غلاة الشيعة بقيادة رجال دين معتوهين، يستغلون حب الناس لأهل البيت فيتمادون في أسطرتهم كي يستدرون جيوب الطيبين. وهؤلاء أعداء اللّه ورسوله وأهل بيته. كيف يكون أهل البيت بهذه المنزلة ولم يخبرنا اللّه تعالى في كتابه ليكون كلامه حجة علينا؟ ولماذا تصلنا هذه العقائد والأفكار عن طريق غلاة الشيعة دون غيرهم؟.

لفاطمة الزهراء بنت رسول اللّه خصال ربانية، لكن رجل الدين لا يتطرق لها إلا لماً، عندما يتطرق لسيرتها، ويبقى يردد كلمة

(والسـر المسـتودع فيهـا!!). ومـا هـو السـر المسـتودع فيهـا؟ ولمـاذا لا تحدث الناس عـن خصـالها؟ هنـا يبدأ الخطيـب باسـتعراض طلاسـم وألغاز، ويعزو عدم استيعاب سرها لعجز الإنسان وقدراتـه العقليـة، وهناك فلسفة في بقائه سرا!!. وهكذا الأمر بالنسبة للإمـام المهدي وغيبته وشروط ظهوره، كلها طلاسم وألغاز لا تفقه منها شيئا.

الهـروب دليـل الإفـلاس الثقـافي والفكـري، ودليـل وضـاعة الخطيـب الـذي تدفعـه مصـالحه الماديـة والآيديولوجيـة للعـزف باسـتمرار علـى وتـر العواطـف الجياشـة المفتونـة بحـب الزهـراء. فالحـديث عـن خصـالها لا يبكـي أحـدا، فـلا تمـتلأ جيوبـه، بينمـا حديث العاطفة كنز يقاتل مـن أجـل بقائـه. ومـاذا عـن الله وحسـابه يوم القيامة على ما اقترف من أكاذيب؟ هناك شـفاعة أهـل البيـت، فالأمر سهل؟.

عندما تبقى الزهراء سرا سترفد الخيال الشيعي برمزية عاليـة، تجعله يعيش لذة التفوق من خلال موالاتـه لها، بينمـا الحـديث عنهـا بصفتها إنسانة، زوجة وأم، ينطفئ وهجه بمغادرة المجلس، لا يترك أثرا يقتات عليه الخيـال. مـن هنـا تكـون صـدمة الإنسـان قويـة جـدا عنـدما يكتشـف بشـرية الرمـوز الدينيـة، فيقاتـل دون انتـزاع أقنعـة الـوهم حفاظـا علـى قدسـيتها، لترفـد الخيـال بوقـود رمـزي يـنعش تطلعاته، ويحقق جميع طموحاته وآماله بجهد بسـيط، يقتصـر فيـه على بعض النفقات والدموع، والموالاة والتبرئة.

إن العقائد تتمادى ما لم يتداركها النقد. فلا تكفوا عن نقدها والتشـكيك بمصـداقيتها مـن أجـل جـذوة عقيديـة معرفيـة تصـقل

الإيمان وتضع سلوك الفرد على المسار الصحيح.

وخلاصة الكلام المتقدم أن عدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري قضية معروفة ومشهورة بين أصحابه وعموم الشيعة، وكان هذا الأمر يمثلا قلقا حقيقيا للقيمين على التشيع آنذاك، فالمسألة ليست هينة بل مرتبطة بمستقبل الشيعة عامة، والعقيدة الشيعية خاصة. والشيعة كغيرهم من لمذاهب والفرق لا يصعب عليهم وضع الحديث لا سيما غلاة الشيعة، حينما تمس القضية جوهر العقيدة الشيعية. فينبغي أن لا ترعبنا الروايات مهما كان عددها وتفصيلاتها، ويجب اسقاط هيبتها من عقل الباحثين، كي يكتشفوا الحقائق بمساعدة العقل ومرجعية الكتاب الكريم.

المحور الرابع

الغياب الإسطوري وفلسفة اللامعقول

الدور الوجودي

س26: طارق الكناني: هناك حديث عند الشيعة مفاده (إن الأرض يجب أن لا تخلو من حجة). في مقابل (مسألة الأبدال الأربعة) عند المذاهب الأخرى، ويستشهد الشيعة بعدة آيات يفسرونها لصالح هذا المعتقد منها :(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَل...) (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) وغيرها من الآيات التي يوظفونها لصالحهم. كما أكدت الكثير من كتب جمهور المسلمين ولادة (محمد بن الحسن) منها نور الأبصار للشبلنجي الشافعي واسعاف الراغبين للشيخ الأستاذ محمد الصبان وكذلك ابن حجر المكي صاحب الصواعق المحرقة ويقول عنه: وهو (أبو القاسم محمد الحجة) وهناك العديد من هذه الكتب، فما ردك على هذه الدلائل؟

ج26: ماجد الغرباوي: هكذا روايات باتت ضرورية جدا بعد تمادي المهدي في غيبته، لطمأنة المرتابين بأصل ولادته، فالروايات تداركت الأمر وأعطت لوجود الإمام بعدا وجوديا سواء كان حاضرا أم غائبا، كتوقف وجود الأرض على وجوده!. فأصبحت للإمام مهمة وجودية ولو كان غائبا، وبهذا قمعت الرواية الريبة والشك بعد أن منحت غيبة المهدي بعدا فلسفيا وجوديا صار يتباهى به الشيعة. واضمحلت شكوك كانت تدور حول جدوى وجوده غائبا. كم هي مفيدة هذه الروايات لولا رائحة الوضع التي تفوح

منها ، ومضمونها الذي فضح غاياتها. هـذه الروايـات تهـدف لترسـيخ الإيمان بقضية يرفضها العقل، وتعطـي معنـى لوجـوده غائبـا ، وذلـك بـأن الأرض لا تخلـو مـن حجـة. أو أنهـا تسـيخ بأهلهـا!. وهـي روايـات سـنية (لـدعم الأبـدال الصـوفية). وشـيعية (لـدعم الإمـام). أو لا تخلـو من إمام كما في أخبار الشيعة (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت).

وأمـا الملازمـة بـين وجـوده ووجـود الأرض كمـا جـاء في الخـبر، فهـراء لا يسـتحق التوقـف عنـده، فمـا علاقـة الأرض بوجـود أو عـدم وجـود أي شـخص مـا عـدا الخـالق جـل وعـلا باعتبـاره علـة وجـوده؟ وحتـى لـو تنازلنـا عـن عقولنـا ، وقلنـا بوجـود ملازمـة بينهمـا (جـدلا) فأيضا لا يلزم منها ضرورة وجود المهدي، بل وجود مطلق الحجة.

إضـافة إلى ضـعف هـذه الروايـات وتقوّلهـا علـى الله مـا لم يقلـه. والقضية برمتها لا يمكن تصديقها إطلاقا ، لأن توقف الأرض على وجود حجـة أو إمـام أمـر كـوني مـرتبط بخالقـه تعـالى، وهـو منتـفٍ بالضـرورة، فـلا قيمـة حينئـذٍ للروايـات، إضـافة إلى عـدم وجـود تجانس وسنخية بين الإنسان والكون. وما خالف الكتاب فاضربوا به عرض الجدار ، فكيف وهي تخالف الكتاب والعقل السليم.

ولا أدرى هل هو حكم عام وفي جميع الأزمنة؟ فما بالها لم تسخْ الأرض ولم يتعطـل مسـار التـاريخ، حينمـا كانـت الـدنيا خاليـة مـن وجود أي نبي أو إمام؟ حيث كـان النـاس أمـة واحـدة ولم يحـن بعـد بعث الأنبياء (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ). بـل ومـرت فـترات مـا بـين بعثـة الأنبيـاء خلـت فيهـا الأرض مـن وجـود أي نـبي أو إمام. خاصة الفترة الممتدة بين النبي محمد ومن قبله.

ربما يدعي الغلاة أن الأئمة أنوار قبل خلق السماوات والأرض، فلم يخلُ الوجود منهم. ويبدو أن هذه الرواية المكذوبة على اللّه ورسوله لم تلتفت للرواية السابقة، فإنها تقول: لم تخلُ **الأرض** وليس الكون والوجود. لكن الغلاة لا يشعرون بتناقض كلامهم.

ثم إن العقل والعلم يكذبان هذا الكلام، فالأرض تسير وفق قوانين وضعها اللّه لتنظيم حركتها ضمن حركة الكون الوسيع بجميع تفصيلاته، وليس لها علاقة بأحد. والأرض لا تسيخ، وُجِدَ الحجة أم لم يوجد، وجد الأبدال أم لا. فالقضية مرفوضة أساسا.

س27: طارق الكناني: يعضد أصحاب هذه النظرية (ان الارض يجب ان لاتخلو من حجة) وجود الأوصياء الذين كتب المسعودي عنهم في كتابه (اثبات الوصية): إن الارض لم تخلُ من حجة، وقد توارثوا هذه الحجية من شخص لآخر. ولدينا بعض الروايات تعتبر أبا طالب آخر أوصياء عيسى، وقد ورث الوصاية عن أبيه عبد المطلب. ولديهم أدلة كثيرة يسوقونها في هذا المجال، ألا يمكن تأويل الحديث بشكل ايجابي بعيدا عن اراء الغلاة؟؟

ج27: ماجد الغرباوي: نعم يمكن تأويل الحديث بشكل إيجابي بعيدا عما ذكرته من كلام المسعودي لأنه بلا أدلة معتبرة، ونكتفي بالقرآن والعقل والصحيح من السيرة:

المقصود بالرواية أن الأرض ستفقد زمام أمرها وتصبح فوضى مع عدم وجود هاد يهدي الناس للّه عزوجل. وهذا تأويل ممكن لولا أن الآية مطلق فلا يمكن حصر الهداية به. بل وتفترض تعدد

الهداة استجابة لظروف الناس وحاجاتهم: (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، فمهمة الرسول الكريم هي الإنذار والتبليغ، أما الهداية فلا تنحصر بشخص، ولا تختص بمصداق واحد، ولا تتوقف على وجود إمام كما يتوهمون. بل يتعدد الهداة بتعدد الأقوام، ولكل قوم هاد، مراعاة لظروفهم، وثقافتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ومستوى وعيهم. ويستحيل أن يحيط شخص واحد بظروف جميع الأقوام والمجتمعات، فالهداية متجددة بتجدد المجتمعات ووعي شعوبها، ويتجدد الهداة مع تجددها. فالآية لم تقل لكل أمة هاد، كي يقتصر مصداقها على واحد بعينه، بل لكل قوم هاد.

فهذه الآية تنسف فكرة وجود المهدي الذي تجاوز عمره قرونا متمادية وما زال يمتد بامتداد تعصب غلاة الشيعة لهذه المسألة وعدم رضوخهم للعقل والمنطق. ماذا يريد أن يفعل المهدي وقد انقطع الوحي بعد وفاة الرسول؟ هل سيمارس دوره الاجتهادي، فما الفرق بينه وبين المجتهدين الآخرين؟ أم يمارس دور الهداية ولماذا هو دون غيره كي ننتظره كل هذه القرون وهناك من هو قادر على الهداية، ممن يتصف بالعلم والتقوى والإخلاص والوعي والمعرفة؟.

ربما هذه الآية لم ينتبه لها أحد من قبل، إنها تنسف فكرة المهدي المعمّر الذي لا نعلم متى ظهوره. لقد أصر الشيعة أن المقصود بالهادي في الآية هو الإمام علي في سياق التنافس على فضائل الصحابة. ولا مانع أن يكون عليّ أحد الهداة بل هو أهل لها ولا أحد يرقى له هداية وعلما ووعيا وحكمة. لكن الهداية لا تنحصر به كما يريد الشيعة، بل كل قوم بحاجة لمن يهديهم كي يأخذ بنظر

الاعتبار ظروفهم وحاجتهم، فيقدم لهم فهماً متجددا للدين. أما لو كان قصد الآية واحدا بعينه لقالت ولكل أمة هاد، لأن الأمة أعم من القوم، فلم تقل ذلك وقالت لكل قوم هاد، وهو مفهوم واضح.

وأما على الرأي السني فإن الهداية مناطة بالحُجة مطلقا، فلكل زمان هناك مرجع عليم يهتدون بعلمه، هكذا يؤولون الحديث، وهذا أقرب لفهم آية: "ولكل قوم هاد".

س28: طارق الكناني: مر بنا الحديث سابقا، كلما توفي إمام قال بعض أصحابه لقد غاب وسيعود. وهذا ليس على صعيد الشيعة فقط، بل هناك مذاهب أخرى تقول بها. فنظرية الغيبة كانت موجودة أصلا حتى في القرن الأول الهجري، وهناك أمثلة كثيرة على هذا الموضوع لسنا بحاجة إلى ذكرها. فهل هناك رؤية فلسفية حديثة تعطي لغياب المهدي معنى آخر يمكن للعقل تقبلها.؟ علما أن علماء الشيعة لهم فلسفتهم حول هذا الغياب، وكتبهم تشهد بذلك. وقد تناول بعض علمائهم هذه النظرية بشكل مفصل.

ج28: ماجد الغرباوي: فكرة الغيبة قديمة تاريخيا، وأول من قال بها من المسلمين عمر بن الخطاب عندما أنكر وفاة الرسول وقال إنه لم يمت بل غاب وسيعود. وأيضا هناك من أنكر وفاة الأمام علي، وهم السبأية، نسبة إلى عبد الله بن سبأ الذي قال: إن عليا لم يمت وسيعود يملأ الأرض قسطا وعدلا. وذات الأمر حصل بعد وفاة محمد بن الحنفية، وكان أصحابه يندبونه باعتباره حيا. وقد جاءت في دعاء الندبة عبارة تؤكد نسبة الدعاء لهم. حيث

يقولون في ندبه: "أين حل بك النوى؟ أبرضوى أم بذي طوى"، وهما جبلان قرب مكة على الطريق بينها وبين المدينة، مما يؤكد نسبة الدعاء للقرن الأول وليس ما بعد القرن الرابع. ويقرأ الشيعة هذا الدعاء في صباح كل يوم جمعة، يندبون فيه المهدي، ويبكون بكاء مرا، يلطمون وجوههم بحرارة، لكنه لم يستجب لدعائهم.

ففكرة المهدي ليست غريبة على المسلمين مع وجود روايات عن النبي الكريم، لكن المشكلة في المصداق الذي تنازع حوله المسلمون، خاصة المذاهب والفرق الشيعية، وما المهدي بن الحسن العسكري تاريخيا سوى حلقة أخيرة ضمن تاريخ يمتد بامتداد أئمة أهل البيت حول المهدي المنتظر، حتى شكل عدم ظهوره تحديا لعدد من الأئمة، كادت تعصف بالكيان الشيعي برمته. لكن هناك من يصر خطأ أو بدوافع مختلفة على تفرد المهدي بن الإمام العسكري. ويصر على أنه ما زال حيا. المشكلة الأساس أنهم لم يفهموا مراد الرسول بشكل دقيق ما هو مراده من المهدي؟ وكيف يكون مهديا واحدا والآية الكريمة تفترض وجود مهدي لكل قوم من الأقوام، إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ. ولو كانت قضية المهدي قضية محورية لها علاقة بالعقيدة الإسلامية فيستحيل أن يهملها القرآن الكريم ما لم يستعرضها بشكل لا يبقى مجال لإنكارها، أي بشكل تكون حجة منجزة ومعذرة. وهذا إشكال مهم لا يمكن الاستهانة به. كما لم يثقف الرسول الكريم عليها بأحاديث تكفي لبيان حقيقته، وصفاته، وشروطه. ومشكلة ثالثة في ضعف أسانيد روايات المهدي أو أغلبها. ثم بينت مرارا أن شرعية

فكـرة المهـدي لا يلـزم منهـا شـرعية وجـود مهـدي غائـب منـذ قـرن ونصـف تقريبـا إلا إذا لم يكـن بشـرا، فللبشـر قـوانينهم في الحيـاة والمـوت، والله تعـالى يقـول خلقكـم مـن نفـس واحـدة. ومفهـوم الآيـة الكـريمة يكـذّب أحاديث تقول: شيعتنا خلقوا من خالص طينتنا.

فـالنفس البشـرية واحـدة، فـلا معنـى للحـديث مـن هـذه الناحيـة. وإذا كانت هناك ميزة لأحد من الخلق فبالتقوى، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). أمـا أحاديـث التفضيل فهي أمنيات، لا مصداقية لها في ضوء الذكر الحكيم.

فلسفة الغياب

نعم هناك آراء وتفسيرات مختلفة، أهمها رأي السيد محمد باقر الصـدر حـول فلسـفة الغيـاب، في كتابـه بحـث حـول المهـدي، وهـو مفكر وفقيه وعالم كبير، تتلمذت في مدرسة كتبه، وتربيت في أحضان فكره، وكانت لي زيارات مستمرة لمجلسه الاسبوعي في مدينة النجف في سبعينات القرن المنصرم، أستفيد من آرائه وأصغي لما يدور في مجلسه من أحاديث مختلفة، واستفسـر منـه أحيانـا عـن بعض القضايا الفكرية والعقيدية.

يعتقد محمد باقر الصدر ثمة فلسفة وهدف وراء غياب الإمام المهدي يفسّر طول غيبته. ملخصه أن المهدي صاحب مشروع ديني – حضاري كبير، يتطلب تنفيذه شروطا نفسية تتضاءل معها هيبة

الحضارات حينما يعاصر سقوطها، وتدفعه لمباشرة مشروعه بثقة عالية وثبات. فهو بحاجة لمواكبتها منذ نشوئها حتى سقوطها، ليتعرّف على أسباب قوتها وضعفها، ويستفيد من خصائصها في بناء نواة لحضارة إسلامية جديدة. الصدر يعتقد أن مشروع المهدي يمثّل نهاية التاريخ والحضارات، وخلاصة التجارب البشرية، وخاتمة الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فيحتاج إلى تراكم معرفي هائل على أساسه يقيم حضاراته. فمشروع المهدي ليس سياسيا فقط، ولا دينيا فقط، بل هو مشروع حضارة، دينية – إنسانية عظيمة، تحتاج لرجل عظيم يختزل في شخصه التاريخ والتجربة الإنسانية، ويتوفر على أفق ممتد يضرب بجذوره في ماضي الحضارات البشرية، ويلتئم مع مختلف الرسالات السماوية.

وهنا يمكننا استدعاء الفهم الحركي للدين للتأكد من دور الدين في الحياة وتقديم فهم آخر، لا يتوقف فيه الدين على أحد فضلا عن انتظار شخص قرونا متطاولة، خاصة وتجارب الإسلاميين فشلت في تقديم نموذج يضاهي النموذج الغربي كحد أدنى فضلا عن نموذج مثالي، والمشكلة ليست في التطبيق بقدر الفهم الخاطئ للدين. فمن يعتقد ثمة مشروع دولة من صميم الدين سيتشبث بكل الوسائل لتحصين فكرته والاستدلال عليها بمختلف الشواهد، وأحدها وجود إنسان كامل لا يعتريه الخطأ والنسيان، فيقيم دولة بمواصفات مختلفة. الدين مشروع إلهي، هدفه هداية الإنسان لربه، وتعميق التقوى في نفسه كي يتوازن في مسيرته. وقد أدت الأديان رسالتها، وبلغ الإنسان مرحلة أصبح فيها

قـادرا علـى توظيـف عقلـه، ليبقـى الـدين يمـارس دوره الروحـي والأخلاقـي. مـن هنـا كانـت دعـوتي لاعـادة النظـر في مفهـوم الـدين وتشـريعاته في دراسـة، بعنـوان: (دعـوة لإنقـاذ الـدين مـن سـطوة الفقهـاء). فينبغـي الحـذر مـن تبريـر وجـود مهـدي منتظـر منـذ قـرون كإنسان كامل من أجل بنـاء دولـة إسـلامية. فالدولـة المدنيـة اليـوم حققـت العدالـة والأمـن والسـلام، ويمكـن لأي شـعب استنسـاخ التجربـة بعـد تـوفر الشـروط المطلوبـة. وللعلـم أن قيـام دولـة مدنيـة لا يـؤثر علـى دور الـدين، بـل العلمانيـة احترمـت الأديـان عنـدما عزلتهـا عن السياسية، وحافظت عليها كحق شخصي لكل فرد. ونحن في أستراليا ننعم بحقوقنا الدينية أسـوة بجميـع الأديـان. فـيمكن إقامـة نموذج حضاري وفق قاعدة أخلاقية توحيدية.

س29: طـارق الكنـاني: محمـد بـاقر الصـدر مفكـر وفيلسـوف كبير يتضح هذا من كتبه مثل كتابه فلسفتنا، فأجد ما طرحه موضوعيا ومنطقيا، فدعنا نتوقف أكثر عند أفكار هـذا العـالم لتسليط الضوء بشكل أفضل على فلسفته في هذا المجال، فما هـي ملاحظاتك على آرائه؟ وأنت تلميذ لهذا العالم الجليل وعاصرته عن قرب وفهمت فلسفته، ويبدو أنك خبير بأفكاره أو هكذا شعرت.

ج29: ماجـد الغربـاوي: صـدقت، أسـلوبه مميـز في اسـتعراض الأفكـار، بشـكل يهيمن على عقول القرّاء، حتى أضاع الانبهار بـه وبأفكـاره ومواقفـه وأخلاقـه فرصـة الاسـتفادة مـن أخطائـه. وهـذه إحـدى تـداعيات التقـديس، تضـعك في مـدار التبريـر، والتأويـل

والبحث عن أجوبة تبعدك عن الحقيقة بأي وسيلة كانت.

تقوم رؤية الصدر على مقدمات ومسلمات آيديولوجية، لم يستطع التحرر منها. بمعنى آخر كان الصدر ينظّر في ضوء ثقافته وقبلياته الدينية -المذهبيه، فهو ينتمي للمذهب الشيعي، فكرا وفقها وعقيدة. وينبري للدفاع عنه من موقع المسؤولية، فيوظّف في بحثه كل أداوته المعرفية لتعزيز عقائده، فلا تستغرب انتقائيته وعدم توقفه عند بعض المقدمات وكأنها بديهيات ومسلمات متفق عليها. فالصورة القدسية لأئمة أهل البيت حاضرة في دراساته وتنظيره لفلسفة غياب المهدي، أسوة بغيره من الشيعة، وربما أكثر تماديا، خاصة حينما يتحدث عن المهدي ومشروعه والمسؤوليات الربانية المناطة به. فمثلا يبرر سبب توقف جميع القوانين الطبيعية من أجل بقاء المهدي حيا قرونا طويلة، وربما إلى قيام الساعة، بكلمتين لطيفتين، مفادها: إن هذه الأسرة لا مثيل لها، وأعدها الله لمسؤوليات رسالية!!، وكأنه يريد أن يقول: إن المسألة مسألة عنصرية، والاختلاف يمثّل سر وجودها وتحملها لمسؤوليات السماء، بينما يؤكد القرآن وحدة النفس البشرية، وخلقكم من نفس واحدة، وبالتقوى يصطفى الله الإنسان، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وبتزكية من الله يصطفيهم للنبوة، وكان تفضيل الآل في الآية على أساس رسالي فنكتفي به. ورسول الله بصريح القرآن بشر مثلنا، بكل ما تعني المثلية من تطابق على مستوى أبعاد الإنسان المختلفة. فالصورة المثالية القدسية تتجلى وهو ينظّر لموضوع المهدي، من هنا اقتصر دوره كأي شخص آيديولوجي على التبرير،

والتنظير الفلسفي وكتابة أجوبة براقة مغرية من خلال مصطلحات العلم والفلسفة. لكن هل يغير كلامه الحقيقة؟ هذا مستحيل. والخلاف معه حول أصل الموضوع، وكيفية رفع اليد عن القوانين الكونية بلا دليل رباني.

- جعل الصدر من المهدي أصلا موضوعيا، وقضية محورية، واعتبر الإيمان به بديهيا حداً صار لدى الناس شعور فطري بضرورته!!. خاصة مع مئات الروايات عن الرسول كما يقول. وكلامه لا دليل عليه، فليس هناك من يهتم بالمهدي سوى الشيعة. وحتى السنة الذين يروون عن النبي روايات تؤكد ظهور المهدي يوما ما غير مكترثين بموضوعه، ولم يعولوا عليه شيئا. والمسألة برمتها مجرد أمل، وتحليق في سماء الأحلام، كعادة الإسلاميين عندما يتحدثون عن سعادة الإنسان في ظل حكومة دينية، وجدوى أنظمتها مقارنة بغيرها.

يمكن لأي إنسان الإيمان بالمهدي مطلقا، بناء على روايات الرسول، إذا ثبتت صحتها، وعدم معارضتها للقرآن وهدف الدين والإنسان في الحياة. بحيث نتوفر على هدف موضوعي يبرر ظهوره والإيمان به. وهنا يحق لنا السؤال عن دوره ومهامه ومسؤولياته وسبب اهتمام الرسول به، فما هو الدور الرسالي المناط به؟.

نحتمل في مقام الجواب، أن يكون الهدف الأساس من وجوده هداية الناس إمتثالا لقوله تعالى (إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ). وهذه المهمة لا تبرر بقاءه حيا خلافا لقوانين الطبيعة البشرية من أجل هداية الناس، مع وجود من هو قادر عليها في كل عصر

وزمان. كما أن الآية تفترض أن يكون لكل قوم هادٍ يهديهم وفقا لظروفهم ومتطلبات حياتهم، ولا يمكن لشخص واحد أن يحيط بجميع ظروف الأقوام، ليتفرد بهدايتهم. فالآية تنسف فلسفة الظهور القائمة على الهداية فقط.

وإذا كانت مهمته قيام دولة العدل الإلهي، فيفترض أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وتشريعاته تتناسب مع حاجات الإنسان على اختلاف تنوعاتها، وبإمكان المسلمين النهوض لبناء حضارة إسلامية تتحدى الحضارات المتقدمة التي تتحداهم بنموذجها، سياسيا وثقافيا واجتماعيا، فما حاجتهم للانتظار قرونا متمادية؟ وهذا مبدأ يؤمن به الصدر، وأصدر في ضوئه مجموعة مؤلفات ألهبت مشاعر الإسلاميين فراحوا يتفاخرون بها. وبعضها معتمد في الدراسات الإسلامية، خاصة في إيران. ثم كيف يتوقف الإسلام على وجود شخص وهو صالح لكل زمان ومكان؟ ألا يتنافى هذا مع ما يؤمن به ويؤكد عليه دائما.

أما مهمة المهدي الحضارية فيمكن الموافقة عليها إذا اقتصر دوره على تأسيس نواة حضارية، لا أنه يقيم حضارة يستغرق تشييدها تدريجيا عشرات السنين، وربما مئات السنين كما يقول هو ذلك في كتابه. بل وجعل طول أمد الحضارات مبررا لطول حيات المهدي من أجل مواكبتها حتى سقوطها. فكيف نصفه صاحب حضارة أو صاحب مشروع حضاري كبير يتطلب شروطا نفسية خاصة؟ نحن لا نقول محمد صاحب حضارة بل نقول الإسلام صاحب حضارة. الحضارة لا تنسب للأشخاص بل للأفكار

والعقائد والأخلاق عندما تمتزج بالجانب المادي لتشيّد حضارة على الأرض ينعم بها سكانها، ويساهم في بنائها جميع افرادها.

- يؤمن الصدر بإمكانية طول عمر الإنسان، خلافا لقوانين الطبيعية، واستشهد بعمر نوح النبي الكريم!!. وهذه مقارنة خاطئة، لا تدل على إمكانية بقاء الإنسان حيا حسب طبيعته وتكوينه، لعدم وجود مقتضٍ لبقائه. وثمة خصوصية بالنسبة للنبي نوح، وقد آمن الناس به قرآنيا، رغم عدم قناعة العقل ورفضه لتصديقه. بل وحتى على رأيه بإمكانية تغيّر القوانين والنظريات العلمية إذا ثبت خطأها لا ينفعه لإثبات ما يريد، بدليل حساب الاحتمالات الذي يعتمد عليه الصدر كثيرا جدا، فإن مليارات البشر عاشت على الكرة الأرضية، ونحن نعاصر الآن المليارات لم يحصل أن عاش أحدهم قرونا من الزمان، بل لا يستطيع أحد التفوه بهذا خوفا من رميه بالجنون، فثمة نسق عام للمنطق والأخلاق والعقل عندما يتجاوزها الشخص يسقط احترامه بين الناس، أما أنك تنظر لوجود رجل ما زال حيا منذ 1250 سنة وأنت عار من أي دليل قطعي معتبر فهذا لا ينسجم مع عقل جبار كعقل محمد باقر الصدر، لكن يبدو للآيديولوجيا هيمنة على العقل والمنطق.

إن معاجز الأنبياء تكشف عن وجود قانون خاص مجهول جرت وفقه، فلا يمكن شمول أي شخص بها، ما لم يرد دليل قرآني يؤكدها، فعدم وجود مقتضٍ لبقاء الإنسان حيا سنينا متمادية يجعل بقاءه ممتنعا عقلا فتشمله القاعدة.

إن طول عمر الإنسان قرونا ممتنع ذاتا، وفقا لطبيعته

وتكوينه، وطبيعة تكوين خلاياه الجسدية التي تهرم بالتقادم وتتوقف، فتموت لعدم وجود مقتضٍ لبقائها حية نشطة تمد الإنسان بالحياة، مثلها مثل الشمعة المشتعلة فإنها ستنطفئ جزما بعد فترة طويلة، لا بسبب خارجي كوجود الريح مثلا بل لعدم وجود مقتضٍ لبقائها مشتعلة بعد ذوبانها، وهكذا خلايا الجسم البشري، فيها استعداد للعمل فترة ثم تبدأ بالتراجع والشيخوخة فتضمحل ويموت الإنسان، قال تعالى: (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون). وهذا قانون عام شامل للبشرية جمعاء، مما يبرر إثارة الأسئلة عن حقيقة مفهوم السنة ومدى مطابقتها لمفهومها راهنا، وهل جاء الرقم للمبالغة وبيان مدى معاناة نوح النبي؟ فيكون مثله مثل قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله له). خاصة أن القرآن ذكر عمره كشاهد على حجم معاناته مع قومه. فمعرفة هذه الاحتمالات ضروري لفهم المراد من الآية قبل القياس عليها. أما قول الصدر فرجم بالغيب، لا دليل عليه حتى بحساب الاحتمالات، ولا يمكن رفع اليد بالروايات المروية عن الشك، لأن الروايات في طول القرآن والعقل خلافا لما يعتقده الصدر وغيره بقدرة الرواية على تخصيص وتقييد الآيات القرآنية. ثمة فرق، أن نوحا كان يمارس دوره الرسالي وبقي وفيا له رغم طول عمره، بينما بالنسبة للمنتظر شخص غائب لم نجد له دورا ملموسا سوى تكهنات، وأماني يحلم بها غلاة الشيعة ليل نهار.

ثم حتى لو أن المنهج العلمي -كما يقول -لا يرفض مسألة طول عمر الإنسان من حيث المبدأ، وقد يقوم العلم مستقبلا

بمعالجة أسباب الشيخوخة بعد اكتشافها. فأيضا كلامه مرفوض، أولا: العلم قد اكتشف طبيعة عمل الخلايا، وقابلياتها على البقاء، وتأكد من عدم وجود مقتضٍ لبقائها أكثر من العمر المتعارف فكيف لا يرفض طول عمر إنسان عمّر أكثر من 1200 عام؟. أما لو كانت المشكلة في احتمال وجود مانع يحول دون طول عمره، فالعقل هنا لا يستبعد طول عمره، مع احتمال ارتفاعه بالنسبة لهذا الشخص أو ذاك.

المشكلة مع الإنسان ليست في وجود مانع يحول دون طول عمره، بل في عدم وجود مقتضٍ للبقاء، فلا يصدق العقل طول عمر أي إنسان سنينا متمادية، لهذا السبب بالذات.

وثانيا: الكون مصمم وفق حكمة اللّه تعالى، ويتحرك في إطار نظام مترابط، وقد صممت خلايا الكائن الحي بشكل تشيخ وتضمحل، وإلا ما بالك لو البشرية جمعا عالجت أسباب الشيخوخة، فكيف يعيش الجميع على كوكب الأرض؟ المسألة تحتاج لتعقل الأمور وفقا لنظام الكون والحياة، والكف عن منطق التبرير، والركون لمنطق القرآن والعقل السليم، لقد تعب العقل الشيعي، واستكان وما عاد يعي سوى حزمة خرافات يقتات عليها. على السيد محمد باقر الصدر أن يثبت أولا صحة ولادة المهدي ثم ينظّر فلسفيا لغيبته لا أن يعتبرها أصلا موضوعيا ويبني عليها!!. المسألة ليست بهذه البساطة إذا استفاق العقل ومارس الوعي دوره في فهم ما تملي عليه العقيدة، فثمة قوانين حاكمة على الإنسان والكون. والدين يناشد الإنسان بما هو بشر، بعيدا عن أي استثناء.

- ثم أليس المهدي معصوما في نظر محمد باقر الصدر ومن عائلة لا مثيل لها على الأرض؟ فما حاجته لأن يدرس واقع الحضارات البشرية ويواكبها منذ نشوئها حتى سقوطها. أليس علمه حضوريا كما يقول الشيعة، ومتى شاء أن يعلم يعلم؟ فيفترض أن عوامل نشأة الحضارات وأسباب سقوطها حاضرة في علمه متى شاء وبكل تفاصيلها، فلماذا يجهد نفسه 13 قرنا في دراستها؟. ربما نوافق على تبريره لوكان المهدي إنسانا عاديا، لكن الصدر افترضه معصوما، وقد اتفقوا أن علم المعصوم علم حضوري، عكسا للإنسان العادي فعلمه علم حصولي يحتاج لجهد وكسب ومعرفة وانتقال من المجهول إلى المعلوم، وترتيب مقدمات القياس ليعلم بالمجهول. فالصدر مخيّر بين نفي عصمة المهدي كي تستقيم فلسفة غيابه، أو يقول بعصمته ويبحث عن مبرر آخر يقنعنا بضرورة غيابه قرونا متمادية!!.

ثم معرفة الحضارات بات أمرا سهلا في ظل توفر المعلومات وتطور علم الآثار وفك رموز اللغات القديمة، فلا داعي لبقائه 13 قرنا لمواكبتها ودراسة ظروفها، وبامكانه خلال عشرين عاما دراسة الحضارات الإنسانية جمعاء، والتعرف على أسباب رقيها وانهيارها. بل بإمكان مراكز الدراسات اليوم أن توفر لك خزينا من المعلومات، تحتاج جهدا كبيرا لتصنيفها والاستفادة منها. ولا أغالي إذا قلت إن ضربة واحدة على مفاتيح الحروف في جهاز الكمبيوتر ستضع محركات البحث بين يديك مئات البحوث والدراسات والكتب عن الحضارات وسننها وقوانينها وأسباب

قوتها وانهياره، لكن الصدر للأسف لم يدرك عصر الانترنيت.

- يستمد الصدر شرعية قيادة الصبية، أو ما يصطلح عليه بالقيادة المبكرة من النبي يحيى الذي قال الله تعالى فيه: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا). فعاد ثانية ليقارن بأمر إلهي، كما فعل في مسألة عمر المهدي مقارنة بعمر نوح. فلاحظ كيف يسوق المقدمات وكأنها بديهيات لا يختلف فيها أحد بينما أدلتها قامت على مقدمات وهمية وأفتراضات فلسفيه تراكمت واستحكمت بمرور الأيام. كيف يثبت لنا الصدر أن مشروع الأئمة مشروع إلهي حجة على الناس جميعا، ولا يوجد ما يدل ويشهد لكلامه؟. كيف يثبت لنا رعاية الله للمهدي كما رعى يحيى.

كنت أتمنى أن يرفع الصدر لواء الإصلاح بعبقريته وجرأته، ويعلن للناس فلسفة أخرى للدين والإسلام بعيدا عن منطق الروايات، التي ولدت من رحم الغلو واللامعقول الديني. لكن للإسف لم يحصل هذا، بل الصدر لم يشجب طقوس عاشوراء، أسوة بغيره من المصلحين، مع يقينه بتداعياتها على الوعي والعقل الديني. بل ولم يتحرر من قيود الحوزات العلمية وتعسفاتها. وبرأي ليس مشروع المهدي، لو ثبت، شيئا غير الإسلام. والإسلام متعدد في فهمه وقراءاته، ولا يستطيع المهدي أن يقدّم فهماً خارج إطار قبلياته وبيئته وثقافته، فما ضرورة أن يعمّر قرونا طويلة؟. فهل يبقى أسير ثقافة وبيئة القرن الثالث؟ وهذا لا ينفعنا، فلنا ظروفنا ومتطلباتنا. أم ينطلق من صميم بيئتنا؟ فلا حاجة حينئذٍ لكل هذه الأسطرة واللامعقول.

س30: طارق الكناني: بدا واضحا أن هناك اختلافا بالرؤى بين ما طرحه المفكر الصدر وبين ماتطرحه ردا على نظرياته وخصوصا في قضية المقارنة بين الأنبياء وأئمة أهل البيت، حيث يعتبرهم الشيعة امتدادا للأنبياء، بل هم ورثتهم في كل صفاتهم وصلاحياتهم. فعند قراءة زيارة وارث تجد ذلك واضحا جليا، والصدر رحمه الله لايغرد خارج السرب فهو ابن بيئته. ولكن أريد معرفة تفسيرك لكلامه وما طرحه وتوغل فيه من أفكار؟

ج30: ماجد الغرباوي: المشكلة لدى الصدر لا يتجرد عن قبلياته في مجال العقيدة، ولا يضع مسافة بينه وبينها كي يقرأ الأشياء وفقا لمعطياتها التاريخية والبيئية. ينطلق في رؤيته من قبلياته، ويعتبر المهدي أصلا موضوعيا، بديهيا، يبني عليه أفكاره. ولعقيدته سلطة مهيمنة على تفكيره ومنهجه، فهي أسيجة حديدية، وجزر مغلقة لا يتجاوزها، ويعتبرها يقينيات ينطلق منها في تعامله مع جميع القضايا. فالنص التراثي مهيمن على تفكير محمد باقر الصدر، وهذه مشكلة أساس، نابعة من إشكاليات النصوص نفسها، بعد قرن ونصف من الزمان تقريبا، فكيف يقنعنا بصحة صدور الروايات، وعدم وجود تدليس أو تزوير أو استبدال سند رواية بسند آخر، أو الكذب على الله ورسوله.

كما هناك إشكالية العصمة وما يترتب عليها من نتائج خطيرة، أهمها أنك تجرد المعصوم من بشريته، وتجعل منه عقلا مطلقا، فتنتفي الأهداف الآيديولوجية والسياسية والطائفية

والتـأثيرات البيئيـة والتربويـة والنفسـية، وتنحصـر مهمتـك بالتأويـل والبحث عن تفسيرات وتأويلا تتفق مـع الـنص ومفهومـه. فالصـدر لا يستطيع اقناع غير الشيعي بهذه الاستدلالات ما دام ينطلق من تـراث لا يـؤمن بـه الآخـر. كـان ينبغـي للصـدر الإرتكـاز لمرجعيـة القـرآن والعقل. العقل والقـرآن فـوق الـنص في العقيـدة: (والـذين إذا ذكـروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا). لكننا نقـرأ منهجـا آخـر بخصوص عقيدته بالمهدي، مما يؤكد ارتهانه لمنطق النص الروائي بشكل لا يمكنه التحرر منه ليتناول المسألة بشكل موضوعي.

ثم إن وجود مشـروع حضـاري رسـالي ربـاني يتفـوق علـى رسـالات الأنبيـاء منـاط بأهـل البيـت خاصـة، كمـا يفـترض الصـدر، قضـية تحتـاج لشـواهد قرآنيـة نصـية، ولا تـترك للتـنظيرات والتصـورات. محمد باقر الصدر أصولي بـارع، بإمكانـه أن يسـتدل علـى الشـيء وضـده. فيجعـل مـن القيـاس علـى الأنبيـاء شـيئا بـديهيا وهـذا أمـر مستغرب، فللرسل خاصيتهم، وشرعية رسالاتهم موثقة في الكتب السـماوية. فمـن يطالـب النـاس الإيمـان بالمهـدي عليـه بأدلـة حسـية يصدقها كل من شهدها، أما التنظيرات فما أسهلها حينما يكـون عالم الدين بمستوى محمد باقر الصدر الذي ألهب مشـاعر الشـباب بتأليفاتـه: فلسـفتنا، أقتصـادنا، الأسـس المنطقيـة في الاسـتقراء وغيرها. الكتب التي رسم من خلالها إسلاما سياسيا نظريـا مترعـا بالسعادة والحبور، وليس له أي دليل تطبيقي على صدقه بل عانـت النـاس مـن حكـم الإسـلاميين ومـا زالـت تعـاني. ولـيس الخطـأ في التطبيـق كمـا يشـيعون، بـل الخطـأ في التـنظير وفهـم الـدين،

ودونكم كتاب الله وقارنوا أحلام الإسلاميين به!.

ومن يعتبر قضية المهدي قضية غيبية ليس لدى الإنسان سوى التسليم بها أسوة بباقي الغيبيات فهذا إما جاهل أو مغالط، لا أحد يؤمن بالغيب كوجود الملائكة والجن والجنة والنار لولا كتب السماء وبشارة الأنبياء. ولا يُصدق الغيب مباشرة بلا دليل سوى بسطاء الناس، يدفعهم لذلك طموحهم في عالم سحري لذيذ يحل مشاكلهم ويمنحهم فسحة أمل وسعادة.

إن التوقف في العقائد ومنها قضايا الغيب أمر ممدوح قرآنيا، يصدق أنه مبدأ قرآني في التعامل مع مطلق العقائد. فالآية التالية تمتدح الواعين والأذكياء حينما يتوقفون في تصديق آيات الله، وتصفهم بأعلى درجات الوعي واليقظة: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)، فجملة لم يخروا تعني التوقف، والتدبر، والتريث والتأني بل هي إحدى صفات المؤمنين كما هو واضح من سياق الآيات:

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا، وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا، وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا، وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواعَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، أُولَئِكَ

يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا).

أما من يعتقد بكل شيء وبسهولة فإن مفهوم الآية ذم واضح له. فالعقل في مجال العقيدة فوق النص وليس العكس كما يريد رجل الدين. والشك والسؤال في مجال العقيدة مبدأ قرآني تدعمه جملة آيات مبثوثة على أمتداد القرآن الكريم وسوره المباركة. وتجدها واضحة في خضم الجدل مع المنكرين والكافرين والمشركين.

أخيرا ، بودي أن أسأل: أيهما أفضل للّه ودينه وللناس جميعا أن يُبقي اللّه تعالى شخصا 14 قرنا أو يزيد حيا ليقوم بمهمته الرسالية؟ أم الأفضل أن يبعث نبيا من نسل محمد (باعتبار خصوصيتهم)، إلى نفس بيئته، يفهم ظروف قومه وتطلعاتهم، ويجيد لغة العصر والتحدث بها على جميع المستويات؟

حتى وإن خُتمت الرسالة فليس كل الأنبياء مرسلين، خاصة وأن السيد محمد باقر الصدر ينسب للمهدي مشروعا حضاريا هائلا يمثل نهاية التجربة البشرية، فمن الأولى أن يتصدى لها نبي مسدد مبعوث من اللّه تعالى أم غير نبي؟.

ثم هل قامت الحضارات على يد الأنبياء خاصة كي نحتاج لرجل يعمّر 1300 عام ومازلت السنين مفتوحة أمامه؟ وكيف يفسر الصدر إنجاز الإنسان الغربي، وما ينعم به من تطور حضاري على جميع الأصعدة؟

س31: طارق الكناني: شكرا لك أستاذ ماجد. استعراض شيق، ومناقشات علمية موضوعية. أعود للسؤال السابق، فأنت لم تتطرق لتفسير الآيات التي ذكرتها في سؤالي السابق والتي استشهدوا بها على ضرورة وجود المهدي؟ فهل تعود بنا لأجوائها؟

ج31: ماجد الغرباوي: نعم، نعود للآيتين اللتين استشهدت بهما لإثبات ضرورة وجود الإمام المهدي. فنقول: لا يوجد أي تصريح في الآيتين، ولا يوحي النص بأية إشارة نحتمل تأويلها بالمهدي وضرورة وجوده حيا. وحتى لو صدقت بأن المقصود بالآية وجود شخص مهدي، فإنها لا تفترض بقاءه عمرا مديدا، وهذه مسألة أخرى تعقّد الأمر أكثر.

أما الآية الأولى: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"، فيتوقف فهمها على الجزء الثاني المكمل لها. تقول تكملة الآية: "وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ". فالآية تتحدث عن بني إسرائيل الذين أذلهم فرعون فجاء الوعد الإلهي بهذه الآية. وهنا لا تصدق قاعدة (المورد لا يخصص الوارد) لأن الآية منصبّة على هذا المورد بقرينة نفس الآية التالية.

قاعدة المورد لا يخصص الوارد تصدق حينما يعطى القرآن قاعدة عامة ويذكر مصداقا واحدا أو أكثر، فيمكن تطبيقها على مصاديق أخرى. أما هنا فمصداق الآية محدد واضح لا يشمل غيره، فهو ليس موضوعا عاما مأخوذا على نحو القضية الحقيقية فيشمل غيره متى توفرت فيه ذات الشروط. الآية ناظرة لموضوع

خارجي محدد، فكيف تحمل على آخرين؟. وحتى لو قلنا بانطباق القاعدة، فإن المورد سيشخّص موضوع الحكم، ومشخصات الموضوع تؤخذ في جعل الحكم، فلا تنطبق الآية حينئذٍ إلا على قوم يشبهون بني إسرائيل وسلطة فرعون وهامان، وهذا منتفٍ بالضرورة. ومظلومية الشيعة ليست كمظلومية بني إسرائيل، كل ما في الأمر هناك نزاع سياسي تاريخي على السلطة منذ يوم السقيفة، فولّد تداعيات كثيرة منها بناء منظومة عقائدية تدعم شرعية هذا الطرف أو ذاك، وتؤكد أحقيته وأفضليته راحت تستغرق في تأويل الآيات، ومعالجة ضعف الروايات قسريا من أجل إرساء بناء عقائدي يدعم شرعيتها. ونسى هؤلاء أن القضايا العقائدية الحجة على المسلم (والحجية هنا بمعنى المنجزية والمعذرية) قضايا قرآنية صريحة واضحة، مثل: لا إله إلا الله .. محمد رسول الله. (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

هذه هي العقيدة التي سيُسأل الإنسان عنها يوم القيامة لتمام حجيتها، تنجيزا وتعذيرا، ولا يتوقف قبول الأعمال على سواها من العقائد. وما هذا الصراع سوى غثيان وضياع سببه التعصب والطائفية والجهل والأمية وعدم المعرفة. والتشبث بالروايات بعيدا عن العقل والقرآن الكريم، وهدف الرسالات، حداً اختزل غلاة الشيعة الإسلام بعائلة مقدسة مكونة من خمسة أشخاص، لأجلها كما يعتقدون خلق الله الكون، وبيدها الأمر والنهي، وبها

تنحصر جميع السلطات!!!. "يا محمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما"!!. وغيرها من روايات تروى.

وأما آية: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ). فليس لها أية علاقة بموضوع المهدي وظهوره. ومفهوم الإصلاح متعدد الأبعاد، تعرف دلالاته من خلال سياق الآيات، فالإصلاح هنا ناظر للأرض بجميع أبعادها بقرينة: (يرثها، والأرض، وعبادي الصالحون). فشرط وراثتها إصلاحها، وإصلاحها يعني إعمارها والاستفادة من خيراتها، ولا مانع من وجود شرط الاستقامة في الوراثة النهائية. والآية الكريمة تفترض وجود مصلح ليرث الأرض ويستعمرها. ومعنى وراثة الأرض القدرة على التحكم بها من خلال اكتشاف قوانين الكون وتسخيرها، والاستفادة من خيراتها. ومعنى ورثتُ الشيء، أي انتقلت ملكيته لي، أو صار ملكي وتحت تصرفي. وهنا لا يصدق حرفيا مفهوم انتقال الملكية، لأن الأرض لا تملّك لأحد سوى الله عزوجل خالقها، فالمراد بورثة الأرض القدرة على التحكّم بها والاستفادة من خيراتها، ولا تعني خصوص السلطة والحكم كما يرى بعض المفسرين، رغم أن السلطة مشمولة بها، لكن لا دليل على الاقتصار عليها. فيرثها من كان صالحا، أي قادرا على إعمارها وإصلاحها بعد اكتشاف قوانين الطبيعة، من أجل إصلاح الحياة والإنسان والمجتمع، وهذا أحد أهداف خلق الإنسان: (أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا). وقد ورث الغرب الأرض منذ مئتي عام

بعد اكتشاف قوانينها، فاستثمر خيراتها وطوّر حياته، وحققت الآية بعض مصاديقها. فالآية الكريمة لم تشترط في وراثة الأرض أن يكون الوارث مؤمنا أو مسلما أو أي صفة دينية أو روحية إنما اشترطت الصلاح، والبشر جميعا عباد اللّه، وما يدعيه دعاة المهدوية بأن المهدي سيأتي بالمعجزات لا دليل عليه إطلاقا سوى أمنيات وعقدة اللحوق بركب الحضارة التي تربع الغرب على عرشها، ونحن ننتظر المهدي يصلح لنا أمورنا ويقيم لنا حضارة.

الحضارات بنيت بتراكم جهود جبارة هائلة أثبتت قدرة الإنسان بما استودع اللّه تعالى فيه وفي الكون من قوانين وقدرات هائلة. فكان رهانه تعالى مع الملائكة على قدرة الإنسان في خلافة الأرض وإعمارها، الذي سيفضي إلى الإيمان المطلق بخالق هذا الكون، من خلال العقل والتجربة، وهو المطلوب. وسيثبت الزمن مستقبلا مفاد الآية المباركة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ). فكان سبب استغراب الملائكة زاوية النظر عندما قالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)؟. ثم احتجوا عليه: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ). فكأنهم قالوا: كيف تجعل من يسفك الدماء خليفة ونحن نسبح بحمدك؟ فكانت زاوية نظر الملائكة منصبة هنا على البعد الإيماني في احتجاجها. فجعلت الإيمان والتقوى ميزانا وملاكا لخلافة الأرض. لذا استبطن جوابه تعالى أمرا آخر عبر عنه: (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ). وهو ما تجهله الملائكة حول

فلسفة وجود الإنسان على الأرض ومدى قدراتها وقابلياته، فاقتصر نظرها على البعد الإيماني. بينما خلافة الإنسان أبعد، وقد أشار لها تعالى في بداية محاورته حينما عبر بلفظ الخليفة، فقال: إني جاعل في الأرض خليفة، لكنها لم تدرك مراده. فهم لم يعاصروا الإنسان ولا يعرفون عن قدراته الخلاقة سوى سفك الدماء، بينما أثبتت الإنسانية قدرتها على مواجهة كل تحديات البيئة والحياة، واستطاعت استخلاف الأرض بجدارة، وما زال الطريق أمامها للإيمان بخالق الكون عن طريق العلم وذات العقل المتمرد.

ربما لم يقل بهذا الرأي أحد، لكنه اجتهاد شخصي واستنطاق للآيات الكريمة، فليس الأمور كما تشتهي الفرق والمذاهب الكلامية بل هناك قرآن وعقل، هما المحددان الأساسيان في صياغة أية عقيدة دينية، وأي خروج عليهما لا قيمة له مهما كان عدد الروايات والأخبار، بعد تعمد المسلمين الكذب على الله ورسوله. وقد كذبوا على النبي الكريم في كل شيء، وما من فكرة أو عقيدة أو فضيلة، إلاّ وادعوا وجود روايات وأخبار عن الرسول الكريم كذبا وافتراء، . محمد بن عبد الله هو الصادق الأمين، وهو المؤتمن على القرآن والرسالة والوحي، وهو الأعرف بكتاب الله وآياته، فكيف يقول ما يعارض الكتاب الكريم والعقل؟ هذا مستحيل، بعد أن وصفه القرآن بالأمانة والصدق وحسن العقل، وقد أدى رسالته بنجاح كبير. (ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين ...).

لا يمكن للمسلمين النهوض ما لم تتحرر عقولهم من سلطة

النصوص والتراث، ويفهمون الدين ومقاصده وأهدافه وغاياته، بعيدا عن الروايات التي تعكس فهماً آخر، يمثل زمن الرواية بأبعادها المختلفة. فهي روايات محترمة إلا أنها تعبّر عن ظروف وبيئة وثقافة مختلفة. فللرواية ظروفها ولنا ظروفنا، وبإمكاننا العودة للكتاب الكريم وفهم رسالته فهماً صحيحا.

للأسف لم أجد من يهتم بآيات الخلق التي ترسم معالم هدف الرسالات والأديان، وهذا خطأ كبير في فهم الدين. بل وأحد أسباب جميع الانحرافات العقائدية والسلوكية، خاصة ما تمارسه الحركات الإرهابية باسم الدين والقرآن. وما تبثه حركات الغلو من ثقافات تكرس الجهل والأمية والتكاسل في الحياة الدنيا.

فلسنا بحاجة للروايات إلا بشكل محدود، وعلينا الاقتصار عليه، وعدم التمادي في التمسك بجميع الروايات، لأنها تعكس فهماً للدين والكتاب المبين في ضوء ظروف وحاجات وتطلعات زمن الرواية. ثم لا يوجد نص عدا القرآن وبعض الأحاديث النبوية الشريفة فوق التاريخ، أو عابرة للتاريخ والأزمان. فينبغي قرأتها ضمن ظروفها.

وأيضا لا دلالة في آية: (بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، لأنها مقتطعة من سياقها حيث يقول تعالى: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ). فالآية تتحدث عمن يبخسون الناس، فيسرقون من بضاعتهم أو من ثمنها، فالآية تحذرهم مما بقي في أيديهم من مال حرام مسروق، وترغبهم بما عند اللّه، فتقول: وبقية اللّه خير لكم، فبداية الأية هكذا: (ولاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ). فلا علاقة لها

بالمهدي، بل لا يعقل أساسا، كيف يكون خيرا لهم وهم مع رسول الله؟ ثم ما معنى "خير لكم" مع المهدي، هل يبقون أحياء كي يدركوه، إنها هرطقات الغلو، وتأويلاته الباطلة.

هذا اللون من التأويلات لا يجدي نفعا سوى مزيد من الإنكفاء ومصادرة العقل من أجل تبرير قرآني يعطي معنى لوجود المهدي.

إنها عقدة عدم وجود أدلة صريحة حول المهدي فاضطروا لتأويل الآيات ووضع الأحاديث حتى صار المهدي بقية الله وهي (أي المهدي) خير للمؤمنين من كل شيء.

أعود وأقول المشكلة ليس في فكر الغلو بل المشكلة في العقول التي تؤمن به بعد تنازلها طوعا عن العقل وهجران الكتاب الكريم.

الحذر الإسرائيلي

س32: طارق الكناني: يقول سعيد أيوب (كاتب وإعلامي مصري) في كتابه (المسيح الدجال) ما معناه بأن السباق الإسرائيلي بامتلاك القنبلة النووية والتكنلوجيا الحديثة لا لمواجهة العرب فهم ليسوا بهذه القوة والمقدرة ولكنهم يستعدون لمواجهة الإمام المنتظر.. لا أعرف ماهي الوسائل الحربية التي سيتخذها الإمام لمواجهة التطور التكنلوجي واسلحة الدمار الشامل؟

ج32: ماجد الغرباوي: ياسيدي الإمام المنتظر في الروايات الشيعية كائن أسطوري لا تؤثر فيه أعتى الأسلحة فتكا، فما تأثير أسلحة إسرائيل تجاه قدراته الخارقة!!. لو تقرأ ماذا كان يفعل بعد ولادته وهو ابن بضع أيام، وكيف ارتفع للسماء بواسطة ملكين ليقف بين يدي اللّه عزوجل، ويأخذ منه ميثاقا، فحينئذٍ لا تتعجب من هذا الكلام!!. لقد تكلم بكلام فصيح ومشى على قدميه وعمره أربعين يوما. يدخل عليه أصحاب أبيه فيخبرهم بأسرار عجيبة غريبة، واليك أحد القصص الأسطورية المروية: (لما ولد الخلف المهدي "صلوات اللّه عليه" سطع نور من فوق رأسه الى عنان السماء، ثم سقط ساجداً لربه تعالى ذكره، ثم رفع رأسه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا هو، والملائكة أولو العلم، قائماً بالقسط، لا إله الا هو العزيز الحكيم، إن الدِّين عند اللّه الإِسلام). كما أن قدراته بعد ظهوره أسطورية، وهذا هو المتداول الآن في المخيال الشيعي، لهذا تستغل هذه الروايات للتشهير بالشيعة وعقائدهم، لأنها راسخة في عقولهم. لكن من يفهم؟.

لم أطلع على الكتاب المذكور، ولم اسمع بقصته، ويقع خبره في سياق التهويل للمهدي، أو الاستهزاء بالشيعة وأفكارهم، وهو الأرجح، لأنه سيخرج بالسيف، كما أكدت الروايات ذلك، أما كيف يعطّل الماكنة الحربية بسيفه؟؟ فهذا لا يعلمه إلا غلاة الشيعة!!!.

س33: طارق الكناني: الكتاب يؤيد الروايات الشيعية ولا يستخف بعقائدهم بل كان يؤكدها بشكل مطلق .

ج33: ماجد الغرباوي: لا أعتقد بما يقول. وحتى لو آمنت إسرائيل به وبالأساطير المحيطة بظهوره، فهذا لا يحفزها للاستعداد، لأنه مجرد كلام. فلا شك أن كلامه مرفوض وفقا لمنطق العقل والقرآن وصحيح الروايات. إسرائيل دولة، وحساباتها لا تجري وفقا لمنطق التراث والروايات، خاصة أن الحكومات الإسرائيلية علمانية، ليست على وئام وتوافق دائما مع الحاخامات وهلوساتهم. لكن متى ما أصبح المهدي واقعا ملموسا حينئذٍ يمكن تعقل كلامه. فدعه يظهر أولا ولكل حادث حديث.

كلام الكاتب يأتي في سياق العجز المتجذر لدى العرب والمسلمين الذين نكست رؤوسهم إسرائيل، فراحوا يتشبثون بأوهام وروايات للتخلّص من عارها أمام شعوبها والأجيال القادمة. إنها عقدة مستعصية لكن ماذا سينفعهم هذا الكلام؟. إسرائيل شاخصة بكبريائها، والعرب يلوذون بخيبات التخلف والإنكسارات. الدول العربية 22 دولة بثروات طائلة.

المهدي والمعجزات

س34: طارق الكناني: لماذا يُستكثر على الشيعة اعتقادهم بغيبة الإمام وتكلمه في المهد وسبقهم المسيحيون الذين يعتقدون بغيبة عيسى عليه السلام. وكلامه في المهد مذكور في القرآن، واحياؤه الموتى والمعجزات التي اجترحها بأمر الله عزّوجل وخير دليل يسوقونه هو قصة الخضر مع موسى عليهم السلام؟ إذا كانت رواية الشيعة مطعونة فبقية الروايات أيضا مطعونة؟

ج34: ماجد الغرباوي: ما جاء به عيسى والنبيون ليس رواية بل نصوصا قرآنية قطعية السند والدلالة، فبأي دليل نجزم بصحة صدور الروايات وصدق وتمام مؤداها؟ ومهما كانت الرواية قطعية السند والدلالة فلا تورث سوى ظن لا يرقى لمرتبة العلم، والظن لا يغني من الحق شيئا، وتصديق المعجزة يتوقف على وجود أدلة تورث العلم واليقين كآيات الكتاب، والتواتر المستفيض، والأدلة الحسية.

معجزات الأنبياء جاءت لتصديق رسالاتهم، وهي موثقة قرآنيا. ويقصد بها قضايا خارقة للعادة، يتعذّر على الإنسان الإتيان بها. فالمسألة ليست مسألة استكثار على الشيعة والمهدي، بل لحاجة المعجزة إلى دليل قرآني صريح يؤيدها ويوثقها، باعتبارها حدثا خارقا فوق قدرات الإنسان وقابلياته، فلا يصدّقها العقل السليم، وقد خص الله بها بعض الأنبياء لتأييد رسالاتهم.

فالدليل القرآني شرط لتصديق أي معجزة حدثت سابقا ويتعذر علينا التأكد من صحة صدورها، فنصدقها تصديقا للقرآن وما

جاء به. سواء صدقها العقل أم لا. فيكون الإيمان بالمعجزة تصديقا لكلام الله تعالى.

مقتضى حجيّة الدليل في القضايا العقائدية أن يكون صريحا، واضحا، قطعي الصدور والدلالة، كي نرفع اليد عن التعارض بينه وبين العقل الذي يرفض صدور أي معجزة خارقة من أي إنسان حسب طبيعته وتكوينه. فالعقل لا يتنازل عن قناعاته في هذه الحالة، لأنها عامة لا تخصص، فيستدل بالخبر القرآني على وجود قوانين مجهولة وراء صدور المعجزة، سكت القرآن عن بيانها. فسكوته عن بيانها لا ينفي وجودها، ولا ينفي وجود أسباب طبيعية ضمن السنن الكونية صدرت بموجبه معاجز الأنبياء والمرسلين، وربما سيكشف عنها العلم مستقبلا وحينئذٍ لا تكون معجزة رغم أنها معجزة في زمانها.

إن تأكيد القرآن على صدور المعاجز على يد بعض الأنبياء والمرسلين لا يدل على أمكانية صدورها من أي شخص وفي كل زمان ومكان، بل تصدى الكتاب الكريم لتأكيد صدورها لأن العقل يرفض تصديقها، فنقطع بصدورها وفقا لخبر القرآن رغم أنها خارقة في نظرنا للقوانين الكونية. أما لو كانت ممكنة الوقوع ولو بنسبة محتملة، فالعقل لا يحكم بامتناع صدورها، ومن باب أولى لا تحتاج لتوثيق قرآني.

إن تحدي المعاجز كان السبب الرئيس وراء أذعان الناس وتصديقهم الأنبياء، فما جرى على أيديهم كان خارقا للعادة، يعجز الإنسان عن الإتيان به ما لم يكن نبيا مسددا من قبل الله

تعالى، فمعجزة النبي دليل على صدق رسالته، وهو الهدف الأساس وراء جريانهاعلى يده. أما العقل فيرفض صدور أية معجزة خارقة، حتى وهو يشاهدها، إلا إذا عجز عن تفسيرها تفسيرا علميا معقولا. فكيف يصدّق ما ترويه روايات ضعيفة؟.

ولما أكد القرآن الكريم صدور المعجزات على يد الأنبياء فتختص بهم دون غيرهم، ولا يجوز القياس عليها لأي شخص كان، لأنه يبقى تحت حكم القاعدة العقلية. فلا نستطيع الاستدلال بعمر نوح مثلا على إمكانية طول عمر إنسان آخر، لأن الخبر القرآني مختص به ولا يصدق على غيره، لعدم وجود مقتضٍ لبقاء الإنسان حيا مئات السنين. بل لو كان هناك مقتضٍ لبقاء الإنسان فلا داعي لهذا الجدل من بداية الرسالة لحد الآن. وعليه لا يمكن الاستدلال على إمكانية بقاء المهدي حيا مئات السنين قياسا على عمر نوح النبي الكريم، فالأخير حالة خاصة ورد فيه تأكيد قرآني، فنقتصر عليه، ويبقى المهدي كغيره من البشر مشمولا بالقاعدة العقلية التي تحكم بعدم وجود مقتضٍ لبقاء الإنسان طويلا، (ومن نعمّره ننكسه في الخلق).

عندما أنفي إمكانية صدور المعجزة الخارقة من الإنسان بحسب طبعه وتكوينه، أقصد به الإمكان الوقوعي، وليس الإمكان الفلسفي في مقابل الوجوب والامتناع الذاتيين. المسألة تحتاج لشيء من التعقّل بعيدا عن التعصب والآيديولوجيا، فكلامي لا يجافي الحقيقة بل يضعها بين يدي القارئ كي يدركها، ويكون على بينة من أمره، ويتعامل معها بشفافية.

أولوية معكوسة

للأسف طالما أسمع هذا الاحتجاج الذي جاء في السؤال عبر وسائل الإعلام المختلفة، ومفاده: من يشكّك بمعاجز وكرامات الأئمة كيف يصدّق معاجز الأنبياء الواردة في القرآن الكريم؟!!.

وهذا خطأ فادح وأولوية معكوسة تماما، فالأئمة ليسوا أفضل من الأنبياء كما يُشيع خط الغلو كي تصدق الأولوية، بل العكس هو الصحيح. أي لو ثبتت المعجزات لغير الأنبياء جدلا فيكون من الأولى ثبوتها لهم، كرسل وأنبياء اصطفاهم الباري تعالى على العالمين. أما إذا ثبتت لهم وهي ثابتة بشهادة القرآن الكريم فلا يلزم من ثبوتها لهم ثبوتها لغيرهم. وهذا هو الخطأ الذي يقع فيه الكثيرون إذ يعتقدون أن تصريح القرآن بصدور المعاجز عن الأنبياء يؤكد إمكانية صدورها على يد الأئمة والصالحين. فالقانون العقلي بامتناع صدور الخوارق عام يشمل كل إنسان باستثناء المصرّح باسمائهم قرآنيا.

ثم أن معاجز الأنبياء قطعية السند والدلالة وموثقة قرآنيا، فكيف لروايات ضعيفة متهالكة أن تثبت لنا صدور المعاجز عن غيرهم من البشر؟

ولو كانت معاجز الأنبياء ممكنة لكانت ممكنة لكل شخص فلماذا للأئمة فقط، وهم ليسوا بحاجة لها أساسا؟ إن دورهم حسب الفرض دور هداية وبيان الأحكام، أما تبليغ الرسالات فمن اختصاص الأنبياء فيحتاجون معجزة تعزز صدقيتهم.

الإمـام يـا سـيدي عنـد عقـلاء الشـيعة مسـتحفظ علـى الرسـالة لـيس أكثر. ومن يدعي غير ذلك نطالبه بدليل قرآني صريح نرفع به اليد عـن الشـك، لأن المعجـزة أمـر إلهـي لا نبـوي فـلا تنفـع معـه الروايـات والأخبار.

وخلاصـة هـذا الكـلام: تصـديق القـرآن لمعـاجز الأنبيـاء لا يـدل علـى إمكانيـة وقوعهـا دائمـا ولأي إنسـان. ولـيس صـدورها خرقـا للقانون الكـوني لأنـه ممتنـع عقـلا، بـل صـدرت معجـزاتهم بقـوانين وأسباب مجهولة لنا فعلا. وحتى لو أُكتشفت أسبابها تبقى معجـزة في حينها.

س35: طارق الكناني: ياسيدي الشيعة في عقيدتهم كغيرهم من المسلمين، وكما صرّح به القرآن ان محمدا خاتم الأنبياء وآلت إليه مواريـث الأنبيـاء جميعـا، وبالتـالي صـارت هـذه المواريـث لعترتـه ويستدلون بآيات كثيرة منها وورث سليمان داود ودعاء زكريا عليه السـلام (يـرثني ويـرث مـن ال يعقـوب) فمـيراث الانبيـاء لـيس المـال والجاه انما العلم والمعجزات كما صارت لسليمان ونحن نعـرف ان لغة القرآن نزلت بطريقة (إيـاك أعـني واسمعـي ياجـارة) هـي أمثـال للتوضيح كما يقول القرآن نفسه (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

لماذا لا نستطيع الاستدلال على معاجز الأئمة والصالحين طالما القرآن أكد وقوعها للأنبياء؟

ج35: ماجد الغرياوي: دعني أوضح الأمر بشكل مفصّل باعتبارها قضية مهمة وحساسة ترتبط بعقائد الناس، علما هناك خلط بالسؤال بين مفهومي وراثة التركة، والمعجزة، فالمعجزة لا تورث، وليست هي كنزا يورث للأبناء، هي آية ربانية خارقة، تصدر من النبي لتصديق رسالته. نعود لأصل الموضوع.

بدءا أقرر قاعدة عقلية عامة، أرتكز لها في تحديد الموقف العقلي من القضايا المخالفة لسنن الكون والطبيعة البشرية، وتشمل جميع الخارقات للعادة من المعاجز.

القاعدة تقول: (الممتنع عقلا، لا يُحتمل وقوعه خارجا، سواء كان الامتناع ذاتيا، كشريك الباري، أو لعدم تحقق شرطه كاقتراب النار من الورقة شرط لاحتراقها، او لطبيعة الشيء وتكوينه، كامتناع صدور المعجزات والخوارق الكونية على يد الإنسان حسب طبعه وتكوينه. وما أكد القرآن وقوعه، يُقتصر فيه على مورده).

وهذا تعبير آخر عن قاعدة: (الممتنع الوجود ذاتا لا يمكن وجوده خارجا)، حتى مع إمكانية تصوره في الذهن، فليس كل ما يمكن تصوره في الذهن يمكن وقوعه خارجا لتوقف الوجود الخارجي على شروطه الموضوعية.

فكل خارق للعادة، مخالف لسنن الكون والطبيعة البشرية، يمتنع وقوعه خارجا. وهذا حكم عقلي عام لا يقبل الاستثناء أو التخصيص. وما أكد القرآن وقوعه رغم امتناعه ذاتا، كمعاجز الانبياء، ليس بالضرورة استثناء من حكم العقل، لأن أحكامه عامة

لا تقبل الاستثناء، فتأكيد وقوعها في القرآن يكشف عن وجود قوانين وأسباب أخرى مجهولة لنا، لذا لا يجوز تعميمها واتخاذها قاعدة يُستدل بها أو يقاس عليها.

وأيضا لا يمكن تصديقها في غير موردها إطلاقا ما دامت مجهولة الأسباب إلا بنص قرآني صريح بخصوصها للخروج من الأصل ورفع اليد عن الشك. والسبب وراء اشتراط كون النص قرآنيا، لأنه تبيان لكل شي، وإخباراته تورث العلم واليقين عندما تكون صريحة تامة الدلالة، أي آيات محكمات، فنستطيع حينئذٍ رفع اليد عن الشك والأصل العملي، لأن الأصل عدم وقوعها ما لم يدل دليل تام السند والدلالة على وقوعها. أي دليل حجة شرعية. وما عداه (كخبر الآحاد والشهرة) يبقى ظنّاً، والظنّ لا يُغني من الحق شيئا، باستثناء الأحكام الشرعية التي دل الدليل على جعل الحجية لها، فنقتصر عليها دون العقائد، لهذا يفتي المجتهدون بعدم جواز التقليد فيها، ويبقى الإنسان مسؤولا عن عقائده مباشرة، ولا قيمة لأي عقيدة ما لم تثبت بدليل قطعي السند والدلالة (القرآن الكريم) نرفع به اليد عن القاعدة العقلية في موردها.

المعجزات قضايا خارقة لا تتحقق إلا بإذنه تعالى، وقد أخبر عنها في كتابه الكريم الذي جعله حجة على الجميع وتعهد بحفظه، بعد أن وصفه، بأنه تبيان لكل شي، أي بيان لكل ما يخصه من موضوعات. وموضوعاته، هي: الشريعة والعقيدة، بما في ذلك تصديق المعجزات. فالمسلم مطالب بمعرفة عقائده بنفسه وهو أمر متاح للجميع من خلال التدبر بالكتاب العزيز والتفكر بالكون

والخلق، واستخدام العقل بتجرد وموضوعية بعيدا عن الطائفية والتعصب. ولا يجوز للإنسان تقليد غيره فيها، ولا يكون تقليده معذّرا له يوم القيامة، فكفى تماديا في تقديس الأشخاص والرموز بلا أدلة قرآنية صريحة، والغريب أنهم ارتفعوا برموزهم التاريخية مصاف الخالقية، فصاروا كالخالق في قدرته على الخلق، والرزق، والاستجابة، والاستغاثة والقائمة طويلة.

الفقهاء يكتبون في رسائلهم: لا يجوز التقليد في العقائد، لكنهم عملا يرفضون أي اجتهاد يتقاطع مع عقيدتهم!!. ويطالبون أتباعهم اتخاذ ذات الموقف العقائدي الذي يؤمنون به تجاه مخالفيهم، خاصة في مسألة الزكاة فيحرمون المخالف من عطائها ولو كان مؤمنا بالله ورسوله!!. عندما تقرأ كتب الفقهاء تجزم أنهم وراء أغلب الجرائم التي تقع باسم الدين، وأنهم أساس ثقافة الكراهية والحقد والإقصاء، وأمامك كتبهم الفقهية ورسائلهم العملية وتأكد بنفسك.

نعود للمعجزات وأدلتها:

فانقلاب العصا حية مستحيل بذاته، وما أكد القرآن الكريم وقوعه نقتصر فيه على مورده، أي عصا النبي موسى، ولا نتعدى لغيرها ألا بنص آخر بخصوصه، لشموله باطلاقات أحكام العقل كما تقدم.

كلامنا ليس عن الإمكان الفلسفي (أي ما يقابل الوجوب والامتناع الذاتيان)، وإنما عن الإمكان الوقوعي، فلولا إخبار القرآن

لا نصدق أن نوحا قد عمّر ألف سنة أو يزيد ، فيبقى عمره استثناء، لا يُستدل به او يقاس عليه، لأن عمر الإنسان محدود مهما عمّر، وهذه هي طبيعته وتكوينه. حيث خلقه اللّه تعالى بشكل لا تقاوم خلاياه الشيخوخة فلا بد أن تشيخ . بمعنى آخر ليس لها مقتضٍ للبقاء، وهذا ثابت علميا، ومؤيد قرآنيا: ومن نعمره ننكسه في الخلق. ولم يستطع العلماء لحد الآن الاستدلال على امكانية بقاء الإنسان حيا لعدة قرون، رغم أن بعض تجاربهم قد أسفرت عن إمكانية بقاء خلايا الإنسان حية تحت درجة إنجماد منخفضة جدا. وهذا ظرف غير طبيعي، لا يمكن الاستدلال به كقانون. لأننا نحن نتحدث عن الوضع العام والطبيعي للإنسان، فما إن يصل الشخص عمر المئة عام ينطفئ كل شي، ويبقى شبحا يتحرك بحدود بسيطة، فكيف يعمّر أكثر من عشرة قرون؟. إنه سؤال مشروع جدا ، فلماذا يستفز غلاة الشيعة؟. ثم أكدت ذات التجارب عودة خلايا الإنسان فورا بعد خروجه من تلك الظروف الاستثنائية، لتعود إلى عمرها الحقيقي، فتشيخ خلال ساعات، مما يدل على عدم وجود مقتضٍ لبقائها حية ، وقد فشل تجميلادها في تحدي قانون شيخوخة القضايا البشرية. فشيخوخة خلايا الإنسان قدر مقدر لا مفر منه. (ومن نعمره ننكسه في الخلق).

وماذا عن سكان الأسكيمو، لماذا لا يعمّرون مئات السنين وهم يعيشون دائما تحت درجات انجماد منخفضة جدا؟. وهذا بحد ذاته يؤكد أن طبيعة الخلايا البشرية ليس فيها مقتضٍ للبقاء حية نشطة، حتى وإنْ عاشت تحت ظروف استثنائية.

وأيضا إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أمر مستحيل لأنها من مختصات الباري عزوجل، باستثناء ما جرى على يد عيسى النبي كما أكد القرآن ذلك، وما جرى كان باذن الله، وليست خاصية له كنبي.

أو مجيء الطير بعد ذبحه حيا لإبراهيم، أيضا من المستحيلات لولا تأكيد القرآن وقوعه، والحادث الأخير لا يمكن الاستدلال به على الولاية التكوينية، لا لإبراهيم (ع) ولا لغيره، إنما هي استجابة لأمر ألهي صريح، لا يخص غيره، كما في الآية:

(فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وهكذا بالنسبة لباقي معاجز الأنبياء، كداود وسليمان. فهذه الاستحالات العقلية هي الدليل على كون الشيء معجزة خارقة، يستدل بها على صدق النبي.

وبالتالي ما يذكر من معاجز للأئمة وغيرهم بحاجة إلى دليل قرآني بخصوص كل معجزة وصاحبها كي نرفع اليد عن الأصل والشك. فما نشاهده على يد بعض البهلوانيين ليس معاجز وخوارق، مهما كان عدد المشاهدين، ومهما كان مستوى وثاقتهم، لأنه مشمول بالقاعدة المتقدمة، فينبغي البحث عن سر اللعبة وكيفية تمريرها. وهم يكشفون عادة لوسائل الإعلام سر حركاتهم البهلوانية، وكيف تجري وفقا لقوانين طبيعية رغم تعذر إدراكها بسبب سرعة الأداء.

نحن لم نشاهد أي معجزة جرت على يد نبي، لولا إخبار

القرآن، فكيف نصدّق صدور المعجزات على يد غيرهم من البشر اعتمادا على روايات لا تفيد سوى الظن، والظن لا يغني من الحق شيئا. فمن يدعي صدور معجزة عن أي شخص فليأتنا بدليل حسي أو نص قرآني. وهكذا الأمر بالنسبة لمعجزات ستقع مستقبلا كعلامة يوم القيامة: اقتربت الساعة وانشق القمر

لكن يبدو أن الإنسان بحاجة إلى أوهام تبدد مخاوفه، وتمنحه أملا يقاوم به قساوة الحياة وإكراهاتها، وإلا كيف يصدقها بعض الناس لمجرد وجودها في كتاب قديم أو سمعها من رجل دين؟ إنها حالة تبعث على الأسى وتكرّس روح الدعة والتواكل والكسل، وتفضي إلى تداعيات خطيرة تنعكس على الفرد والمجتمع معا. إنها رثاثة الوعي حينما تستبد بعقل الإنسان حداً لا يفرق بين العلم والخرافة، وبين الوهم والحقيقة. لكن حاجات الشيعة للمهدي متنوعة، بعضها ضرورات عقائدية، **وبعضها ضرورات نفسية، خاصة وأن منظومة الفكر الشيعي قامت على وجود إمام غائب تناط به مهمة إكمال المشروع الشيعي المستقبلي، الذي يعولون عليه كثيرا كرد اعتبار لهم بعد معاناة طويلة تخللتها ممارسات قاسية جرت ضدهم من قبل خصومهم، على جميع المستويات، خاصة السياسية. إضافة إلى ضرورات أخرى**

الحاجة للإمام الرمز

إن حاجة الشيعة للإمام نابعة من صميم عقيدتهم بوجود 12 إماما، كانوا يمثلون القيادتين الدينية والسياسية، رغم تفاوت أدوارهم حتى آلت الأمور إلى إمامة شكلية في زمن علي الهادي. وبشكل أوضح في حياة الحسن العسكري، عندما أحال على الفقهاء للإجابة على أسئلتهم الشرعية. فانقلبت حاجة الشيعة للإمامة من حاجة حقيقة إلى حاجة رمزية ساعدت على تقبل فكرة غيابه مع وجود وسطاء أو سفراء بينه وبينهم، رغم قوة الزلزال. فالشيعة لم يخسروا بغيبته سوى القيادة الفعلية، التي راحت تذوي في حياة الإمامين الآخيرين، حتى تفوقت الحاجة الرمزية على الحاجة الحقيقة لوجود الإمام. وبالفعل كانت رمزيته وما تزال وهو غائب أقوى وأثرى للخيال الشيعي، يؤكد هذا ما نشاهده عند مواليه وشيعته. فالحاجة إليه باتت ضرورة نفسية، تنعش أمل الشيعة، وتطفئ قلقهم. ولو كانت هناك حاجة حقيقية للإمام، أو توقفت بعض القضايا الدينية والقيادية لتمرد الشيعة ضد عقيدة الانتظار، بل وربما كفروا بالتشيع وعقيدته، لكنه لا توجد حاجة حقيقية بل هناك حاجة نفسية لرمزيته، وستبقى مهما طالت غيبته.

أحيانا تَحطُّ المعاصرة من قيمة الرمز وقدسيته، بينما تزدهر في غيابه حداً تُلهب رمزيته الخيال الميثيولوجي، فيجرّده من بشريته ويحلّق به في مدارات الأسطرة واللامعقول، ليُعيد انتاجه باستمرار في إطار ضروراته العقيدية والآيديولوجية. وهذا أمر طبيعي في غياب أي حبيب، فإنك تُسقط عليه كل الخصال الحميدة.

وتتجسد أكثر رمزية الإمام في غيابه عندما يعلّق الشيعة آمالا واسعة على دولته المعهودة، وهي آمال لازمتهم على امتداد تاريخ الأئمة، فكانت سلوى وملهاة تداعب أحلامهم، وكان الأئمة يجدون في المهدي ودولته مفرا من المأزق العقائدي، الديني، فيدارون مشاعرهم بكلام يداعب أحلامهم حدَ الهوس بالمهدي ومستقبل دولته، ليتخلصوا من السؤال المرير: متى يظهر المهدي؟.

أما المعاصرة فعلى العكس، حيث عانى الأئمة من معاصريهم، وتخلى عنهم الناس في أحلك الظروف، كما فعلوا مع الإمام الحسن بن علي، والإمام جعفر الصادق، وشككوا بإمامة موسى الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، وهكذا بالنسبة لعلي الهادي والحسن العسكري، بل الأخير واجه سيلا من التشكيك أضرّ بمصداقيته، بينما يزخر المهدي الغائب برمزية هائلة، لأنه لم يعاصر أحدا، ولم يحتك بالوسط الاجتماعي، سواء كان له وجود حقيقي أم لا، لكن غيابه شحنة رمزية عالية تنعش طموحات التشيع. فتجد الشيعة اليوم يعلّقون آمالا عريضة على ظهوره.

إن صورة المهدي في الخيال الشيعي تتجدد وتتضخم حداً يختلط فيها الوهم بالحقيقة، خاصة لدى من يدعي مشاهدته ولقاءه.

لقد تطوّرت صورة المهدي في الخيال الشيعي من الرمزية إلى الأسطورة، والأسطورة تقاس بقوة رمزيتها وإيحاءاتها وقدرتها على الاستجابة، لا بمقدار صدقيتها ومطابقتها للواقع، لذا لا أحد يثيره طول عمر المهدي، بل أن طول عمره الخرافي يعزز أسطرته، ويلهب الخيال حد الهوس والتفنن في اجتراح حكايات أسطورية حوله.

ويتجسد هذا الأمر في مناجاته وهو غائب، حيث يذوب فؤاد المناجي شوقا، وترق دموعه، ويبدأ بمغازلته والتودد إليه حتى يرتوي ضمأ روحه الهائمة، وتهجع مطمئنة على أمل لقاء جديد.

المهدي لعبة الخيال الشيعي، وآمله المتجدد، وأفقه نحو المستقبل والآخرة، وطموحة إثر إفاقات الحياة ومتاعبها. إنه رمز الإنسان الكامل. به تسمو أرواح المؤمنين، وتنتعش آمالهم وأحلامهم. ويبقى طيفه يداعب خيالهم، فعيونهم ولهى تطارد كل خيال لعله المهدي، فتشرق ابتسامة الشوق قبل حرارة اللقاء.

المحور الخامس

الفقيه الولي وتطور مفهوم الاجتهاد

تطلعات الانتظار

س36: طارق الكناني: يبدو لي من خلال أجوبتك المتقدمة في المحور الأول أنك تدعي وجود غايات وراء تشبث بعض المسلمين بفكرة المخلّص أقصد المسلمين بشكل عام، أو المهدي المنتظر عند الشيعة بشكل خاص؟ فما هي الغايات التي دفعتهم للتشبث بفكرة المخلّص وفكرة انتظار المهدي الموعود؟

ج36: ماجد الغرباوي: الأخطر في عقيدة المخلّص ليس الإيمان البسيط لدى الناس الطيبين، بل ما يترتب على هذه العقيدة من استحقاقات والتزامات، يستميت رجل الدين في اثباتها، أهمها بالنسبة للشيعة نيابة الفقيه للمهدي الغائب في جميع صلاحياته، خاصة القضايا المالية والولاية. وولاية الفقيه المطلقة أخطر حينما تستلب الفرد وتختزله إلى مجرد رقم في المعادلات السياسية وغير السياسية للولي الفقيه، وتمنح الفقيه صلاحية الاستئثار بالمال والسلطة تحت هذا العنوان. أما بالنسبة لفكرة المخلّص بشكل عام فهي تعبّر عن طموحات عفوية في مجتمع أكثر رقيا.

ولاية الفقيه وفقا للفقه الشيعي، تعني قيمومة الفقيه على الناس حد التصرف بأموالهم وأنفسهم، فتفوق سلطته سلطة القانون والدستور، وله حق تعطيلهما، بينما لا يستطيع الدستور والقوانين المشرعة الحد من صلاحياته المطلقة. لأن صلاحياته ربانية انتقلت من الرسول الكريم إلى أئمة أهل البيت ثم تنتقل له بنيابته العامة وممارسته للسلطة. فيكون (الراد عليهم راد علينا – أي الأئمة –

والراد علينا كحد الشرك بالله). بهذه الطريقة يتم التنظير لسلطة الفقيه بشكل عام والفقيه الولي بشكل خاص. وهكذا تنتقل له الصلاحيات المجعولة للرسول خاصة!!.

المهدي ومكانته الربّانية بالنسبة لرجل الدين قضية مركزية، تتوقف عليها شرعية سلطاته الدينية والسياسية، فمستعد لتبني أي خرافة من أجل ترسيخ إيمان الناس بها، بل هي رصيده ومصدر سلطاته الروحية والدينية، بها يتقاضى أموالاً حلالاً طيبةً!!، لا يحق لأي شخص التصرف بها غيره!! إنها سلطة مقدسة بلا أعداء ومناهضين، يدفع له الناس أموالهم طواعية بكل محبة وإخلاص، ويطيعون فتاواه وأوامره بكل صدق واندفاع، فأي سلطة تداني سلطته؟ كل هذا بفضل نيابته للإمام المعصوم.

المهدي في عقيدتهم إمام منصوب من الله تعالى ونائبه عند غيبته الفقيه خاصة، فيتمتع بجميع صلاحيات الإمام نيابة. فلماذا نستغرب ظهور نائب للمهدي بين يوم وآخر؟؟ والغريب مجرد أن يدّعي أحد النيابة عن المهدي برؤية منامية، أو رؤية متخيّلة أو وهم أو خديعة التفَّ من حوله الناس حدّ الاستماتة!!.

إنها سذاجة الإيمان التي تأبى التشكيك بأية عقيدة. إنها كارثة خطيرة تعاني منها مجتمعاتنا وستبقى مادام هناك رجل دين ينظّر لها خدمة لمصالحه الشخصية والأيديولوجية. إنها صورة المهدي الإسطورية المغرية.

لا أتحدث عن ذات العقيدة فهي شأن شخصي، إنّما أتحدّث عن

آثارها وتداعياتها المترتبة عليها في المجالات كافة، خاصة في مجال الـوعي، وقدرتـه علـى اكتشـاف الحقيقـة بعيـداً عـن التزويـر والتحريف. فهناك إيمان معتدل وآخر متطرف بهذه العقيدة بالذات.

لا أنسـى أكـاد أخسـر حيـاتي في أحـد الأيـام وكنـت صـغيراً، عندما طلبت أمي أن أضع في مجرى النهر القريب مـن بيتنـا، خشـبة تحمل شموعا هدية للإمام المهدي، لحاجة في نفسها ترجو قضاءها. ذهبت بُعيّد المغرب مباشرة، وهـذا شـرطها، فنزلـت النهـر خطـأ مـن جرفٍ حاد لجهلي بتعاريجه. فكدت أغرق في جو قارص، فتركـت الخشـبة تطفـو علـى المـاء وفوقهـا شمـوع تـتلألأ شـوقاً لمقابلـة المهـدي الذي ينتظرها في الضفة الآخرى!!.

لا أنسى إشراقة أمي حينما علمت أن الشموع طفت متوقدة وهـي تشق طريقها في مجرى النهر للقاء المهدي الموعود، ومن ثم ستتحقق أمانيها!!!. لكنها لم تتحقق.

لا أشـك بـاخلاص أمـي وطيبتهـا وصـدق نواياهـا لكنهـا ضـحية إيمـان خـرافي، وجهـل ديـني، وإيمـان مـزور. وليسـت هـي الضـحية الأولى لهذا اللون مـن العقائـد ولـن تكـون الأخيرة، وسـيبقى النـاس ضحايا خطاب رجال لا يخـافون اللّه واليـوم الآخـر، يحجبـون صـوت الحق، ويغذون بسطاء الناس بمفاهيم براقة لكنها خاوية.

أذكـر هذه القصة كنموذج بسيط لتداعيات الإيمان السـاذج أو "العقيـدة البراقـة"، تشـبيها بانجـذاب الفراشـات للضـوء، حينمـا يفقدها الرؤية والاتجاه، فتدور إينما دارت أشعته ثم تموت. فبسطاء

الناس ينجذبون لخطاب متفائل يضع مفاتيح الجنة بين إيديهم جـزاء لإيمـانهم بعقائـده، وامتثـالهم لأوامـره في ممارسـة بعـض الأعمـال والطقوس.

إنها مأساة الوعي الديني التي رافقت الإنسان منذ وجوده على الأرض فراح يستغله كهنة المعابد ورجال الدين في جميع العصور، وقد ذكر التاريخ شطرا منها رغم تستره على شطرها الآخر.

إن أخطر ما تعرّض له الإنسان تزوير الحقائق باسم الدين والإله فراح ينفق ماله ووقته بسخاء نابع من طيبة قلبه ونقاء سريرته، وإيمانه الذي يدفعه لتصديق رجال نصبوا أنفسهم وكلاء عن الإله، فاستغلوا الإنسان وضعفه من أجل مصالحهم الشخصية والطائفية والآيديولوجية، لذا تجد أكثر الحروب عبر التاريخ حروبا دينية يسوق فيها رجل الدين الناس قطيعا للموت تلبية لرغباته ومصالحه.

النيابة العامة

س37: طارق الكناني: أرى أن نتوقف عند هذه النقطة أكثر، ونناقشها ببعديها السياسي والاقتصادي، فحسب روايات الشيعة الإمامية، وهذا ما تزخر به كتبهم أن رؤية المهدي لم تتحقق إلا للسفراء الأربعة رحمهم الله، فكيف تسنى لعلمائهم ضمان موافقة المهدي في النيابة عنه؟ بل أكثر من ذلك هي قضية ولاية الفقيه. فهل من الممكن ان تسلط الضوء اكثر على هذا الجانب لنتبين ماهي المقدمات والمرتكزات التي بُنى عليها هذا الرأي؟.

ج37: ماجد الغرباوي: الكلام في هذا الموضوع يجري وفقا لمباني الشيعة الإثني عشرية، عقيدة ومنهجاً في توثيق الروايات الدينية. وهي إحدى القضايا العقائدية التي طال بها الجدل وما زال لعدم وجود نص قرآني صريح يحسم الخلاف، ولا أدلة قطعية تنهي الشك سوى روايات وتأويلات لبعض الآيات القرآنية، يمكن نقضها بروايات وتأويلات أخرى. ولعل أحد أسباب تخلّف المسلمين هذا الجدل العقائدي العقيم، جدل لا ينتج أي معرفة. العقيدة تطورت بمرور الزمان وما عادت الآيات والروايات إلا جزءاً من منظومة فكرية معقدة تدخل فيها الآية والرواية والسياسة والآيديولوجية، وأهداف مذهبية، ومصالح طائفية، وضرورات استراتيجية، وقضايا نفسية، وتأكيد الـ (أنا)، وتحصين الذات، وأشياء أخرى. لهذا أقول إن الجدل عقيم، لا فائدة منه. والاعتراضات لا تؤثر إلا بشكل محدود، ويبقى الإيمان راسخا

مهما كان ضعف الدليل، ما دام العقل معطّلا تماما على مستوى العقيدة. بل ويتبلد العقل حينما يترك للعاطفة والأيديولوجية والمخيال الشعبي مسؤولية تعزيز العقيدة وتحصينها. فلا غرابة أن يتوسل بعض الناس بالخرافات واللامعقول من أجل يقين ينسجم مع تطلعاته الأيديولوجية، ويجعله يعيش نشوة التفوق في الدنيا والآخرة. كل الأيديولوجيات متشابهة، فكيف بأيديولوجيا تؤمن بالغيب، والخوارق والكرامات؟ لذا لا أستغرب أسطرة الرموز الدينية، من خلال نسبة علم الغيب والخوارق لهم، لتوقف صدقية بعض العقائد عليها، في خضم صراع مرير، كانت بدايته خلافا حول السلطة ثم تحوّل الى نزاع حول الفضائل، وخصوصية النجاة المطلق أو بتسامح كبير جدا. فباتت الفِرق والمذاهب معنية بتعبئة أتباعها فكرياً وعاطفياً لتحصين الذات ضد الآخر، واثبات الـ(أنا) من خلال ثبوت أفضليته، ولو زورا وبهتانا. المهم لدى الفِرق أن تكون هي الفرقة الناجية دون غيرها " تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، الحديث الذي أفضى إلى تكفير الناس وهتك حرماتهم بحجة التكفير. وأي تكفير دنيء يقوم على معادلة خاطئة وملازمة مقيتة: لازم وجود فرقة ناجية ضلال وانحراف وربما كفر جميع الفرق الآخرى. ومن هي الفرقة الناجية؟ كل واحدة من الفرق الإسلامية تدعي أنها الفرقة الناجية. وبالتالي فمفهوم الفرقة الناجية يستلزم وجود فرق ضالة منحرفة بل وحتى كافرة. وهذا مكمن الخطر حينما استباح التكفيريون دماء المسلمين بلا أي ذنب سوى عقيدتهم بحديث الفرقة الناجية. والمشكلة أن تزكية

النفس سهلة جدا من خلال منظومة فكرية – عقيدية تتولى كل فرقة صياغتها لتتحول إلى مسطرة يقاس عليها إيمان الناس وتكفيرهم. فأي محنة يتعرض لها الناس بسبب هذا الحديث الذي لم يستطع أحد الجزم بصدوره عن النبي سوى روايات ضعيفة، ولا شك أنه حديث موضوع كتبته أيادي مرتزقة السلطان لخدمة أهدافه السياسية. ويكفي دليلا أن القرآن لا يشترط في إسلام الفرد سوى شهادته: لا إله إلا الله .. محمد رسول الله. فكيف نكفّره؟ إضافة إلى تعدد صيغه وضعف رجال سنده بل يكفي أن معاوية بن أبي سفيان أحد رواته، وكيف لا يرويه وهو يكرس سلطته، ويكفّر مناوئيه. لقد قطّع هذا الحديث جسور المودة والتسامح بين المذاهب الأسلامية وأسس لمنطق الإقصاء والتنابذ.

نعود للحديث: فعلى مستوى العقيدة يؤمن الشيعة بأن الإمامة نص وتعييّن من قبل الله تعالى، وقد نص الرسول الأكرم على إمامة الإمام عليّ، ومن بعده إلى ولده الحسن ثم الحسين وتسعة من ولد الحسين، آخرهم المهدي المنتظر، محمد بن الحسن العسكري الملقّب بالمهدي. وهو حيّ منذ أن غاب وعمره خمس سنوات، وسيخرج متى ما أَذِنَ الله له. وكانت له غيبتان صغرى، يمثله فيها أربعة سفراء، وكبرى لم يلتق أحداً. وزعموا أن السفراء كانوا يلتقون الإمام بشكل دوري، وتقدم استعراضها.

نعود للسؤال، حسب العقيدة الشيعية كانت رؤية الإمام المهدي متاحة للسفراء الأربعة، ثم غاب غيبة كبرى، ولم يخلف بعده أي سفير، وبهذا انقطعت الوكالة الخاصة. لكن قالوا هناك وكالة

عامـة للفقهـاء، بموجـب روايـة عـن الإمـام المهـدي، مفادهـا: (خـرج التوقيع من الناحية المقدسة: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم).

فهذه الرواية هي مصدر شرعية النيابة لمن يدّعيها من الفقهاء في زمن الغيبة الكبرى، فتصح بصحتها وتنهار بانهيارها.

ثـم لا دليـل صـريح علـى النيابـة العامـة للفقهـاء في نـص الروايـة، لأنهـا تُحيـل صـراحة علـى رواة الأحاديـث ولـيس الفقهـاء. ولا يخفـى الفارق بينهما مفهوما ومصداقا. لكنهم هوّنوا من قيمة الإشكال، لصدق مصطلح راوي الحديث على الفقيه، ما دامت الروايات شغله الشـاغل. وهـذا الكـلام لا يحـل المشـكلة لوضـوح الفـارق النـوعي بينهما. فالفقيه مجتهد له أدواته الخاصة، ويعمل رأيه في إطـار مـا روي مـن أحاديـث، ومـا يقولـه يمثّـل رأيـه واجتهـاده وقناعتـه. بينمـا تقتصـر مهمـة الـراوي علـى نقـل الحـديث عـن الإمـام، مباشـرة أو بالواسطة، فما تقوله الرواية هـو كـلام الإمـام، وهـو إمـام معصـوم حسـب الفـرض، يعلـم الحكـم الـواقعي، ولـيس الحكـم الظـاهري كما هو الحال بالنسبة للفقيه. فالرواية إذا صحت تـأمر باتبـاع رأي الإمـام مـن خـلال مـا يرويـه الـرواة، أمـا شمولـه للفقيـه فيحتـاج إلى دليـل، ولا يكفـي التسـاهل مفهوميـا لشـموله بهـا، لوجـود تغـاير موضـوعي. وقـد نسـتفيد منهـا إقصـاء الفقيـه واجتهـاده في القضـايا التي فيها نص صريح للإمام المعصوم.

وبالتـالي جوابـاً علـى السـؤال: إن عمـدة دليـل النيابـة العامـة خصوص هذه الرواية التي تمنح الـرواة أو الفقهـاء نيابـة عامـة، وبهـا

أصبح الفقيه نائباً للإمام وله كافة صلاحياته إلا ما يخصه. فمن يشكك بصحة الرواية متنّاً وسنداً أو أحدهما لا يمكنه إدعاء النيابة عن الإمام. وبهذا فالفقيه لا يحتاج لوكالة مباشرة من الإمام، ومن باب أولى لا ضرورة لرؤيته ولقائه من هذه الناحية. ويبقى لكلّ شخص قناعته في قبول هذا الدليل أو عدمه، لكن المهم أن الأمر بالنسبة للفقهاء راسخ لا شك فيه وإلاّ ستنهار نيابة من يدّعي نيابة الإمام.

وهناك من يعتقد أن نيابة الفقيه الجامع للشرائط للإمام الغائب تحصيل حاصل من حيث أولويته، فمن هو أولى منه بالتصرّف بشؤون الإمامة في زمن غيبة الإمام؟

ثم هناك إشكال عام بشأن الروايات والتوقيعات الصادرة عن الناحية المقدسة، كالتوقيع أعلاه، تجعلنا نشك في أصل الموضوع، فمن أين نثبت أن المراد بها خصوص الإمام المهدي فيكون توقيعه حجة تلزم الشيعة بالعودة للفقهاء؟ هذا لا دليل عليه. ومع الشك والتردد نضطر للبحث عن أسباب صدوره، فلماذا لا نحتمل صدور التوقيع عن السفير الأول، إما لصغر سن الإمام، أو لعدم وجوده أساسا، فأحال الشيعة على الفقهاء كي يتخلص من ورطة الإفتاء، فهو ليس مجتهدا بل مديرا لمكتب الإمام، و يقتصر عمله على القضايا الإدارية والمالية. وكلا الاحتمالين معقول جدا لولا غلاة الشيعة الذين يرفضونهما، لأنهم يعتقدون بصحة ولادة المهدي، وبقائه حيا، ويعلم كل شيء منذ ولادته علما حضوريا متى شاء، ويستدلون على ذلك بيحيى النبي الكريم ، والإمام الجواد الذي أجاب على 5000 سؤال في مجلس

واحد رغم صغر سنه، وقد انتقلت له الإمامة بعمر 8 سنوات. ويبقى المتلقي وقدرته على تشخيص الواقع. خاصة وهناك رواية أخرى تقول أجاب الإمام الجواد في مجلس واحد على 30000 مسألة!!. وكان عمره عشرة سنوات!!!. .. لا أدري كيف يصدّقون هذه الخرافات؟ هل ثمة عاقل يصدقها؟ ثلاثون ألف مسألة تحتاج إلى 500 ساعة لو فرضنا أن كل مسألة تحتاج دقيقة واحدة، بما يعادل 20 يوما فكيف يجيب عليها في مجلس واحد؟؟ أي صورة أسطورية للإمام في مخيلتهم؟ لماذا يتوقف عقل الشيعي عندما يسمع هذه الهرطقات.

س38: طارق الكناني: ألا ترى ضعف استدلالهم بشكل لا تركن له النفس؟ فكيف تبقى لنيابتهم عن الإمام قيمة شرعية، خصوصا والفقيه يتقلّد منصبا تشريعيا مهما؟ ثم هل هناك نصوص قرآنية ملزمة تدل على شرعية الولاية أوالنيابة العامة؟

ج38: ماجد الغرباوي: لا قيمة لهذا الاستدلال وفقا لمبان أخرى ترى، كما هو الواقع، أن التشريع منحصر بالله تعالى، فلا قيمة لأي منصب ومقام تشريعي لا يدل عليه نص قرآني صريح بيّن واضح لا لبس فيه ليكون حجة على الناس، وإلا ستنتفي منجّزيته ومعذريته. كما لا يمكن الاحتجاج بالروايات لأنها مجرد ظن، والظنّ لا يغني عن الحق شيئاً مهما كانت درجة صحتها، فكيف تكون حجة، فيبقى الأصل عدم شرعية أي منصب تشريعي، والفقيه مجتهد في ضوء الأدلة الشرعية وليس مشرعا عن الله تعالى. ناهيك عن عدم وجود رواية صريحة واضحة بيّنة، وكل ما

يستشهدون به من روايات إما ضعيفة سندا أو ليست تامة متنا ، وتحتاج الى قدر كبير من التأويل والتأييد والصناعة الإصولية. إضافة لما تقدم من إشكالات سجلناها على الاستدلال بالتوقيع الصادر عن الناحية المقدسة.

ياسيدي إذا كانت هناك حاجة سابقا لأدلة تشرعن مقام المرجعيات الدينية ، فاليوم لا حاجة لها ، حيث باتت قداستها راسخة ، وتنقاد لها الناس طوعا بعد سنين طويلة من التثقيف على شرعيتها وقدسيتها ووجوب طاعتها ، فبات من الصعب التحرر من سلطتها وهيمنتها.

أجد الناس اليوم أشد حاجة للفقيه في ظل تثقيف ديني طائفي، مذهبي ، آيديولوجي. فما حاجته للروايات والتوقيعات؟ لم يعد هناك شيء يؤثر على ولاء وطاعة الناس لرجل الدين وقداسة مرجعيته؟ فهذا مستحيل لأنها باتت جزءا لا يتجزأ من دينهم ومعتقدهم وبنيتهم الفكرية ، ولها سلطة موجهة ، ومهيمنة على تفكيره ومشاعره. إنها مجتمعات القطيع وحاجتها الماسة لمن يقودها. فهناك ثقافة لا شعورية ترسّخ روح الطاعة والخضوع، من قبيل رواية : الراد عليهم كالراد علينا والراد علينا كالراد على الله!!. وهو حديث معروف ورد في مجال القضاء لكنهم وسعوا موضوعه ليشمل الفقهاء وربما كل رجال الدين!!.

الناحية المقدّسة

ص39: طارق الكناني: قبل الانتقال إلى موضوع آخر اريد ان استوضح عن عبارة مهمة طالما تكررت في ادبيات الشيعة وهي الناحية المقدسة، فما المقصود بهذه العبارة، ولماذا لم يذكر اسم الحجة بدلا عنها؟

ج39: ماجد الغرباوي: الناحية المقدسة عبارة مواربة يتبادر من إطلاقها شخص الإمام المهدي من خلال قرائن حالية ومقالية. أو هكذا يراد لها أن توحي للسامع. خاصة مع وجود مبرر لعدم التصريح باسمه خوفا من ملاحقة السلطة العباسية، فكان يستخدم الشيعة آنذاك كلمات ومصطلحات تدل عليه، منها: الناحية المقدسة. لكن للأسف لا يوجد ما يدل على إرادة خصوص المهدي بها لولا الإيحاء والقرائن في حينها، فتسببت لاحقا بوجود إشكال معقّد، يتطلب وجود دليل ينص على أن المقصود بـ "الناحية المقدسة" خصوص الإمام المهدي، وهذا مفقود، ولم يؤكده أحد بدليل صريح. بل نسب المحقق الكبير آية اللّه د. حسين المدرسي الطباطبائي كتابة التواقيع والرسائل الصادرة عن الناحية المقدسة الى السفير الثاني: محمد بن عثمان بن سعيد، الذي كان يعمل كاتبا لوالده عثمان بن سعيد (السفير الأول)، ومن قبله كان كاتباً للإمام الحسن العسكري، وكان خطه وختمه معروفَين في الأوساط الشيعية الخاصة. فما نُسب للناحية المقدسة من توقيعات ورسائل وتعليمات في زمن الغيبة الصغرى كانت تصدر بنفس خطه

وختمه المعروفيَن. ثم انقطعت تلك الرسائل بعد وفاته، وبانقطاعها تأكدت نسبتها للسفير الثاني، فليس التوقيع لشخص الإمام المهدي!! (أنظر الهامش لأهميته، فإنه كلام موثق جدا ولمحقق ومجتهد وأكاديمي كبير، تعذر رده أو نقضه)[1].

---

[1] -قدم عثمان بن سعيد العمري إلى بغداد () من سامراء، وبقي هناك حتى وفاته، يدير مكتب الإمامة بنفس الطريقة التي كانت زمن الإمام العسكري (عليه السلام)، يتسلّم الرسائل والحقوق الشرعيّة من الشيعة ويسلّمها للناحية المقدّسة، وقد قيل: إنّه كان معترفاً به بصفته وكيلاً ونائباً للإمام المهدي من قبل جميع الشيعة ()، وهذا القول صحيح في المراحل اللاّحقة، أمّا في حياته فقد كان البعض ممّن يبتغي تسليم الحقوق الشرعيّة متردّدين في ذلك (). ومع ذلك لم يكن هناك أدنى شكّ في كونه أقرب أصحاب الإمام العسكري، وهو الذي تولّى حسب الظاهر غسله وتكفينه ()، وهذا شرفٌ عظيم، لا يتصدّى له، حسب رواية مشهورة، إلاّ إمام (). ثمّ بعد وفاته حلّ محلّه ولده محمّد بن عثمان، الذي كان دائماً ملازماً لأبيه في بيت الإمام العسكري (عليه السلام)، وبقي مساعداً له في الغيبة. تولّى محمد بن عثمان مهمّة النيابة لمدّة طويلة بالرغم من الموقف السلبي الذي اتّخذه منه بعض وجهاء الشيعة الذين لم يعترضوا على أبيه () من قبل. وتوفّي سنة 305، فقام أقطاب الشيعة في بغداد (وعلى رأسهم عائلة النوبختي) بإخبار الشيعة بأنّه في أواخر أيّامه عيّن مكانه أحد أعوانه غير الرئيسيّين ()، وهو الحسين بن روح النوبختي، الذي بقي يمارس هذه المهمّة حتى عام 326. وواجه هو أيضاً خلالها رفضاً أو تشكيكاً من البعض (). وخلفه في منصب النيابة عليّ بن محمّد السمري، الذي يظهر أنّه أحد أعوانه، ولكنّنا

لا نجد في المصادر أيّة معلومات عن ماضيه. ولبث السمري 4 سنوات يقوم بمهمّة النيابة، وتوفّي عام 329 دون أن يعيّن أحداً مكانه ()، وهكذا أُغلق مكتب النيابة، وبدأت الغيبة الكبرى.

خلال الأعوام السبعين، والواقعة بين وفاة الإمام العسكري ووفاة آخر النوّاب الخاصّين (وهي الفترة التي عرفت بعد ذلك بالغيبة الصغرى) كان النوّاب الأربعة يستلمون الرسائل والحقوق الشرعيّة من الشيعة، لغرض إرسالها للناحية المقدّسة، وأحياناً كانوا يبعثون للشيعة ولوكلاء المناطق بالأوامر والتوقيعات الصادرة منها (). وكانت التوقيعات مكتوبة بنفس الخط الذي كتب به التوقيعات الصادرة من الإمام العسكري، وبقيت هكذا حتى وفاة محمّد بن عثمان في مرحلة تصدّيه للنيابة الخاصّة ()، ممّا يدلّ على أنّها كانت تكتب بخطّ محمد بن عثمان بأمر من الإمام المعصوم. وكانت التوقيعات في العادة عبارة عن تعليمات إلى الوكلاء وإيصالات باستلام الحقوق الشرعيّة، وأحياناً نادرة أجوبة عن المسائل الشرعيّة. فبالنسبة للمسائل الشرعيّة كان قد صدر للشيعة أمر بالرجوع إلى الفقهاء ().

وفي حوالى عام 280، انقطعت التوقيعات بصورة مفاجئة واستمرّت هكذا حتى عام 290 ()، بل إلى آخر عهد محمد بن عثمان، الأمر الذي دعا الشيعة للاعتقاد بوقوع الغيبة الكبرى، التي تنقطع فيها الصلة تماماً مع الإمام حسب الروايات ()، ثمّ صدرت في زمن النائب الثالث من الناحية المقدّسة توقيعات تلعن الذين رفضوه سفيراً (). ومنذ ذلك الوقت صار سفير الناحية المقدّسة يرسل الأسئلة الشرعيّة إلى الفقهاء الشيعة؛ لكي يُجيبوا عنها ()، بل إنّ السفير نفسه كان يبعث بأسئلته إليهم ().وكانت التوقيعات في هذه الفترة مكتوبة بخط أحدالكتّاب في دار النيابة وبإملاء السفير نفسه وفقاً للأمر الصادر له من الإمام طبعاً=

وهــذا أهــم إشــكال حــول حقيقــة الناحيــة المقدســة كشــفته الرسائل المنسوبة لها. فالتواقيع الصادرة عـن الناحيـة المقدسـة خـلال حياة السفيرين الأول والثاني هي بخط وتوقيع السـفير الثـاني. لكـن هل كان الإمام المهدي يملي عليه وهو يكتب أم لا؟ ربما كان ثمة من يملي عليه، لكن لماذا انقطعت بعد وفاته؟

مـن هنـا يتضـح أن التواقيـع كانـت بخـط وخـتم السـفير الثـاني المعروفـة لـدى الأوسـاط الشـيعية حينمـا كـان يكتـب لأبيـه مـدير مكتب الإمام الحسن العسكري، وأما الإملاءات، فهي لوالـده في زمـن حياتـه، ولـه مـن بعـده. ولـيس هنـاك دليـل يؤكـد أن المـراد بالناحيـة المقدسـة هـو ذات الإمـام المهـدي. بـل إن وصـفه بالناحيـة المقدسة تمويه واضح. ربما مبررات الخوف من السلطة كانت مقنعة لبعض النـاس، إلا أن الحقيقـة شـيء آخـر. فالسـفارة برمتهـا جـاءت لسد الفراغ المرجعي بسبب فقدان الإمام الثاني عشر، والذي تسبب في تصدع الطائفة الشيعية، فكان قرارا ناجحا.

=(يبدو العبارة الاخيرة محشورة حشـرا خوفـا مـن النـاس، ومـا يريـد قولـه واضـح جـدا، وهـو نفـي وجـود الإمـام المهـدي وأدلتـه مـن القـوة والتوثيـق عصية على الرد)().

انظـر: كتـاب: تطـور المبـاني الفكريـة للتشـيع في القـرون الثلاثـة الأولى، للـدكتور حسـين المدرسـي الطباطبـائي، ترجمـة: د. فخـري مشـكو، مراجعة وتحقيق: حسن محمد سليمان، اصدار: مؤسسة المثقف، سيدني – أسـتراليا، ودار العـارف، بـيروت لبنـان، ط2015، ص114. ومـا بـين قوسين توثيقات المؤلف لم ننقلها للاختصار.

س40: طارق الكناني: التوقيعات لم تنقطع بعد السفير الثاني، واستمرت بالصدور في عهد السفيرين الثاني والثالث، فكيف تقول انقطعت؟.

ج: 40: ماجد الغرباوي: بالفعل انقطعت الرسائل والتوقيعات، وارتبك الوضع، ثم صدرت توقيعات تلعن المشككين بسفارة السفير الثالث، وهو شخص غير معروف، ادعى بعض الشخصيات الشيعية كبني نوبخت أن الإمام نصبّه رغم جهالة الناس به. وقيل كان يعمل ضمن طاقم مكتب السفير الثاني، أو الناحية المقدسة، موظفا من الدرجة الثانية أو الثالثة والله العالم. وهكذا فعل بنو نوبخت حرّاس العقيدة الشيعية عندما أعلنوا عن وجود سفير رابع للمهدي المنتظر، وهو أيضا شخص مجهول بل أكثر مجهولية ولم يُذكر عنه شيء في المصادر التاريخية. فالتوقيعات التي صدرت في عهد السفير الثالث اختلفت في نوع الخط وطبيعته، فكان يُفترض صدورها بنفس الخط والتوقيع لو كانت تُكتب بخط الإمام. أو فيها ما يدل على وحدة المصدر، مقارنة بخط التوقيعات السابقة. وما يعمق الإشكال أن السفير الثالث أعاد الناس للفقهاء في مسائلهم الشرعية وهو أهم عمل بالنسبة للإمام!!، وهذا إشكال عام على جميع السفراء. وبالتالي لم يبق للسفير الثالث أي عمل في مكتب الإمامة سوى قضايا روتينية لدفع الشبهات، واستلام الحقوق الشرعية. وهو ما يحرص عليه الجميع خاصة حراس العقيدة في جميع الأديان، فربما كان الدافع المادي وراء تنصيب السفيرين الثالث والرابع، وربما هشاشة الوضع الشيعي، والله أعلم

بحقائق الأمور. المهم نجحوا في تماسك الشيعة وعدم انهيار التشيع من خلال هذين السفيرين، حتى اذا استقرت الأمور واطمأن الشيعة لوجود إمامهم الغائب، أعلنوا بداية الغيبة الكبرى، لعدم وجود ضرورة لاستمرار السفارة، وتفاديا لكثير من المشاكل.

وعود على بدء، لا يعني المراد بالناحية المقدسة ذات الإمام المهدي، بل هي عبارة مواربة، لا يستطيع أحد نفي المقصود بها أو تأكيدها، فأدت وظيفتها على أحسن وجه، فكان عثمان بن سعيد عبقريا في اختيارها للدلالة على الإمام الغائب. وربما كان دافعه التقوى والورع عندما وجد نفسه والشيعة في حرج شديدين، خاصة مع علمه بعدم وجود أي دور يتوقف على وجوده، أما بالنسبة للأحكام الشرعية فالناس بدأت تراجع الفقهاء في حياة العسكري، ولم تبق مسؤوليات تتوقف على وجود إمام سوى الحقوق الشرعية، وقد ناب عنه باستلامها. بل أن الآخير كان يتولى الشؤون المالية منذ الإمامين الهادي والعسكري، يشهد لذلك بعض نصوص الروايات عنهما. فالسفير الأول وجد نفسه في ورطة، فاضطر للإعلان عن وجود ولد للعسكري، واضطر لاستخدام جملة مواربة للتعبير عنه بذريعة الخوف عليه وعدم انكشاف أمره. فيبدو أنه رجل يخشى اللّه أو عبقري في فن الإدارة والقيادة، فكان تدبيرا حكيما مباركا نجح نجاحا باهرا، وحقق جميع أهدافه، وما زال فقهاء الشيعة يعتقدون أن المراد بها هو المهدي المنتظر. واعتبروا التوقيعات والروايات الصادرة عنها كغيرها من الروايات الصادرة عن الأئمة، فتكون حجة يستدلون بها متى ما استوفت شروط حجيتها.

وربما كان محمد بن عثمان يعتقد أنه إجراء مؤقت حتى تستقر الأمور ويتفهم الشيعة الحقيقة، لكن الوضع لم يستقر وما زال هناك حاجة لوجود السفارة، فأوصى لولده محمد، ولما قاربت الآخير الوفاة لم يوصِ لأحد من بعده، إما تحرجا أو لم تعد هناك ضرورة للسفارة حسب تقديره. أما بالنسبة للسفيرين الثالث والرابع فقد أعلن سفارتهما بنو نوبخت، ولم يوصِ للسفير الثالث أحد.

ويحتمل أيضا أن الطموحات المادية والقيادية وراء إعلان السفارة. فقيادة التشيع ونيابة الإمام مركز كبير، مغرٍ، فجاء تدبير السفارة لاحتكارهما من قبل السفيرين الأول والثاني، وهكذا دفع الطموح بنو نوبخت للإعلان عن سفراء مجهولين لواجهة السفارة، لتبقى بيدهم إدارة الأمور واستلام الحقوق الشرعية. وبالفعل نجحت الخطة، وغاب الإمام غيبة كبرى مفتوحة، بعد نفاد أغراض السفارة في جانبيها القيادي والمادي، وانطلت على الشيعة، وقُتل من شكك فيها. وقيل أن محمد بن علي الشلمغانى، وهو فقيه شيعي كبير قد قُتل بسبب عدم قناعته بالسفارة وعدم دعمها محتجا لو كان هناك سفير للإمام المهدي فهو أحق من غيره باعتباره فقيها وشخصية معروفة، وهذا كلام عقلائي دقيق، فمنصب الإمامة ونيابة الإمام تحتاج لشخصية علمية كبيرة وليست شخصية مجهولة في الوسط الشيعي. فكان مصيره القتل بعد أن وشوا به إلى السلطان.

ولاية الفقيه

س41: طارق الكناني: نعود لموضوع النيابة العامة: إذا لم تثبت النيابة العامة لأنها كما ذكرت تتعكز على مبانٍ فقهية متهالكة فماذا عن ولاية الفقيه وأدلتها التي هي أخطر بكثير من النيابة العامة؟

ج41: ماجد الغرباوي: ثبوت النيابة العامة كما تقدم يحتاج إلى دليل يؤكد أن المراد من الناحية المقدسة ذات الإمام، وهو منتفٍ، لا يوجد ما يدل عليه. فالقضية سالبة بانتفاء موضوعها كما يقول المناطقة.

- كما نحتاج إلى دليل ثانٍ يؤكد أن التوقيع الصادر من الناحية المقدسة هو من إملاء الإمام حصرا، لأنه الحجة المفترضة شرعا.

- ونحتاج في مرحلة سابقة اثبات وجوده بدليل حسي قطعي

- ونحتاج صدق مفهوم الراوي على الفقيه.

فمن أين يأتون بهذه الأدلة، وليس بأيديهم سوى روايات ضعيفة ودعاوى لا تنهض كدليل معتبر يمكن الاستدلال به على المطلوب؟. بل حتى السفراء لم يوثقوا في كتب الرجال توثيقا معتبرا تطمئن له النفس، وهذه مشكلة كبرى لا حل لها. وراح بعض يحتج لوثاقتهم بسفارتهم، فكيف يعتمد الإمام شخصا سفيرا له وهو ليس بثقة معتمد لديه؟ والجواب: هذا أول الكلام. إذ كيف نثبت السفارة بدليل مستقل وليس لدينا طريق للمهدي المنتظر غيرهم؟. فسفارتهم

مجرد دعوى لا يمكن تصديقها إلا بدليل مستقل أو بثبوت وثاقتهم وعدالتهم. خاصة مع احتمال وجود دوافع لا دينية وراء الإعلان عنها.

أما بالنسبة لولاية الفقيه فالأمر مختلف، رغم أن أحد أدلتها رواية: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)، لكن الإنصاف أن القائلين بولاية الفقيه باتت لديهم أدلة أخرى، عقلية وأصولية، وشواهد واستنتاجات، رغم عدم وفائها بالمطلوب.

أدلّة ولاية الفقيه لا تثبت وجود ولاية مطلقة للفقيه إلا على بعض المباني الفقهية النادرة. لأنها سلطات مفتوحة، واسعة جدا، لا يمكن للشارع المقدس أن يمنحها لأحد بعد رسول الله. ولا تكفي مبررات السلطة لجعلها، لأنها غير مأخوذة في نظر الشارع.

كيف يمنحها لأحد وهي تعني قيمومة الفقيه وولايته على الأنفس والأموال والأعراض والدماء والسلطة وكل ما في الحياة؟ كيف تمنح الفقيه حق التصرف بكل شيء!!. وما الذي يدعو الباري تعالى منح الفقيه حق إلغاء عقول الناس فضلا عن حقه في التصرف بأموالهم وأعراضهم؟ هل فقط لأنه فقيه مهنته استنباط الأحكام الشرعية التي هي صناعة وبامكان أي شخص إتقانها إذا توفرت فيه الشروط اللازمة وتمكن من أدواتها؟. أي عاقل يقبل أن يوضع ماله وعرضه وعقله ووعيه بيد الفقيه بحجة أن له ولاية عليه؟ هكذا أمر خطير بل خطير جدا على جميع المستويات يحتاج إلى آيات قرآنية صريحة لخطورته وحجم صلاحياته، كمصادرة حرية الناس وقمع روح الابداع والتصرف بأموالهم ودمائهم

وأعراضهم ووجوب طاعة الفقيه مطلقا وعدم الاعتراض على قرارته، والتمرد عليه يعد خروجا على الله ورسوله فيشمله في نظره قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

لهذا ينفي غالبية فقهاء وعلماء الشيعة وجود ولاية مطلقة للفقيه. ومن ثبت عنده أصل الولاية للفقيه فهي تعني صلاحيات محدودة في قضايا الحسبة وشؤون القصّر ممن لا ولي لهم، وأمور تتعلق بالنظام العام، وهذا القدر بات منتفيا مع وجود حكومات وقوانين ترعى هذه الشريحة من الناس. أما الولاية بمعنى السلطة والحكم والتصرف بالأرواح والدماء، وتعطيل الدستور والقانون، كما هي ولاية الفقيه في إيران، فعدد نادر من فقهاء السلطة في هذا الزمان يستميت من أجل اثباتها.

ولاية الفقيه، كما -جاء في الدستور الإيراني في نسخته الأولى، أي في حياة الخميني -كانت تعني التنسيق بين السلطات الثلاثة (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، لكن بعد وفاته أضافوا قيد "المطلقة" الى منصب الفقيه دستوريا، لتصبح ولايته مطلقة، ذات صلاحيات واسعة جدا، مما عزز موقع المرشد خامنئي، وخولته صلاحيات وسلطات تعلو سلطة القانون. وبهذا خضعت البلاد لسلطة الولي الفقيه. ثم تم تعديل الدستور بطبعته الثانية ليكون الإجراء دستوريا لا يمكن تغييره إلا باستفتاء شعبي، وبهذا

ضمنوا كل شيء. هذه السلطات الواسعة من الصعب على أي فقيه منصف غير متحيّز الموافقة عليها. إنها مسؤولية كبيرة لم يخص اللّه أحدا بها سوى رسوله الكريم وفي حياته فقط وفقط. لذا لم تتمكن اللجنة المكونة آنذاك من عشرين مجتهدا تعديل الدستور لولا وجود رأي سابق للخميني شجعها على اتخاذ هذه الخطوة الكبيرة والخطيرة. ففي أحد الأيام انبرى الإمام الخميني لتصحيح مفهوم الولاية للسيد علي خامنئي، الذي حصر صلاحياتها من على منبر صلاة جمعة طهران، بالتنسيق بين السلطات الثلاثة، وهو تفسير صحيح وفقا للدستور الإيراني بطبعته الأولى، غير أن الخميني رد عليه عصر ذلك اليوم عبر وسائل الإعلام قائلا: (ولاية الفقيه كولاية رسول اللّه)!!!.

وسمعت الشيخ جوادي آملي، يشرح معنى الولاية، فيقول: الولاية هي قيمومة، كقيمومة الأب على أولاده القصّر في كل شيء. وللولي الفقيه قيمومة حتى على الرأي السياسي، لعدم قدرة الشعب على اتخاذ القرار الأصلح. فيكون واجبه الطاعة وعدم الاعتراض عليه!!!. وبهذا شطب على جميع الطاقات الفكرية في البلد وطالبها بالانصياع لقرات الولي الفقيه.

والشيخ جوادي آملي من حراس ولاية الفقيه، ورمز فقهي وعرفاني كبير، فمن يعترض عليه، ويطالب بكرامته التي خصه اللّه بها وصادرها الفقيه؟.

الفقه يا صديقي صناعة، والفقيه الأصولي بإمكانه الاستدال على الشيء وضده، فأين تهرب الناس من قبضته؟ إنها محنة. وأنا

لست ضد من يروم إقامة دولة وفق الإسلام ومبادئه الرفيعة لكنني ضد التسلط باسم الدين وتطبيق شريعة سيد المرسلين. والأصل عدم وجود ولاية لأحد على آخر سوى الله تعالى، وقد جعلها لرسوله لضرورات ترتبط بالرسالة ومستقبلها، وجلعها للمؤمنين بشروط مع اختلاف جوهري في معناها. فولاية المؤمنين مشروطة، ولغايات إدارية – تنظيمية، بينما ولاية الرسول مختلفة، خاصة مع وجود آيات أخرى يستفاد منها الإطلاق في ولايته. فبامكان الفقيه التمسك بايات ولاية المؤمنين، لكنها لا تعني القيمومة كما يريد.

س42: طارق الكناني: وماذا عن أدلة ولاية الفقيه الأخرى هل هناك نصوص يمكن الركون اليها؟ هل توجد أدلة كافية ومعتمدة في المقام؟ أرجو بيان ذلك.

ج42: ماجد الغرباوي: بالنسبة للأدلة الشرعية اللفظية، لا يوجد أي نص قرآني صريح يمنح الفقيه ولاية عامة، فضلا عن ولاية مطلقة، وكل ما هناك تأويلات قابلة للنقض. كما أن الروايات لا تنهض حتى بمجموعها كدليل معتبر على ثبوت الولاية المطلقة للفقيه، وفقا لمباني الفقهاء والأصوليين الشيعة. والرواية المعتمدة عندهم في هذا المجال ليست صحيحة بمصطلح علوم الحديث بل هي مقبولة. ومعنى مقبولة أنها رواية فيها ضعف، إما سنداً أو متناً أو كلاهما، لكن الفقهاء اتفقوا على قبولها. وكيف لا يقبلونها وهي تكرّس سلطتهم وتمنحهم صلاحيات واسعة؟؟!!!. تقول مقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق: (ينظر

"الشيعيان المتخاصمان" من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما أستخف بحكم اللّٰه وعلينا ردَّ، والراد علينا، كالراد على اللّٰه وهو على حد الشرّك باللّٰه..).

والرواية على فرض صحتها وقبولها لا تدل على ثبوت أي ولاية للفقيه سوى إحالة المتخاصمين للقضاء، ووجوب الإلتزام بما يحكم به الحاكم الشرعي، ما دام يتصف بالصفات المذكورة في الرواية. لذا جاء التأكيد من أجل احترام القضاء، وتسوية النزاعات بعيدا عن السلطات الظالمة. فمن يؤمن بولاية الفقيه مضطر لا فقط لقبول هذه الروايات، بل الاستدلال على صحتها، لأنه بحاجة ماسة لتحشيد أدلة وشواهد ووقائع لتعضيد رأيه الفقهي.

وقد اضطر بعضهم للتشبث بدليل عقلي لإثبات ولاية الفقيه بعد أن قطع الأمل في وجود دليل لفظي صريح في المقام، (آية أو رواية). فاستدل عقلا على ثبوت الولاية للفقيه كلازم لوجوب تصديه للسلطة والحكم، فيكون التصدي لها واجبا وبكامل صلاحياتها كي يمارس الفقيه سلطته الشرعية. أو لأنه الأولى إذا توفّرت الشروط اللازمة. لكن من قال إن السلطة والحكم ضرورة دينية؟؟ فهذا أول الكلام وبحاجة إلى دليل صريح وهو منتفٍ. فعلى من يدعي ذلك أن يثبت أولا ضرورة السلطة دينيا ثم يستدل بعد ذلك على أولوية تصدي الفقيه لها؟. أليس عدم الاتفاق دليلا على عدم

وجود دليل معتبر يوحّد موقفهم الفقهي والشرعي تجاه هذه المسألة؟

العقل يرفض مطلق الولاية والقيمومة لغير القُصّر كالأطفال والمجانين والسفهاء، فكيف يحكم بولاية مطلقة للفقيه؟ إن ولاية الفقيه شأن ديني متى ما دل دليل قطعي على ثبوتها وثبوت صلاحياتها. فمن أين يأتون بدليل والقرآن أهمل عصبيّ الحياة: السياسة والاقتصاد، ولم يذكر سوى مبادئ أخلاقية ومفردات محدودة. كما لم يصرّح الرسول لأحد من بعده سوى روايات وأحاديث تفيد التفضيل. بل أن الأطراف المتنازعة على السلطة يوم السقيفة لم يستدلوا على أفضليتهم وأحقيتهم بآية أو رواية صريحة عن الرسول، بما فيهم الإمام علي، الذي احتج عليهم بنفس المبدأ الذي احتج به المهاجرون على الأنصار، أي مبدأ القرابة من الرسول، وقبل ذلك وهو الأهم أن الجميع يشهد أن الرسول لم يستطع كتابة كتاب لهم بسبب لغط الصحابة واختلافهم. إذاً لا يوجد أي دليل صريح على ولاية الفقيه، بل كما يعبّر الشيخ مرتضى الأنصاري، من كبار فقهاء الشيعة، وكتبه ما زالت معتمدة في الدراسات الدينية والحوزوية، قال: (دون ثبوتها – أي ولاية الفقيه -خَرط القتاد)، كأمر تعجيزي ومستحيل. وبهذا تتضح هشاشة أدلة القائلين بثبوت الولاية المطلقة للفقيه، بل وحتى الولاية غير المطلقة خارج حدود القّصر، وأمور الحسبة، لعدم وجود دليل لفظي صريح، أو سيرة معتبرة. كما يرفض العقل والمنطق مفهوم الولاية بمعنى القيمومة وحق التصرف بشؤون الناس، لأنه تجاوز صريح على كرامة الإنسان ومصادرة واضحة لحيثيته. ومع عدم وجود دليل شرعي وعقلي فدون إثبات ولاية الفقيه كما يقول

صاحب المكاسب: خرط القتاد!. وتبقى ولاية الفقيه مشروعا لاحتكار السلطة، وشرعنة الاستبداد السياسي، وهذا ترفضه قيم السماء والأرض. فيبقى الأصل، عند الشك في الحكم، عدم ثبوت الولاية لأي شخص، إلا ما دل عليه دليل قطعي السند والدلالة. كما تبقى ولاية الأمة على نفسها ثابتة، وقد أقرها الصحابة بعد وفاة الرسول، بما فيهم الإمام علي بن أبي طالب. وهو المبدأ المعتمد راهنا من قبل الدول المتحضرة.

ينبغي التنبيه أن طبيعة الشعب الإيراني، ما عدا المستنيرين، تألف الاستبداد، وتتعايش معه منذ قديم الزمان، فكانوا يقدسون ملوكهم كأنهم آلهة. فوجود ملك أو ولي فقيه جزء من ثقافتهم، تنقاد له مشاعرهم، ويبدو أنها حاجة ذاتية لتطمئن نفوسهم. لذا فالإيرانيون خصوصا وراء اسقاط ثقافة العبودية والانقياد على أئمة أهل البيت، وكل ما تشاهده من طقوس ينتسب للثقافة الفارسية – الساسانية. ورغم الغلو في بعض الأوساط الشيعية العربية لكن الفرس شيء آخر، يتعبدون بطقوس صنعوها بأيديهم حتى غدت مقدسة تأخذ حد التهتك بالدين عند نقدها أو مقاربتها سلبيا. أما ذوات الإئمة عندهم فتشبه عيسى النبي الكريم في الفكر الكنسي، تتراوح بين اللاهوت والناسوت. فخصائصهم خصائص إلهية رغم بشريتهم. وهكذا سرت الثقافة الساسانية وسممت جميع الفكر الشيعي العلوي. ولعل كتاب: التشيع العلوي والتشيع الصفوي للمفكر الإيراني د. علي شريعتي أفضل من عبر عن هذا المعنى بكل جرأة وشجاعة.

الولاية والاستبداد

س43: طارق الكناني: حسبنا شهادة الشيخ الأنصاري فهو من المجددين في الدراسات الحوزوية. إذاً وفق هذه المباني تتضح معالم السلطة لدى أصحاب ولاية الفقيه، فهي لا تؤمن بالشورى ولا بالحوار وبعيدة عن اي فكر ديمقراطي، أليس كذلك؟ فهل صرّح أحد أئمة أهل البيت بهذه الولاية؟

ج43: ماجد الغرباوي: الحكم وفقاً لنظرية ولاية الفقيه حكم ثيوقراطي، يعتبر فيه الفقيه نائبا عن الإمام المعصوم في صلاحياته الإلهية الواسعة، وحكم دكتاتوري يمنح الحاكم (الولي الفقيه) سلطة مطلقة، بل وسلطته استبداد ديني قمعي، وشواهدها كثيرة في إيران، فلماذا لا نعترف بذلك؟ سيقال: منصب إلهي مستثنى من الاستبداد. وهذا أول الكلام، من قال إنه منصب إلهي مع عدم وجود دليل شرعي صريح يثبت للفقيه ولاية محدودة فضلا عن الولاية المطلقة؟ ثم أصل المسألة خلافية بين فقهاء الشيعة. فبأي دليل يستثنى من الاستبداد؟. الاستبداد واحد، سواء صدر عن رجل السياسة أم رجل الدين، بل إذا صدر عن رجل الدين أدهى، لأنه باسم الرب جل وعلا، فيعتبر شرعيا، وهذا مكمن الخطر.

أئمة أهل البيت من العقل والرزانة لا يسمحون بهذا القدر من السلطة، ولم يرو أحد أي رواية بهذا الخصوص. وإلا لتمسك كافة رجال الدين بها. من هنا ترى غالبية فقهاء الشيعة لم يعترفوا بشرعية أي حكومة تقام باسم المذهب قبل ظهور المهدي المنتظر،

وحصروا شرعيتها بالإمام المعصوم، تمسكا بقوله: (كل راية قبل ظهور الإمام راية ضلال). ورغم التحفظ على هذا الرأي إلا أنه حدّ من شهوة الفقهاء للسلطة وحال دون سيادة الاستبداد الديني، فإنه أخطر من الاستبداد السياسي وتبعاته أكبر، حينما يمارس فيه الفقيه سلطته القمعية مع معارضية باسم الدين، وهو يعتقد بشرعية سلوكه.

الاستبداد ممارسة سياسية سلبية، تكرّس روح التبعية والانقياد والطاعة لدى الشعب. ويمارس فيها المستبد دور المتسلط، يسلب الآخرين حقوقهم، ويقمع تطلعاتهم. فهو مرفوض من أي جهة صدر.

خلال ترجمتي لكتاب السيد محمد خاتمي (الدين والفكر في شراك الاستبداد) كان المؤلف وقتها رئيساً لجمهورية إيران الإسلامية، وكان رغم مشاغله يراجع ترجمتي مباشرة لأنه يجيد العربية، وفي أحد الأيام سألني مسؤول أحد مكاتب الرئاسة عن رأيي بانتخابات دولة قطر؟ وكانت في حينها انتخابات صورية محدودة لمجلس تشريعي. فأجبته نعم. فقال: حتى قطر أكثر وعيّا وتطوراً منّا نحن الإيرانيين. نحن للأسف نؤمن بولاية الفقيه، التي هي إستبداد مقيت، تصادر الحريات وتضطهد المعارضة مهما كانت سلميّة، وتتفرد بالسلطة.

كنت أصغي بذهول تام، لم أنطق بحرف. فلا الظرف السياسي يسمح بالتعليق ولا المكان المطوق بالأمن من جميع الجهات.

فهناك تيّار عريض من المثقفين الواعين في إيران يرفضون ولاية

الفقيه وقد انتهى بهم الأمر بين سجين ومطرود من عمله أو مهاجر خارج إيران، بسبب معارضتهم حكومة ولاية الفقيه ولو بشكل غير مباشر، وقد بدأوا نشاطهم بتأسيس صحف يومية جريئة جداً، وصريحة راحت تناقش كل شي، خاصة السلوك الاستبدادي للمحافظين. وكان يرأس تحريرها كبار الشباب الثوري المؤمن بالخميني وثورته وإيران، لكن صحوة الوعي حالت دون تمادي اندفاعهم الثوري. للأسف أصبح مصطلح (روشن فكران) أو "المستنيرون" تهمة، بسبب السياسة القمعية، رغم سعة شعبيتهم التي فاقت التوقع في انتخاب السيد محمد خاتمي، إلا أن المحافظين بدعم من الوليّ الفقيه قمعوا التيار الإصلاحي وفرضوا على قادته إقامة جبرية، مثل (كرّوبي ومير حسين موسوي).

وأما كبار المفكرين كعبد الكريم سروش، ومحسن كديور، وعطاء الله مهاجراني وآخرين فقد استقروا خارج إيران، بعد أن تخل رجالها عن شعارات الثورة في حرية الرأي والمعارضة.

ثم كيف نفسّر عدم وجود نصوص عن أئمة أهل البيت تشرّع الولاية للفقيه، فضلا عن عدم وجود آيات أو روايات عن النبي الكريم؟ هل أهملوا موضوعها وهي بهذه الدرجة من الخطورة؟ وهذا غير ممكن لا أقل بالنسبة للرسول وأئمة أهل البيت وشعورهم بالمسؤولية تجاه الأحكام الشرعية. أو أن المسألة غير مطروحة أساسا فتكون منتفية بانتفاء موضوعها. وبالتالي فهي مسألة مستحدثة، يُنظّر لها وفقا لحاجات الفقيه وتطلعاته السياسية. لهذا لا يتناولها الفقهاء في أبحاثهم الفقهية إلا بشكل

محدود كما تقدم. وبالتالي فالدين الحنيف لم يشرّع أية ولاية للفقيه، وإلا لكانت النصوص تترى نظرا لخطورة هذا المنصب.

قد يعتبر بعضهم ممارسة السلطة من قبل الرسول دليلا كافيا على شرعية الولاية المطلقة للفقيه، وهذه مغالطة، فلا مقايسة بينهما. سلطة الرسول سلطة إلهية، نص الكتاب العزيز على وجوب طاعته، وهناك آيات يستدل بها على صحة ولايته مطلقا، رغم تحفظنا على بعض الآراء في هذا الخصوص. ولا دليل على شرعية ولاية الفقيه مطلقا. هذه السعة من الصلاحيات المزعومة تحتاج لدليل صريح بيّن على شرعيتها. لا ولاية لشخص على آخر سوى الخالق لأصالة ولايته، وقد جعلها للرسول لضرورة النبوة ونشر الرسالة التي اضطرت في زمن النبي محمد إلى خوض معارك مع المشركين والكفار، فنقف عند حدودها، ولا يجوز جعلها لغيره إلا بدليل صريح بخصوصه. وتبقى ولاية الأمة على نفسها ثابتة.

وإذا قيل: إن ملاك جعل الولاية المطلقة للرسول هي السلطة وليس النبوة، فتكون مجعولة للفقيه عند ممارسته لها تلقائيا عندما يكون كفوءا، وقد توفرت فيه الشروط اللازمة. نقول: لا نستطيع الجزم بأن السلطة كانت وراء جعل الولاية للرسول الكريم، فربما هناك إضافة لممارسة السلطة خصائص ذاتية أو ضرورات آنية هي الملاك الحقيقي لجعل الولاية له، وإلا لو كانت السلطة تمام الملاك في جعل الولاية المطلقة للرسول، لجعلها قاعدة، ولم يقيّد ولاية المؤمنين، كما جاء في الآية الكريمة، ولم يطالبهم بالعودة للّه وللرسول عند التنازع، كي يستفيد الفقيه من إطلاقها

لاثبات ولايته المطلقة. ومادام هذا الاحتمال قائما لا نرفع الشك عن الأصل وهو عدم وجود ولاية لأي شخص على الآخرين ما لم يدل الدليل القطعي سندا ودلالة. أي دليل قرآني بخصوصه، لأن الولاية بهذه الصلاحيات جعل إلهي، ومصدر معرفة أحكام الله هو القرآن الكريم، الذي فيه تبيان كل شيء. أو رواية صحيحة متنا وسندا تريد بيان حكم شرعي بخصوص ولاية الفقيه، وكلاهما مفقود، والمسألة مستحدثة لا يدل عليها أي دليل سوى رغبة في شرعنة السلطة، كي يمارس الفقيه باسم الدين أوسع السلطات، ويقمع بشرعية ولايته كل معارض لسياسته (الراد عليهم كالراد على الله). بل أجد في الآية ما ينفي إطلاق الولاية للفقيه، فهي حينما جعلتها للمؤمنين فرضت عليها قيودا، ودلالة القيد واضحة في عدم إطلاقها:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا).

هذا إذا كان المراد بآية: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ)، الولاية، أما إذا التمسنا معنى آخر للآية فتنتفي دلالتها ولا يمكن التسمك بها كدليل قرآني على ولاية الرسول، ومن باب أولى غيره. واجد المعنى الآخر أقرب لروح القرآن وخصوصية المصطفى في علاقته مع أصحابه، فهو بالنسبة لهم أولى من أنفسهم حبا وفداء، وأكثر انسجاما مع سياق الآية. (وأزواجه أمهاتهم).

س44: طارق الكناني: أين يكمن الخلل في هكذا أنظمة، لأننا نرى نفس المشكلة في اوروبا عندما حكمت الكنيسة؟

ج44: ماجد الغرباوي: هناك أكثر من سبب، منها: يعتقد رجل الدين، سواء كان مسلما أم مسيحيا، أنه ظل الله ووكيله في الأرض، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وحكمه حكم الله، وسلطته سلطة الله، فهي مطلقة وعلى الناس جميعا الانقياد له وإلا سيحكم على المتمرد بالردة والكفر. وهذا مكمن الخطر، حينما يكون الاعتراض عليه اعتراض على الله (الراد عليهم كالراد علينا والراد علينا كالراد على الله وهو حد الشرك به). بينما الحقيقة شيء آخر. فأحكام الله واضحة في كتابه، والولاية التي يفترضها رجل الدين لنفسه وليدة أدلة اجتهادية، وصناعة أصولية، ورغبة شخصية من أجل تعزيز سلطته وتبرير ممارساته السلطوية.

ثم بشكل عام هناك مشكلة فهم الدين فهماً مبتسرا جهلا أو تكريسا لمصالح حزبية وفئوية. فالإسلاميون يصرّون على وجود علاقة بين الدين والسياسة، وبالتالي يسعون لاحتكار السلطة باعتبارهم الممثل الوحيد للإله على الأرض، لهذا حشّدوا كل طاقاتهم من أجل السلطة، حتى آل الأمر أن يذبح داعش المسلمين أفواجاً بلا ورع ولا تقوى، وهو يعتقد بشرعية سلوكه، ويجد من رجال الدين من يؤيده ويدعو الله لنصرتهم!!. ومشكلة الإسلامي في السلطة أنه مستبد، يرفض خصومه، ولا يعتقد بشرعية أي حاكم خارج دائرته، مهما تظاهر بخلاف ذلك. بل الإسلامي

متغطرس حتى خارج السلطة فتجده متعاليا مع غير الإسلاميين، ينظر لهم بريبة واستخفاف مهما جاملهم، ودائما يعتبرهم موضوعا للهداية لأنهم ضالّين يستحقون الشفقة!!، مهما كان المستوى العلمي والفكري والأخلاقي للآخر. إنه بؤس الوعي، ونرجسية التدين الذي أفضى الى كره المتدين في أغلب بقاع الأرض، حتى بات أغلبهم لا يفرق بين الإسلامي والإرهابي للإسف الشديد. فكم خسرنا بسبب رثاثة الوعي وفقر الثقافة المنغلقة على الذات؟.

إن الفهم الخاطئ للدين ترك آثارا سلبية كبيرة على مسيرة الإسلاميين وأتباع الحركات الإسلامية، وخلق فجوة اجتماعية قائمة على فرز حاد (مؤمن / غير مؤمن). فرز قام على حنق وحقد كبيرين على كل من لا ينحاز لإيمانهم ووعيهم الحركي. فتلاحظ بعض الإسلاميين لا يطيق من لا ينتمي الآخر غير المتدين الملتزم إلا لماماً، ولا يطيق التحدث إليه، فينظر له نظرة متعالية باعتباره في ضفة الإله والآخر في خندق الشيطان، بينما كان ينبغي له أن يتعامل مع الناس بود وأخاء كي يمكنه التاثير عليهم، لهذا كانت إحدى ثغرات تحرك الإسلاميين انحسارهم في حدود نخبة المجتمع كطلاب الجامعات وأصحاب الشهادات الأكاديمية، لذا خسروا جميع الجولات مع الأنظمة السياسية لأكثر من سبب أحدها وأهمها عدم وجود غطاء شعبي يحميهم.

الاجتهاد مفهوماً

س45: طارق الكناني: ما دمنا في دائرة الفقيه، هناك حديثان متضاربان حول موضوع الاجتهاد والمجتهد، فحديث يقول (من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد واخطأ فله أجر). والمعروف أن أصحاب هذا الحديث أغلقوا باب الاجتهاد. بينما يروي مذهب آخر، أبقى باب الاجتهاد مفتوحا: (من اجتهد بغير علم وأصاب فليتبوأ مقعده من النار) وكذلك (من فسَّر القرآن برأيه وأصاب فليتبوأ مقعده من النار). أي من هذه النظريتين تكرّس الوساطة وتلغي حق الإنسان بالتفكير والاختيار؟

ج45: ماجد الغرباوي: لا بد من التوقف أمام هذه الأقوال أو الروايات لفهم تداعياتها، ثم نعود للسؤال. قلت أكثر من مرة في هذا الحوار، الناس أحرار فيما يقولون ويعتقدون، ومسؤوليتي رصد التداعيات، وما يرافقها من تزوير الوعي وتضليل الناس البسطاء، من أجل نهضة تمثّل هويتنا، فقد بلغ بنا الحال أن يكفّر بعضنا الآخر، ويستبيح دمه باسم الإله والدين والشرع.

لا شك أن الاجتهاد مبدأ أساس لإحياء الشريعة وتكيّفها مع الواقع، وفق شروط وآليات لا تتوفر إلا للمجتهد الحقيقي الذي يعي متطلبات الزمان والمكان ويراعي التطور الحضاري للفرد والمجتمع. ولا شك أيضا أن الحديث الأول يدعم المجتهد ويشجعه على ممارسة اجتهاده بثبات وجرأة، لضمان الثواب أصاب أم أخطأ. وهذا لا يخلو من تداعيات خطيرة، أهمها: تبرأة المجتهد عن

مسـؤولية مـا يترتـب علـى فتـواه، مـن سـلوك ومواقـف، يلتـزم بهـا النـاس، خاصـة الفتـوى السياسـية الـتي تتـأثر بشـكل وآخـر، برؤيـة المجتهـد الأخلاقيـة والآيديولوجيـة. فالمجتهـد لـيس معصـوما محايـدا حينما يفتي، بـل هـو إنسـان تتحكـم بـه قبلياتـه ومبادئـه ومعتقداتـه وخلفيته الثقافية والدينية والمذهبيـة ومصـالحه الشخصـية والمذهبيـة والطائفية وكل تحيزاته، لذا تختلف الفتاوى حـول موضـوع واحـد، بــاختلاف اتجاهــات الفقهــاء السياســية والآيديولوجيــة. وأمامــك الحركـات التكفيريـة الـتي تتصـاع للمـوت بفتـاوى دينيـة، يـرفض شرعيتها مجتهد آخر. وبالتالي يجب أن يكون المجتهد مسـؤولا عـن فتاواه، فكيف يثاب على كل حال؟ هذه أحكام مطلقة لا يُركن لهـا مـع عـدم وجـود دليـل قرآنـي صـريح، يؤكـد مضـمونها، لأن الجزاء، ثوابا وعقابـا، بيـد اللّه. وبالتـالي لا يمكـن الاطمئنـان لهـذا اللون من الأحاديث التي تشي بغايات لا دينية وراء نشرها والتركيز عليها، ما زالت تخدم السلطة وشخص الخليفة والسلطان لكن من خلال المجتهد والفقيه. فهي تزوير للوعي بغطاء ديني.

لقـد أشـاعوا هـذا الحـديث بقـوة لحمايـة فقهـاء السـلطة وضـمان تدفق فتاوى تشرعن سلوك الخليفة والسلطان مهما كانـت مجافيـة للأخــلاق وقــيم الــدين الحنيــف، فتقمــع المعارضــة والشــعب معــا. فالسـلوك الـلا أخلاقـي والـلا ديـني للسـلطة يـثير حفيظـة النـاس، فيتصدى رجل الـدين لقمعهـم بخطـب وفتـاوى تحـرّض السـلطة ضـد المعارضة، بل وتألّب الناس ضدهم، وهـذا مـا تطمـح لـه السـلطة، أن تُقمـع المعارضـة بيـد الشـعب ومباركـة رجـل الـدين. فالحـديث بهـذه

الصيغة يعد كنزا وثروة يسعى الفقيه والسلطة لنشره وترسيخه في عقول الناس، لحماية سلطته وضمان ولائهم. فممالأة الفقيه للسلطان أسقطت هيبة الدين، وانزلته من قدسيته ليتمرغ على أعتاب السلطة وإغراءاتها.

النص المقدس سلطة هائلة يذعن له الجميع، لهذا استغل السياسيون رواة الحديث لتسويق أحاديث مكذوبة تخدم مصالحهم، وتكرّس سلطتهم، وبالفعل نجحوا أيما نجاح، خاصة في عصر الدولة الأموية، ومازالت هذه الأحاديث توظف لتحصين السلطات اللاشرعية في العالم الإسلامي.

تقول في سؤالك: (وأصحاب هذا الحديث ممن أغلقوا باب الاجتهاد). لا أدري بالضبط ماذا تقصد بهذه العبارة؟ هل تريد تعريف الجهة التي تتبنى هذا الحديث، أم تفترض وجود علاقة بينه وبين إغلاق باب الاجتهاد؟ فإذا كان الثاني هو المقصود، فالعكس هو الصحيح، لأن الحديث يشجع على الاجتهاد، ويضمن للمجتهد الأجر أصاب أم أخطأ. وإذا كنت تقصد التعريف باللازم، فغلق باب الاجتهاد للإسف الشديد كان أحد الأخطاء التاريخية التي كبدت الأمة الإسلامية خسائر كبيرة.

فالدافع السياسي واضح وراء تبني هذا الحديث، خاصة الفقهاء الذين ساندوا الخلفاء الأمويين والعباسيين، ومن جاء بعدهم سلاطين الدولتين العثمانية والصفوية، الذين اقتصرت مهمتهم على تبرير سلوك السلطان وشرعنة تصرفاته، مهما بعدت عن روح الدين والإسلام، فبإمكان الفقيه مثلا أن يستند لمبدأ

الضرورة، أو حفظ الأمن، أو الأهم والمهم، ليفتي بجواز قتل مجموعة من الشعب بدم بارد!!. فيكون مأجورا مرتين إنْ أصابت فتواه الواقع وطابقت حُكم اللّه!!، وإن أخطأ في فتواه فأيضا له أجر!!!. لكن من يتحمل مسؤولية الدماء التي سالت؟

أي مهزلة وأي استهزاء بعقول الناس وبالدين والإسلام؟ هكذا ضلّلوا الرعية، سيكون موقفهم صعبا يوم القيامة. وما زال الناس يهرولون وراء رجال الدين للأسف الشديد وبعضهم بلا ذمّة ولا ضمير. لا يهمهم دين اللّه بقدر ما تهمهم مذاهبهم وطوائفهم ومعتقداتهم. بل يقاتلون من أجل تأويل الآيات مهما أبت لتعضيد أفكارهم وآرائهم. هؤلاء هم الذين استباحوا دماءنا بما جنت أيدينا وما زالت تنزف ما لم نتحرر من سلطة رجل الدين، فهو الراعي والضرورة للأسف الشديد، ونحن عبيد يسوقنا بعصا الفتوى أينما أقتضت مصالحه. نحن بحاجة لتقويض ثقافة القطيع التي تلقننا الانقياد لرجل الدين وتنظيم العلاقة معه على أسس واعية.

أما الحديث الآخر الذي ذكرته في سؤالك: (من اجتهد بغير علم وأصاب فليتبوأ مقعده من النار)، فأكيد أن الاجتهاد لا يصدق بغير علم، وهو شرطه الأول، لأن معنى الاجتهاد بذل الجهد لاستنباط الحكم الشرعي، فعملية الاستنباط لا تتم لغير العالم، أي من توفرت فيه شروط الاجتهاد كما هي مجمع عليها لديهم، فكيف يقول من اجتهد بغير علم؟. يبدو أن الحديث يضرب على وتر السياسة والتكفير، وإلا ما معنى بغير علم إذا كان مجتهدا؟ أليس إطلاق صفة الاجتهاد تستبطن كونه عالما؟. فالعلم تحصيل

حاصل بالنسبة للمجتهد لعدم صدق صفة الاجتهاد بدون علم. وعليه إذا كانت إصابة الواقع هي ملاك الجزاء (ثوابا وعقابا)، فلماذا يدخل النار إذا أصابت فتواه الواقع؟. ومتى أصبحت المدونات الفقهية ورأي الفقيه شرط في قبول الأعمال يوم القيامة؟.

فالحديث يكرّس بلا شك في أحد أبعاده سلطة الفقيه، ويضطهد الناس حينما يحصر معرفة الدين به. لهذا يتجرأ الفقيه ويصف الناس بالعوام!!. بعد أن يسلب عنهم العلم والمعرفة بالدين. ويسمى من ينقاد لفتاواه بالمقلّد، تشبيها بتقليد القرد لمعلمه. فعلاقة الفرد بالفقيه علاقة تقليد. هو العالم وأنت المقلّد. لا يحق لك التمرد عليه أو مجادلته حتى في البديهيات من علومه، وإلا ستدخل النار إذا قمت بعمل عبادي بدون تقليده!!!!.

بهذا الشكل يزيّف الوعي واستغلال الناس. علما إن فهم الأحكام ليس منحصرا بالمدونة الفقهية كي يطالب الفقيه الناس بالانقياد له، فهناك أحكام صريحة وواضحة في القرآن الكريم تنتفي معها الحاجة للفقيه. وأخرى متفق عليها أو مشهورة لدى جميع المسلمين. فمن صلى بلا تقليد وأصاب الواقع من خلال إيمانه وإخلاصه وأدائه للصلاة بشكل صحيح أسوة بغيره من المصلين، فهل سيرفض الله تعالى صلاته لأنه لم يقلد الفقيه؟؟ متى اشترط الباري تعالى قبول الإعمال بتقليد الفقيه؟ ومتى توقف أي عمل عبادي على تقليده؟.

وقد يراد بالحديث: مَن اجتهد. أي من فكّر، وبذل جهدا لاختيار أحد الاحتمالات في عمل عبادي ما، بمعزل عن الرأي

الفقهي فمصيره إلى النار. ومن باب أولى يكون عمله باطلا ما دام اجتهاده بلا علم. وهذا أيضا ليس صحيحا على إطلاقه، فلماذا يدخل جهنم إذا أصاب الواقع، خاصة عند من يعتبر مطابقة الواقع تمام الملاك في ثواب الإنسان على عمله؟. ثم من يجتهد من أجل إتيان عمله كاملا لله فدليل صدقه، وصدق مشاعره وإخلاصه فلماذا يدخل النار؟.

وهل العبادات حركات رياضية متى ما أخطأ فيها الإنسان يدخل النار؟ للأسف العبادات بنظر الفقيه حركات رياضية وضوابط صارمة، فمتى أخطأ الشخص فيها أو بعضها فعمله باطل!!. الفقيه لا يهمه فلسفة العبادة ومقاصدها وغاياتها وأهدافها، والمهم بالنسبة له ضبط حركات المصلي في صلاته وفقا لفتاواه، سواء أتى بصلاته خاشعا، متعبدا لله أو سواء كان قلبه لاهيا، وعقله في مكان آخر.

العبادة يا سيادة الفقيه حضور بيد الله تعالى، وتجلٍ وشهود يختلي الإنسان خلالها بربه مخلصا صادقا في مشاعره. والخالق جل وعلا سينظر لقلبه ونواياه، وما الركوع والسجود سوى حركات رمزية، هي بالنسبة للمؤمن العارف تجليات رمزية أعمق في دلالتها من الإنحناء والسجود. فكيف يرفض الله عمله إذا جاءه بقلب سليم، مقبلا عليه بكل جوارحه ومشاعره؟. هل حقا سيرفضه جل وعلا؟ هل يعتبر عمله باطلا لأنه لم يلتزم برأي الفقيه واجتهد في عبادته لتحصيل الواقع؟.

من هنا تجد بعض الناس يصرف وقتا طويلا من أجل أداء

صلاته بشكل يطمئن لمطابقتها رأي الفقيه، فقلبه وحواسه يرقبان لسانه كي يلفظ الآيات خوفا من سطوة الله إذا لم يأت بمخارج الحروف بشكلها الصحيح. وشاهدت مجتهدا قد صرف وقتا طويلا حتى أتم وضوءه، وهو مجتهد وأصبح مرجعا تقلده الناس!!.

أما عن الهدف السياسي، فالحديث يعترف باجتهاد هذا الشخص لكنه يشكك في مصادر علمه. أنظر لدقة التعبير: "مَن اجتهد". فهو يعترف إذا باجتهاده، بمعنى بذل الجهد المطلوب وهذا يستبطن العلم بالضرورة، فلماذا يسلب عنه العلم بقوله: "من غير علم"؟.

هنا بالضبط يحتدم الصراع على الحقيقة، فأيهما على حق وأيهما على باطل؟ ما المقصود بالعلم في نظرهم؟ فالقائل بالحديث يريد تخطئة علم الآخر، ويريد أن يقول له: ما بيدك ليس علما، وإن اجتهدت. وستدخل النار وإن أصبت الواقع. لكن لماذا؟ لأن عصر النص والتشريع (أي مصدر العلم الذي هو مدار الأحكام بين الفقهاء) يمتد على رأي الشيعة من عصر الرسول حتى نهاية عصر الأئمة. فاجتهاد المذاهب الأخرى بنظرهم باطل لأن علمهم ناقص، ولا يكفي ما بيدهم من أحاديث عن الرسول بل ينبغي عليهم تقصي ما جاء به أئمة أهل البيت. بينما الطرف الآخر يعتقد ببطلان اجتهاد الشيعي لأنه اعتبر أحاديث أهل البيت حجة كحجية أحاديث الرسول، وهذا باطل عندهم لا يدل عليه دليل صريح من الكتاب أو السنة. فالحديث يعكس مدى الصراع على الحقيقة والأفضلية والشرعية بين الخصمين التاريخيين، وليس أكثر.

وأما الحديث الأخير: "من فسَّر القرآن برأيه وأصاب فليتبوأ مقعده من النار"، فهو حديث موضوع يتنافى مع هدف القرآن الذي هو هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان. هذا الحديث كسابقه يكرّس سلطة المفسر والفقيه ورجل الدين، ويلعب بعقول الناس، حينما يحصر تفسير وفهم آيات الكتاب الحكيم بعدد محدود، هم الصحابة وبعض التابعين لدى الاتجاه الحديثي والسلفي عند السنة. والأئمة خاصة عند الشيعة. هؤلاء الذين يرفضون أي فهم خارج حدود الروايات والتراث وأقوال العلماء المرتكزة للأحاديث والروايات.

هؤلاء يعتقدون أن القرآن لا يفهمه سوى نفر قليل، وينسون أنه بيان للناس، وأنه هدى للعالمين، وأن فهمه متاح لكل من يفهم اللغة العربية بشروطه، ويتصف بثقافة كافية، وحدود من العلم، وخبرة بالبلاغة. لقد قتلوا القرآن بهذا الحديث، ولم يسمحوا للناس الانفتاح عليه إلا من خلال روايات أغلبها موضوع. فلا غرابة أن تجد تفاسيرهم مصفوفة تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، خاصة تيار الغلو، حينما يفسر كل الآيات بأئمة أهل البيت.

دعانا أحدهم في أحد أيام محرم فراح يفسر سورة النور بالحسين بن علي بن أبي طالب على مدى ساعة ونصف حتى جزع الجميع، فلما انتهى حديثه وبّخه صديقي بشكل جعله يلوذ بالصمت، لا ينطق بأي كلمة. إن الغلو وبال على الدين، وقد تسبب في ضياع الحقيقة. وهذا الحديث يكرّس الطائفية والجمود والتحريض ضد المخالفين. القرآن بيان للناس جميعا، وعلى الناس

الانفتاح عليه حينما يتوفرون على عدة معرفية كافية لينهلوا من معينه ويكون مرجعا لتوحيدهم وهدايتهم. إن هجران القرآن وحصر معرفته برجل الدين كان وما يزال أحد أسباب تخلف المسلمين، وترسّخ روح الانقياد فيهم.

نعود لأصل السؤال: "أي من هذه النظريتين تكرّس الوساطة وتلغي حق الإنسان بالتفكير والاختيار؟". اتضح مما تقدم أن الاتجاه الثاني يكرّس التبعية، ويصادر العقل، وحق التفكير، على ضد المنطق القرآني الذي يضع مفاهيمه بين يدي الناس، ويطالبهم بالتفكير المباشر بالخلق وبمصيرهم. فكيف يستقيم التفكير بالخلق ومصير الإنسان مع من يحصر التفسير بنفر من الناس؟؟ ألا يعقلون؟ وكيف يأمرني بالتدبر بآيات الكتاب، وليس من حقي ذلك وفقا لما يقوله خط الغلو؟

التقليد

س46: طارق الكناني: يؤكد علماء الشيعة على ضرورة التقليد، وأن يكون الشيعي مقلدا للفقيه الجامع للشرائط، فهل ورد نص عن الإمام الحجة بوجوب التقليد؟ وماهو رأيك بالتقليد بشكل عام؟ هل التقليد شرط لضمان صحة أعمال الفرد في مجال العبادات والمعاملات؟ وهل يعتبر حالة إيجابية أم التقليد يلغي الفرد، ويحوله الى مجرد شخص تابع لا غير؟ وماهو موقف الاخباريين في قضية التقليد؟

ج46: ماجد الغرباوي: لا يوجد دليل لفظي صريح ينص على وجوب التقليد، وأدلة الفقهاء قاصرة في دلالتها على وجوبه، سواء الآيات التي يستشهدون بها، أو الروايات أو سيرة العقلاء وسيرة المتشرعة، بل وحتى دليل العقل قاصر. العقل لا يقول أكثر من وجوب رجوع الجاهل الى العالم في القضايا التي يشكل إهمالها خطرا على حياته ومستقبله. كالمريض الذي يجب عليه مراجعة الطبيب لإنقاذ حياته من الخطر.

بالنسبة للفرع الأول من السؤال، هل توجد رواية عن المهدي تؤكد وجوب التقليد؟ نعم هكذا أولوا الخبر الآتي: (خرج التوقيع من الناحية المقدسة: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم). الخبر لا يتحدث عن وجوب التقليد، بل يحيل على رواة الحديث فقط، فاستدلوا به ضمن مجموعة أدلة على وجوب التقليد، بعد تساهلهم

في مفهوم رواة الحديث، وقالوا بصدقه على الفقهاء.

التقليد تاريخيا مسألة مستحدثة، ويُعد الشيخ مرتضى الأنصاري (1281هـ)، صاحب كتابي المكاسب والرسائل أول من قال بوجوب التقليد ونظّر له، وكان كتابه صراط النجاة أول رسالة عملية منظَمة في الأحكام الشرعية رغم وجود محاولات سابقة. ثم جاء كتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي (1337هـ)، ليشكل منعطفاً في تاريخ تدوين الرسائل العملية لدى فقهاء الشيعة. فالتقليد بمفهومه الحالي لم يُطرح حتى في كتب الأحكام الشرعية السابقة إلا قبل 200 سنة. وكان الناس بعد وفاة الرسول الكريم يأخذون أحكامهم الشرعية عن طريق الصحابة والتابعين، حتى عصر الفقهاء حيث راح يتوسع الفقه اجتهادا وتعددت مسائله. وكان الشيعة يأخذون أحكامهم عن أئمتهم، مباشرة أو بواسطة أصحابهم. وكانت كتب الأحكام عبارة عن مجموعة روايات مروية عن أئمة أهل البيت، تسمى بالإصول، ثم صدرت كتب جامعة، جمع فيها مؤلفوها روايات الأحكام الواردة في الكتب والأصول في كتاب واحد، مثل: كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (329هـ)، والمقنعة للشيخ المفيد (413هـ)، والنهاية للشيخ الطوسي (460هـ). ولم تتطرق هذه الكتب للتقليد رغم أن بعضهم عدها رسائل عملية، تعبر عن وجهة نظر مؤلفها. والحقيقة أنها كتب روايات لبيان الأحكام الشرعية مع ملاحظات وتعليقات محدودة وقد اشتملت على أكثر من رواية في كل مسألة، لذا تجد التعارض واضحا بين

بعضها، على العكس من الرسائل الفقهية او الرسائل العملية فإنها تختص بآراء الفقيه المستنبطة وفقا لمبانيه الأصولية. وقد تطورت بتطور الفقه الذي راح يتمدد ليشمل كل مناحي الحياة، مستمدا حيويته من تطور أصول الفقه، والعقلية الاجتهادية.

فالمفهوم الذي ينطبق على رجوع الناس للرواة والفقهاء طوال الفترة المنصرمة هو مفهوم الإتّباع أو المتابعة أو الإلتزام برأي الفقيه في مقام العمل. يسأل الراوي وتنتهي علاقته به، وبإمكانه أن يسأل غيره بنفس المسألة أو بمسألة أخرى بدون قيد أو شرط. وهذا لا يصدق عليه مفهوم التقليد الذي بات متعددا في معانيه. فكان الشخص إما أن يلتزم بمفاد الرواية، كما بالنسبة للفترة الأولى، أو يلتزم ويتابع الفقيه في رأيه. كالتزام المريض برأي الطبيب، باعتباره مختصا. أو كالإلتزام صاحب الدعوى بتوصيات المحامي المتخصص في المسائل القانونية. حيث تنتهي علاقة الطبيب والمحامي بانتهاء الاستشارة. اما التقليد المعاصر فيفرض تبعية مطلقة للفقيه في سلوك الفرد، فضلا عن عباداته، مرورا بحدود حريته، يؤكد ذلك المسائل أو الفتاوى الأولى في كتب رسائل الفقهاء، مثل:

- عمل العامي بلا اجتهاد أو احتياط أو تقليد باطل.
- يجب على المكلف تقليد المجتهد الجامع للشرائط.
- يجب تقليد الأعلم من الفقهاء.
- لا يجوز التبعيض في التقليد.

وخلاصة هذه الفتاوى، يجب على المقلد التسليم المطلق للفقيه،

في سلوكه وأفعاله بل وحتى مشاعره، وإلا فعمله باطل ومصيره إلى نار جهنم وبئس القرار. لذا ترى المقلد مكبلا في حياته، لا يخطو خطوة ما لم يضمن عدم مخالفتها لرأي الفقيه الذي يمثل في نظره حكم الإسلام وحكم الله تعالى. والكارثة أدهى بالنسبة لولاية الفقيه التي تجعل للفقيه الولي قيمومة على مقلّديه بل وعموم الشعب ومقاليد البلاد!! مهما كان مستوى هذا الفقيه.

تارة يتصدى الفقيه لمسائل لا يعرف شيئا عن خلفيتها وظروفها، فيجيب بأجوبة تعيق حياة الفرد. يتضح هذا جليا في مسائل وأحكام المغتربين، وفتاوى دار الكفر الذي تقطنه الجاليات المسلمة. فما عليك في هذه الحالة التنازل عن قناعتك وتقلده.

الفقيه يعتبر الناس "عواما"، رغم خشونة الكلمة، وفيهم علماء ومفكرون ومثقفون ومبدعون وأخصائيون، فيقول: يجب على العوام تقليد الفقيه في الأحكام الشرعية.

لقد منح الفقيه نفسه حصانة حديدية من خلال أحاديث وروايات تكرّس سلطته، مثل: (الراد عليهم كالراد علينا، والراد علينا كحد الشرك بالله). وهو خبر ضعيف السند يختص بالقضاء، وقد استدرجه الفقهاء لحمايتهم دينيا. وهذا الحديث بالذات يمنع مساءلة الفقيه، ويكرس روح التبعية والانقياد، ويعفيه عن أي مسؤولية سواء أخطأ أم أصاب في حكمه. بينما علي بن أبي طالب يقول: (فلا تكفوا عني مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ).

كما راهن الفقيه على سذاجة الناس لتحصين موقعه الديني،

فيوحي للآخرين بأن الاجتهاد هبة ولطف إلهي، والمرجعية منصب إلهي، لا تتأتى لكل شخص رغم تعدد المجتهدين. يستدلون لذلك بقوله تعالى: "اللّه أعلم حيث يجعل رسالته". هكذا دائما جواب رجل الدين عندما يُسأل عن مستقبل المرجعية كي يعطي بعدا إلهيا قدسيا لمنصب المرجعية، بل ويؤكد في جوابه على دور وتسديد صاحب الأمر المهدي المنتظر!!. فجوابه شحنة عالية التردد يخشع عند سماعها الإنسان البسيط إلا الواعين والنابهين فهؤلاء ألدّ أعداء رجال الدين. لأن تزوير الحقائق لا ينطلي عليهم.

س47: طارق الكناني: الفقيه يتصرف هكذا لأن الفقه اختصاصه، والمسلم بحاجة للفقيه لمعرفة الأحكام الشرعية، فَلِمَ تعترض على ذلك؟

ج47: ماجد الغرباوي: الفقيه لا يتعامل مع الناس من منطق الاختصاص، ولا يسمح للمقلد أن يتعامل معه كالطبيب أو المحامي. ويعتبر نفسه نائبا للإمام المعصوم وله ما للإمام من صلاحيات تضاهي صلاحيات الرسول المنصوص عليها من السماء!!. الفقيه يعتبر موضوع الفقه أشرف العلوم، فكل ما لدى البشرية من إنجازات عملية تأتي بدرجة متأخرة بعد علم الفقه!!!. والفقه يكون قيّماً عليها، ومحددا لها!!!. هل رأيت نرجسية أكثر من هذه النرجسية؟؟ مع أن استنباط الأحكام الشرعية صنعة ممكنة لكل من توفر على شروطها، فهي تخصص وليس هبة أو لطف وتوفيق من اللّه تعالى، لكنهم يلتفون على وعي الناس

بأساليب مواربة كربط المرجعية بالإمام، أو بإرادة اللّه. "اللّه أعلم حيث يجعل رسالته". والغريب لا أحد من السامعين يعترض ويسأل ما علاقة الآية بالمرجعيات الدينية، وهي تختص بالرسالات السماوية؟ ومنذ متى أصبحت المرجعية الدينية منصبا إلهيّاً؟. المرجعية الدينية منصب فرضته تاريخيا ضرورات مذهبية وطائفية وسياسية وتنظيمية. ثم بمرور الأيام راحت تكرّس روح الانقياد، وتكبّل وعي الناس وإرادتهم. للأسف أصبح وجود المرجعيات الدينية ضرورة لمجتمعات القطيع التي تضربها الفوضى مع غياب رعاتها، حتى خسرنا بسبب الفهم الخاطئ الفقيه الخبير الذي يحترم عقولنا. فكيف نستعيد المعاني السامية للفقيه العالم؟.

ولم يكتفِ الفقيه بنعت الناس بالعوام، بل فرض عليهم التقليد كشرط لصحة أعمالهم، وإلا فأعمالهم وعباداتهم باطلة، غير مقبولة عند اللّه حتى لو أصابت الواقع على بعض الآراء!!. بمعنى آخر، إما أن تعبد اللّه عن طريق الفقيه وإلا فجزاؤك جهنم وبئس المصير!!. هل تلاحظ لغة القمع وكيف يرعبون الناس بخطاب لا يمت للحقيقة بصلة؟. فأحكام اللّه في كتابه بينة واضحة، وتفصيلاتها ليست عسيرة ولا معقدة، إنما عقدتها أقلام الفقهاء، بلا مراعاة للإنسان، فترى رسائلهم العملية حقل ألغام، لا تهرب من محرّم حتى تقع في احتياط وجوبيا أشد على الإنسان، وحتى لو يتساهل معك يفرض عليك احتياطا استحبابيا. علما أن بعض مسائل رسائلهم لا علاقة لها بالواقع بل هي افتراضية، كما لو تنجس سقف الغرفة بدخان زيت نجس فكيف نطهره!!.

في سنة 1986 قصدت حج بيت الله الحرام، ملتزما في مناسكي برأي أحد الفقهاء، فعجزت عن الطواف، وقد مضت أربع ساعات بلغت حد البكاء، فكلما أطوف وفقا لمناسك الحج يقع طوافي باطلا، فرآني أحد الأصدقاء وقد تأخرت عن جماعتي، فسألني ما بك؟ قلت له: لا أعرف كيف أطوف ومنذ أربعة ساعات حاولت عشرات المرات لكنها وقعت باطلة وفقا لمناسك الحج. فقال: اترك كتاب المناسك وتعال معي، فأخذ بيدي وطفت بشكل سريع مريح، فتعجبت، وسألته ما الأمر قال هؤلاء يكتبون مناسك الحج وهم لم يحجوا، ولم يعرفوا شيئا عن طبيعة الحج حاليا. وأما إذا وقعت قطرة بول على فراشك، هذه المادة المشعة بنظرهم!!، فأنت رجل إذا استطعت تطهير فراشك وفقا لأحكام الفقهاء ما لم تصرف من وقتك وجهدك الكثير!!. وتارة فتاواهم غير واقعية، لا تمثل الدين والعقل، سأل شخص أحد الفقهاء عن حكم مدينة كستها الثلوج وقد وطأها كلب فهل تتنجس جميع شوارعها بنجاسة الكلب؟ فأجابه نعم تتنجس جميعها!!!!. هذا الفقيه أجاب وفقا لموازينه التي قسمت الماء إلى قليل وكثير، وقليله ينفعل بالنجاسة، وبما أن الثلج قطعة واحدة مهما بلغت مساحته، فهو ماء قليل ينفعل بنجاسة الكلب. لكن لماذا يجعل من قواعد أصولية بشرية سلطة يتنازل معها عن عقله؟ ولماذا لم يسأل نفسه عن كيفية سريان نجاسة الكلب إلى جميع شوارع المدينة؟؟ إن هذا الفقيه بهذه العقلية والوعي يستطيع تحريك جموع الناس نحو الموت، فينقادون لله تعالى بالانقياد له. لا أدري

متى تفيق العقول من سباتها، وتدرك الحقيقة بنفسها، لتكتشف أنها أسيرة عقليات مغلقة، لا تمثل شيئا من الإسلام وسماحته ورحمته. هل نجاسة الكلب مادة مشعة تنتشر بهذه السرعة، أم أن الانفعال بالنجاسة محدود ببقعة صغيرة؟.

بهذه الأحكام يجب عليك التنازل عن عقلك وتقلّد الفقيه، الذي يحكم بعقل القرن الأول الهجري!!!. قارن بين محرمات كتب الفقه لدى المسلمين قاطبة وبين محرمات الكتاب، يقول تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

س48: طارق الكناني: لا أعرف كيف استدل الفقهاء على نجاسة الكلب!!! وهذا ليس موضوعنا ولكن الذي عرفته من قولك انفا أنت ضد تقليد الفقهاء مطلقا وتريد اقامة علاقة متوازنة بين الفقيه والناس بعيدا عن التبعية والانقياد برأيك لو حدثت مثل هذه العلاقة هل سيكون للفقيه مكانة اجتماعية كما هي الآن؟

ج48: ماجد الغرباوي: التقليد مفهوم سلبي، فيه قدر كبير من الاستهانة، عندما يتمادى الفقيه في تشريع الأحكام لتشمل كل شيء، رغم محدوديتها قرآنيا، فترى الرسائل العملية تتسع مع كل طبعة، حتى بلغت رسالة السيد محمد حسين فضل الله أربعة مجلدات كبيرة!!!.

لست ضد الاعتماد على الفقهاء في معرفة الأحكام الشرعية،

لكن أدعو لعلاقة متوازنة لا تصادر عقل الفرد وقيمته الإنسانية. وأطمح أن تكون العلاقة بمرجع التقليد كعلاقة الناس برواة الحديث في القرون الأولى، وكعلاقة المريض بالطبيب، وعلاقة صاحب الدعوى بالمحامي، تنتهي بانتهاء الاستشارة الفقهية بالنسبة لرواة الحديث، وانتهاء العلاج بالنسبة للطبيب، وانتهاء الدعوى بالنسبة للمحامي. وانتهاء علاقة السائل بالمسؤول بالنسبة للفقيه. أما قبول الأعمال فمنوط بالله تعالى لا برضى الفقيه وعدم رضاه، ولا يحق للفقيه أن يكفّر أحدا لمجرد مخالفته لرأيه أو فتواه.

الفقه راح يشرّع لكل صغيرة وكبيرة حداً تخلى فيه الإنسان عن علاقته وإرادته، وراح الفقيه يقوده كالأعمى حتى عند دخوله الحمام، فيفرض عليه أن يفتح ساقه الأيسر وهو يقضي حاجته، وأن.. وأن... إنها لكارثة أن يعتقد الفقيه بجهل الناس حداً يعجزون فيه عن قضاء حاجتهم بشكل صحيح دون الأخذ برأيه. وهناك تفصيلات أدهى تختزل الإنسان إلى كائن معاق، يحتاج الفقيه في كل حركاته وسكناته، يحصي عليه أنفاسه، يوبّخه إذا تمادى في فرحه. يريده كئيبا، متشائما، يبحث عن منقذ ينتشله من حيرته، وراع يقوده. فمثلا يطالبك الفقيه أن تستغفر سبع مرات إذا ضحكت!!!! لا أدري أي جريمة يقترف الإنسان حينما ينشرح ويضحك؟ وأي إله تستفزه ضحكاته حداً لا يهدأ غضبه ما لم يستغفر سبع مرات!! وأين ذهبت رحمته وعفوه؟. الفقيه يحتاجك خائفا، مرعوبا، أعمى، مستسلما كي يتولى قيادتك. كم أتألم عندما أرى بعضهم مشلولا، معاقا، ينتظر رأي الفقيه في كل

شيء!!. دائم القلق يخشى مخالفته في أعماله الحياتية كلها.

الفقيه يتعامل مع المرأة عورة، كائنا غريزيا تنزلق لأدنى إغراء فيقمعها في فتاواه حد الانسحاق، ويحملها مسؤولية خطأ الرجال. أتمنى الاطلاع على آراء الفقهاء بالمرأة من خلال مختلف كتبهم وفتاواهم، لترى فجيعة الإنسانية في عقولهم، وكيف يقمعها وينتقم منها خوفا من إغرائها أو انحرافها، وعندما يجلس بين فخذيها يتحول إلى طفل لعوب يلعق بضعِها وينسى كل فتاواه ووصاياه للناس عندما يحذرهم منها، بل ويناقش بلا خجل جواز زواج أو تفخيذ الرضيعة!!. لكن المؤلم رضا بعض النساء من منطلق ديني، فترضى أنها ناقصة العقل، تحتاج لقيم ومدبر، ويحق للزوج اضطهادها بأكثر من زوجة، بل هي مملوكة له، وجارية يستمتع بها وتسهر على خدمته طواعية.

والفقيه لا يثق بإيمان المقلد وقدرته على التمييز بين الصحيح والخطأ فيحرّم عليه مثلا اقتناء وقراءة كتب الضلال. ويقصد بها جميع الكتب غير الدينية التي يحتمل ولو بنسبة ضئيلة أنها تؤثر على إيمان الإنسان. فيجب على المقلد أن يكون أحادي الثقافة والفكر كي يحافظ على إيمانه وتدينه!!. الفقيه لا يدرك أن الثقافة الأحادية خائفة، ضعيفة، مرعوبة، تكرّس التعصب والانغلاق ورفض الآخر وتكفيره. هو لا يدرك أهمية ما يسميه بكتب الضلال، ولا يشعر بقيمة المنجزات الفكرية ومدى مساهمتها في تطوير العقل. كتب الضلال تمثل تجربة بشرية غنية، ومقاطعتها تخلق فجوة حضارية هائلة تجعل المؤمن يتوارى في

غياهب القرون بحثا عن ملاذ يقيه كتب الضلال. إن فتوى حرمة اقتناء كتب الضلال دليل على ضعف المتبنيات الفكرية والعقيدية لمذهب الفقيه. العقيدة الصحيحة لا تخشى الشكوك والاستفهامات، ولا تهاب النقد والمراجعة، وقد استعرض القرآن الكريم شبهات الكفار والمشركين بكل رحابة صدر وتصدى للرد عليها من موقع القوة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فلماذا يفتي الفقيه بحرمة اقتناء ما يسميها بكتب الضلال؟ من يفتي بحرمة كتب الضلال عليه مراجعة متبنياته الفكرية والعقيدية ويتأكد من قدرتها على تحدي الإشكالات والأسئلة المصيرية.

أنا ضد التقليد الذي يستبطن قيمومة رجل الدين على الآخرين. نحن بحاجة الى متخصص في الفقه الإسلامي ولسنا بحاجة لقيّم يصادر عقولنا، ويحدد مواقفنا، ويتحكم بإرادتنا ويفرض علينا وصاياه في جميع المجالات، سواء كانت اختصاصه أم لا. كم اتعجب من الفقيه والمفكر الكبير محمد باقر الصدر عندما يجعل الأحكام الشرعية خمسة باضافة الإباحة، تلك المساحة التي وقاك اللّه فيها شر فخاخ الفقيه، فيقول: حتى الإباحة هي حكم شرعي، مجعول. بمعنى حتى حريتك مجعولة بحكم شرعي، وقد يصادرك الفقيه حريتك بحكم شرعي آخر. فليس من حقك التصرف بمفردك. إنك لا تُدرك مصالحك بنفسك. إنك مقلد، يقودك الفقيه القابع في القرون الأولى حيث دارت بوصلته الفقهية والطائفية!!. وهذا فهم متعسف للإنسان ورسالته في الحياة، فيبدو في نظر الفقهاء مخلوقا للامتحان والفتنة، وقد وضع اللّه مسؤولية

توجيهه بيد الفقيه، وحذّره نار حامية إذا خالفه!!.

فأي رعب أكثر من هذا الرعب؟. المشكلة أن الناس أدمنوا الانقياد والتبعية!!. كم سعداء الغرب حينما أغلقوا باب الكنائس على رجال دينهم وانطلقوا في الحياة الدنيا، وإلا لبقوا، كما كانوا، في جدل عقيم عن عدد الملائكة، وجنسها، وعدد الشياطين على كل شعرة من لحيتك. لكنهم أدركوا أين الخلل، وعرفوا كيفية معالجته، ونجحوا في الحياة وأعادوا للدين روحه ورسالته التي خسرناها وسنبقى نخسرها بسبب رجال الدين وخصوصا الفقهاء، ما لم نعيد فهم دورهم وعلاقتنا بهم.

لكن ماذا نفعل لمجتمع القطيع الذي يرفض الحرية والتحرر والانعتاق؟. وكيف نُقنع من يعتقد أن طريق الله يمر عبر رجل الدين والفقيه؟. وماذا نقول للجاهل الذي يعتقد بقدسية الفقيه وعلمه حداً يتنازل فيه عن عقله وإرادته وتقرير مصيره فلا يتخذ موقفا دونه؟.

لا شيء في الحياة يتوقف على رجل الدين، فكل كفوء بامكانه قيادة الجماهير، وكل متخصص بالفقه يمكنه معرفة الحكم الشرعي، وكل إنسان عادل خبير بأحكام الشريعة والقضاء بإمكانه التصدي للقضاء. وكل مؤمن ملتزم يمكنه التقدّم لإمامة صلاة الجماعة والعيدين والجمعة، وكل شخص بإمكانه التصرف بزكاة ماله وإيصالها الى المستحقين. وكلا من الزوجين بإمكانه إجراء عقد الزواج مع الطرف الآخر مباشرة. فلم يسند الإسلام لرجل الدين أي مسؤولية، بل اتهمهم بأكل مال الناس (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ

أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ).

ثـم طاعـة النـاس لأولـي الأمـر طاعـة لله تعـالى، فهـي طاعـة مشروطة وليست مطلقة كطاعة الله ورسوله (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). فيبقى الله ورسوله فيصل في النزاع، وتكون الطاعة لهما وليس لأولي الأمر. وبالتالي فولاية أولي الأمر، مرنة تحتمل النزاع والخلاف، وتختص في القضايا الإدارية والتنظيمية، فهي صلاحيات للمحافظة على النظام العام وإدارة شؤون الدولة والمجتمع. فـ (أولي الأمر منكم) لا تستبطن شرط الفقاهة إطلاقا كي تتعدى للفقيه، ويستمد منها سلطته ويفرض علينا طاعته والانقياد له. فهناك اختلاف جوهري بين ولاية أولي الأمر وولاية الفقيه. ولاية الفقيه قيمومة وتدبير، تسلبك إرادتك، وتفرض عليك طاعة مطلقة للفقيه، غير مشروطة كأولي الأمر. فاحتمال التنازع مع الفقيه غير وارد إطلاقا، بينما القرآن يمنح مساحة للاختلاف رغم أنهم أولو الأمر، وطاعتهم ضرورية لضبط النظام وإدارة شؤون المسلمين، خاصة أمراء الحرب زمن الرسول.

فإذا كانت هناك مسؤولية دينية على رجل الدين فتنحصر بتبليغ الرسالة وإرشاد الناس، وتعليمهم مبادئ وأحكام الإسلام. لكن الأمر خرج عن السيطرة، وتعددت صلاحيات رجل الدين، وأصبحت مرجعيته جزءا لا يتجزأ من كينونة المسلمين. وصار المسؤول الأول عنهم وعن أموالهم ومستقبلهم، بل هو أولى بها منهم

قياسا على ولاية الرسول (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم).

بل حتى الأحكام الشرعية لست ملزما بتقليد فقيه واحد فيها، ويمكنك التبعيض، فتقلّد أكثر من فقيه. كما أن شرط الأعلمية في التقليد أداة قمع لربط المكلف بدائرة الفقيه المرجع دون غيره. اليوم بات التقليد لا معنى له، وشرط الأعلمية تعسف، فمسائل الفقه واحدة، ولا تجد جديدا لدى الفقهاء، بل الفقه برمته بات علما محترقا لا يجدد نفسه، بعد أن استنفد كل أغراضه. بل الغريب قبل أن يصبح الفقيه مرجعا لا يشترط تقليد الأعلم، لكنه يشترطه حال تفرّده بالمرجعية. بل ولا يسمح لك بتقليد الميت إبتداء، حتى لو كان أعلم من الإحياء!!، لماذا لا يسمح بذلك خاصة مع تطابق الفتوى؟. أنه سؤال مشروع ومبرر جدا، سيفتح لك آفاق البصيرة لتكتشف بنفسك الغايات الحقيقية من وراء التقليد، فهو ليس مجرد التزام بفتاوى الفقيه، بل هو انقياد مطلق له. وسر الانقياد يبدأ من تقليده خاصة، فيشترط عليك تقليد الأعلم من الفقهاء، ويقصد هو دون غيره.

تقليد المجتهد الميت إبتداء يحررك من سلطة الفقيه الحي سوى الأحكام الشرعية، وهذا يرفضه الفقيه، فلا يسمح لك بتقليده إبتداء، لأنك وقوده، ونواة سلطته، ويده الضاربة، ومصادر ثروته، وأساس مرجعيته حينما تمتد بواسطتك.

أعود للسؤال: لا شك أن العلاقة المتوازنة مع الفقيه ستؤسس لوشائج مبنية على الإحترام والثقة. وهذا ليس مستحيلا، بل ممكنا مع خطة مدروسة لتثقيف الناس على فهم جديد لرجل

الدين والفقيه والمرجع، كي يعي الفرد مسؤولياته بدقة، ويتعامل معهم وفقها، ولا يفقد زمام إرادته وعقله. والأهم سوف نربح إرادة الشعب بعد تحريرها من التبعية والانقياد لرجل الدين، تلك التبعية التي كلفت المسلمين دماء زكية. ينبغي للناس أن تفهم أن المرجع كأي شخص تتحكم به مصالحه الآيديولوجية ولا يتورع بالإفتاء وفقها، ووفقا لمشاعره الطائفية بشتى التبريرات، ما دام يعتقد أنه على حق مطلقا وخصمه على باطل مطلقا.

س49: طارق الكناني: هل توجد ملازمة بين الفقه والكفاءة؟ يعني هل بالضرورة أن كل فقيه هو كفوء بامكانه التصدي لقضايا الناس والمجتمع والسلطة؟

ج49: ماجد الغرباوي: لا ملازمة بين الفقه والكفاءة، وليس كل فقيه كفوءا وقائدا بالضرورة، وليس للفقيه سلطة فوقية تتحكم بإرادة الناس سياسيا، ولم يجعله الله وليا وقيّما، ولم يفرض له سلطة تتحكم بشؤون البلاد والعباد. ويبقى دوره دور متخصص في الشأن الفقهي وهو دور محترم لا جدال فيه، وحاجة ماسة لمعرفة الأحكام الشرعية. اليوم رجل الدين بشكل عام والفقيه بشكل خاص يؤثر في جميع المعادلات السياسية، ويلجأ له السياسيون لحمايتهم ودعمهم. وبات الناس يتمردون على القانون والدستور بانتظار كلمة مرجعهم الديني وقراره النهائي في كل مفردات السياسية. فكيف نأمل في قيام مجتمع مدني والشعب موزّع الولاء بين عدد من رجال الدين من جميع الديانات والمذاهب؟.

هذه هي تداعيات التقليد ومخاطره الجسيمة؟.

فكيف يعزز التقليد مكانة الإنسان كما جاء في السؤال والفقيه يصادر عقله حينما يقول: المكلّف إما مجتهد أو محتاط أو مقلد. وبما أنك ملقد ينبغي لك كي تضمن مرضاة الله أن تطيع الفقيه في كل شيء، حتى إذا كان رأيه مخالفا لكتاب الله وخُلق الإسلام الحنيف!!. فكم من فقيه ألّب المسلمين على بعضهم؟ وكم من فتوى سفكت دماء بريئة باسم التقليد؟ وكم حجم الكراهية التي ولدتها فتاوى الفقهاء شيعة وسنة؟ حتى مشاعرك يتولى الفقيه مسؤولية توجيهها. فأنت إما أن تقلد الفقيه في كل شيء أو ينتظرك جبار السماوات والأرض لينتقم منك لأنك لم تلتزم برأي الفقيه حينما أحدثت في صلاتك، بينما سيدخلك جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، لأنك التزمت بفتوى الفقيه وتماديت في سفك دماء المسلمين ظلما وعدوانا، لا لشيء فقط لأن الفقيه أمرك بذلك. بل سيكون لك رضوان من الله إذا تعبأت ضد خصومه السياسين، والمذهبيين. فكرهتهم، تبرأت منهم، حقدت عليهم، وحرّمت طعامهم ومجالستهم، كتعبير عن الولاء والحب لأهل البيت!!.

أي مأساة يعيشها المسلمون في ظل نظام ديني مقيت؟ من المسؤول عن كل ما جرى في تاريخنا سوى فقهاء السلطان والجهل والسوء؟. من الذي حوّل مجتمعاتنا إلى مجتمعات قطيع لولا مستبد من ورائه رجل دين يشرعن سلوكه ويبرر تصرفاته؟

يمكنك الاعتراض على الطبيب ضمن ثقافتك الصحية العامة، لكنك لا تستطيع الاعتراض على الفقيه لأنك أمي أمام علمه

واجتهاده، بل ولا يمكنك الاعتراض على رأيه مهما كان مخالفا لروح الدين والقرآن الكريم. الطبيب يعالج مرضك وتعود سالما، والفقيه يلاحقك ويحصي عليك أنفاسك ضمن مسطرته الفقهية وإلا فمصيرك النار وبئس المصير.

إنها كارثة الوعي حينما يرتبط الإنسان بالفقيه ارتباط القرد بمعلمه فيقلده في كل شيء، ويتنازل عن عقله بحجة رضا الله تعالى. إن أحكام الله بيّنة، لا تحتاج من الفقيه سوى تفصيلات بسيطة ثم تنتهي العلاقة به، ليعود الدستور والقانون حاكما من أجل دولة مدنية تحترم الأديان ومشاعر الناس وتحفظ حقوقهم بلا تمييز ديني او طائفي.

س50: طارق الكناني: أنا أيضا أرى هذه العلاقة شاذة بين المرجع الديني والناس فلماذا لايصار إلى دعوة لتنظيم هذه العلاقة بشكل بعيد عن التبعية ولو ان اعتقادي جازما ان رجل الدين لن يرضى؟ وهل هناك دعوات سابقة بهذا الاتجاه؟. وأساسا ماذا تقترح أنت بهذا الشأن؟

ج50: ماجد الغرباوي: ادعو صراحة لاعادة فهم الدين في ضوء القرآن الكريم والعقل وفي إطار متطلبات الزمان والمكان، والاستفادة من معطيات العلوم والكشوفات وما أنجز على صعيد علم الكلام الجديد، ومقارنة الأديان وأخر ما توصلت له الحضارة الإنسانية. واتطلع إلى تشيع عقلاني بعيدا عن الخرافات.

وادعو إلى اعادة النظر في علاقة الناس بالفقيه ورجل الدين

وكافة المؤسسات الدينية كي تكون أكثر توازنا، وتفتح لهم آفاقا تعمق عندهم الثقة بالنفس، وتفجر طاقتهم وابداعاتهم. الفقيه خبير متخصص بأحكام الشريعة، وطاعته لا تتعدى هذه الحدود، فلا ولاية له على الآخرين، ولا قيمومة تصادر كرامتهم، ولا يحق له تكفير أحد، مهما خالف فتاواه، أما صريح الأحكام فموكل أمرها لله تعالى وهو أعرف كيف يجازيه. وما لم يرد فيها نص قرآني فمن الأولى، لأنها تبقى أحكاما ظاهرية، ووجهات نظر فقهية، واجتهادات شخصية، لا نجزم بمطابقتها للواقع وحكم الله تعالى، فبأي موجب يكفّر من يخالفها.

المرجعية الدينية، في المذاهب والأديان، منصب اجتماعي - سياسي قبل أن يكون مقاما دينيا، فرضته روح الانقياد والعبودية في مجتمعات القطيع. والإنسان ليس معتوها أو معاقا كي يوجه الفقيه جميع حركاته وسكناته بدعوى أنها أحكام شرعية. ولو كان الإنسان كما يتصور الفقهاء فكيف حقق كل هذه الانجازات الكبيرة؟. من المخجل أن يتعامل الفقيه مع الفرد معاملة الاطفال فيعلمه كيف يقضي حاجته؟ والغريب أن بعضهم يستدل بهذا على كمال الشريعة وشمولها لكل مناحي الحياة!!. بل ويفتخر بها بغض النظر عن كل تداعياتها. بعض الناس أدمن الإنقياد والتبعية. وهؤلاء هم وقود الحروب والمطاحنات الطائفية، فهم أداة رجل الدين التي ينتقم بها من عدوه، ويقمع معارضيه.

ادعو الفقيه لاحترام من كرّمه الله تعالى حينما قال وكرمنا بني آدم، وادعوه أن يتذكر إنما يخاطب خليفة الله وليس قردا

نصّب نفسه معلما عليه. وأرجو أن يكون الفقهاء أكثر تقوى عندما يخوضون بدماء الناس ومصائرهم. وأكثر إنسانية حينما يستغلون إخلاص الناس وصدق نواياهم.

الإنسان رهان اللّه، فكيف يصادر الفقيه حريته؟. لقد ورث الإنسان المتحرر من سلطة الفقيه الأرض وبنى حضارة تتحدى، والفقيه مازال يلاحق الآخرين ويحاسبهم على كل شي، حتى الريح التي تخرج من أدبارهم يجب أن تخضع لإرادته؟.

الفقيه يتصرف بأموال الناس كأنها ملك خصّه اللّه بها، ويترك أفواه الجياع فاغرة تشكو الى ربها ألم الجوع والحرمان. متى فرض اللّه للفقيه حق جباية الأموال والتصرف بها؟.

ما قام به فقهاء المسلمين عبر التاريخ يعد جريمة طوقت رَقَبَة الإنسان وصيرت منه معتوها، مرتبكا، مقموعا في داخله، لا همّ له سوى رضا الفقيه في فتاواه. إن أحكام اللّه واضحة بينة معدودة بينما راح الفقيه يستعين بكل صنعة لابتكار مبادئ وقواعد يستنبط منها مزيدا من الإحكام، أصفادا يكبل بها إرادة الإنسان والمجتمع بل وحتى السلطة والحكم. فأدعو الفقيه إلى إعادة النظر بكل ما أسسه من أجل قمع الإنسان باسم الحكم الشرعي وفتاوى الفقهاء، وأحذّره إن يوم القيامة لعظيم، وقفوهم إنهم مسؤولون. وسوف لن يشفع له أحد وهو يتحيز لعقيدته وطائفته خلال استنباطه للأحكام الشرعية. والويل له إذا انساق وراء عاطفته وتخندقاته السياسية.

لو كان مصير الإنسان يتوقف على فتاوى وأحكام الفقيه لبادر

الكتاب الحكيم لبيانها بخطاب صريح واضح، لأنه تبيان لكل شيء، لكنه لم يفعل. اللّه لا يترك أحكامه لعبة تتقاذفها أهواء الفقهاء ومصالحهم الآيديولوجية والطائفية. ولا يسمح لأحد أن يوظفها لشرعنة الاستبداد والدكتاتورية واحتقار الإنسان. ألا يكفيكم صحة ما أقول هذا الاختلاف الكبير بين فتاوى الفقهاء من جميع المذاهب الإسلامية؟ فمتى اختلف حكم اللّه وهو الخبير العليم؟. وكيف طوقوا الإنسان بهذا العدد الهائل من الاحكام؟.

أتمنى أن يتحرر المسلمون من سلطة الفقيه وتراث عفى عليه الزمن الطويل، وأن يتسلحوا بالعلم والمعرفة ومنطق العقل ويتمسكوا بمبادئ الدين الحنيف وقيم الإنسان والأخلاق. ومعرفة اللّه وتمتين العلاقة به لتشدو الروح وتتعانق مع تجلياته، وليست هي أحكام شرعية تستنبطها أداة الفقيه الأصولية.

متى يتحلى المسلم بالشجاعة والجرأة، ويحاكم الأشياء بمنطق العقل والقرآن الكريم والعدل والإحسان؟. ومتى يتخلى عن تقديس رجل الدين والعمامة والتراث؟ ومتى يكف عن الانقياد الاعمى والتنازل عن عقله وإرادته؟

متى جعل اللّه الفقهاء حجة عليك كي ترتهن عقلك وإرادتك وموقفك لفتاواه السياسية والطائفية. وبأي دليل تقدّسه حداً تفرضه سلطة بلا حدود فيتصرف بك كما يشاء، فتنصاع له ذليلا صاغرا، وتسلمه أموالك كأنك وضعتها بيد اللّه. متى يشعر المسلمون بالمسؤولية ويسألون أين تذهب كل هذه الأموال؟ ولماذا كل هؤلاء الجياع؟ لماذا لا تستفز حياة رجال الدين المترفة الناس

الطيبين؟ ولماذا لم يتصدوا لمحاسبتهم؟ متى خصهم الله بأموال الفقراء والمساكين؟ ولماذا ينقاد الناس للموت وقتل الآخرين طاعة لرجل الدين؟ ألا يكفي ما حل بالمسلمين بسبب فتاواهم وعدوانيتهم وتحريضهم المستمر؟. متى يرتبط الناس بالله مباشرة بلا وسائط وشفعاء؟. الإيمان تجربة روحية يعيشها الإنسان في قلبه وروحه ومشاعره ووجدانه بعيدا عن الفقه وتعقيداته، حالة تطرأ في كل وقت، فينتقل من عالم الدنيا إلى عالم الروح ليعيش لحظة الوجد والتجلي، ويغدو قلبه طافحا بالحب والعشق الإلهي.

المدونات الفقهية لا تعلمك الإيمان بل تجعل من العبادات حركات رياضية منضبطة، تحرمك لذة العبادة من أجل الإتيان بكل حركة وفقا لفتاوى الفقيه المجردة من نفحات الإيمان.

س51: طارق الكناني: تريد أن تقول بأن الإخباريين هم أصحاب الطريقة المثلى من الشيعة لأنهم التزموا بالحديث الوارد عن الناحية المقدسة واكتفوا بالرجوع للفقهاء عند الحاجة وغير مقلدين؟

ج51: ماجد الغرباوي: لا لم أقل هذا. الإخباريون يقولون بالتقليد إسوة بغيرهم، بل ويجيزون تقليد الميت إبتداء. ويعتقدون بصحة جميع الكتب الروائية، مثلهم مثل أهل السنة وأهل الحديث خاصة، في صحة كتب الصحاح، ولا يجيزون تفسير القرآن دون الرجوع للروايات. فهؤلاء يسجنونك داخل زنزانة القرون الهجرية الأولى، فتخسر حاضرك ومستقبلك!! بمعنى أنك ستلغي كل ما أنجزته البشرية لعيون الإخبارين وتبقى رهن الآراء المغالية لصحابة

الأئمة. وما زال الإخباريون يقلدون الشيخ يوسف البحراني، صاحب كتاب الحدائق، المعروف في غلوه وتطرفه في الحقد على خصومه المذهبيين، فلا يتورع في تكفيرهم، فضلا عن مصادرة حقوقهم، وحقهم في الاختلاف، الملازم للاجتهاد مطلقا حتى في باب العقائد، فليست هناك نصوص قرآنية تصلح لتكون مرجعية نهائية تنهي الخلاف بين الأطراف المتنازعة على الشرعية.

الخط الإخباري حاضنة ملائمة لنمو الغلو الشيعي وانتعاشه. واليها تنسب جميع الخرافات التي دخلت العقيدة الشيعية، وهي وراء رثاثة الوعي وروح التبعية والانقياد الأعمى المقيت. لقد عانى الأصوليون الشيعة من الإخباريين، وبذلوا جهودا كبير حتى استردوا المرجعية الدينية من أيديهم، حيث استولى الإخباريون لمدة قرنين على مفاصل المرجعية الدينية الشيعية، وهي الفترة التي شهدت صدور كتب الغلو وعلى رأسها كتاب البحار، ذلك الكتاب الذي يعد وبالا على التشيع والوعي الديني. الكتاب الحقود المترع بالكراهية والحقد والتحريض ضد الآخر، الكتاب الزاخر بالخرافات والأقاويل والأكاذيب، الكتاب الذي جمع تراثا عمد الشيخ المفيد حرقه واتلافه قبل صدور البحار بـ 500 عام، فاستعادها المجلسي لخدمة أهدافه التي تصب في صالح الدولة الصفوية. يكفي صاحب البحار خجلا من مقدمة كتابه زاد المعاد التي يتزلف فيها لسلطان ظالم عدو لله ولرسوله، لا لشيء فقط لأنه تبنى المذهب الشيعي لغاية في نفسه، وفسح المجال لغلاة الشيعة ينشرون غلوهم بالأئمة، ويمارسون طقوسا بعيدة كل البعد

عن روح الإسلام وقيم السماء، كطقوس مراسم عاشوراء. يكفي الغلاة خزيا أن يستدرجهم الشاه الصفوي لممارسة طقوس من أجل تعبئتهم نفسيا ضد السنة ومشيخة الإسلام في تركيا. كان الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية صراعا سياسيا على السلطة فراح كل طرف يعبىء مذهبا دينيا ضد الآخر، فعبأ السلطان العثماني مشيخة الإسلام وأتباع المذاهب السنية، وفي المقابل خدع الصفويون علماء الشيعة باعتناقهم للمذهب الشيعي، فجندوا طاقاتهم واستغلوا فسحة الحرية وراحوا يستعيدون غثاء الفكر الشيعي المغالي لتعبئة الناس ضد المذاهب الأخرى. وبدلا من الاستفادة من إمكانيات الدولة الصفوية لتطوير الشيعة علميا وحضاريا، شغلوا أنفسهم بطقوس وثقافة مغالية، كرسوا لها كل جهودهم وطاقاتهم، بل أن الشيخ الكركي شرعن سلطة الصفويين باعتباره صاحب الولاية الشرعية، وجعل منهم حماة شرعيين للمذهب الشيعي، بعد أن أجاز لهم ممارسة السلطة. وهذا يكشف عن سذاجة بعض علماء الشيعة، لذا رفض المقدس الأردبيلي والشيخ القطيفي من كبار الشيعة زيارة ايران، فضلا عن مباركة الشاه الصفوي أو منحه صفة شرعية.

هكذا تعلو الطائفية فتضمحل قيم الدين الحنيف، لقد كان موقف علماء الشيعة المعاضد لسلطة الشاه الصفوي نقطة سوداء في تاريخ التشيع، بل أن تداعيات العلاقة أضرّت بالمذهب الشيعي وشوهت معالمه على صعيد العقيدة والطقوس الدينية، وكشفت عن وعي مترهل لا يميز بين المبادئ والمصالح.

رسائل العلماء

س52: طارق الكناني: عند مراجعة الرسائل العملية للفقهاء تجدها متشابهة، كأنها نسخة طبق الأصل، بعضها عن بعض، ففي عقد التسعينات من القرن الماضي وبعد اغتيال محمد صادق الصدر تصدى أحدهم للمرجعية فأهداني رسالته العملية موقعة بقلمه رغم أني دفعت ثمنها. وعندما قراءتها وجدتها نسخة طبق الأصل عن رسالة جده حتى على مستوى الخطأ الإملائي والفارزة، أي بمعنى أننا لا نجد جديدا فيما يطرحه الفقهاء، فما الفائدة التي يرجوها المقلد من هذا المرجع أو ذاك طالما هناك رسائل عملية موجودة في المكتبات ويمكنه الرجوع اليها عند الحاجة؟

ج52: ماجد الغرباوي: نعم هذه حالة تتكرر، يقال إن أحدهم أراد إشهار مرجعيته من خلال إصدار رسالة عملية تمثل آراءه الفقهية حول جميع المسائل الشرعية. فانتزع غلاف رسالة عملية لأحد العلماء الأموات وطلب من أحد طلابه إرسالها للطباعة، بعد أن زينها بغلاف جديد دوّن عليه اسمه وألقابه العلمية الكبيرة. فاعترض الطالب بأن صاحب الرسالة الحقيقي يحيل في رسالته على كتبه الأخرى وهي كتب معروفة وهذه فضيحة، فأجابه الأستاذ: (إشكالي نيست، مردم خر است) أي: لا إشكال، فالناس حمير!!. نعم بعضهم يراهن على غباء الناس، لكنهم نادرون جدا، وسرعان ما تتلاشى جهودهم ما لم يتوفروا على شروط التصدي للمرجعية، وأهمها أن يكون مشهودا له بالفضل

والاجتهاد. رغم أن العلم والاجتهاد ليس العامل الوحيد في صدقيته، فكم من مجتهد كبير لم يستطع التصدي للمرجعية، باستثناء السيد محمد باقر الصدر الذي لعبت شخصيته العلمية دورا كبيرا في نجاح مرجعيته، غير أنها بقيت محدودة، مقتصرة على الواعين من الناس، فكان تمردا صارخا على المألوف والمتعارف في تصدي المرجعيات الدينية. أما المرجعيات السنية فالحكومات تتولى تعينها.

المرجعية الشيعية منصب كبير، تحسب له الحكومات كإيران والعراق حسابات كثيرة، ويشترط في المتصدي لها من المجتهدين أن يشهد له الوسط العلمي بالأعلمية وهذا أمر صعب جدا، لذا ثمة عوامل أخرى تتدخل في تنصيب المرجع الأعلى للطائفة الشيعية. فمثلا، لم تُحسم مرجعية السيد محسن الحكيم (1889 -1970) لو لم يبرق له شاه إيران مهنئا، وذلك لوجود من هو أعلم وأجدر بها وهو الشيخ حسين الحلي أستاذ الفقهاء في حينه. والسيد علي السيستاني المرجع الأعلى الحالي في العراق لم تُحسم مرجعيته لولا جهود جماعة، أبرزهم بيت الخوئي وصهره السيد جواد الشهرستاني، العقل الإداري والمالي الفريد، حيث استطاع انتزاع اعتراف من الوسط العلمي بأعلمية السيستاني، رغم وجود الأعلم من الفقهاء. كان السيد جواد الشهرستاني يتباهى ويقول: "أنا جعلت من السيد السيستاني مرجعا". وصدق الرجل، وقد عاصرنا طريقة عمله، وجرأته وتدبيره حتى أذل رقاب جميع فضلاء الحوزة العلمية بمال الفقراء والمساكين الذي كان ينثره فوق رؤسهم، بما فيهم شخصيات علمية كبيرة من عيار آية الله كان

موقفهم سلبيا جدا من السيستاني ومستواه العلمي. بل أن بعضهم كان يسبّح بلعن السيستاني فصار من حواري مؤسسة الشهرستاني يجيب على استفتاءات الناس في ضوء آراء السيستاني ومتبنياته الفقهية والأصولية!!! بعد أن أسكنه الشهرستاني بقصر مثالي، ملكا خالصا له من دون الفقراء والمساكين!!. وكان أحد كبار المجتهدين يستهزئ بتقريرات دروس الخارج للسيد السيستاني في كتاب الرافد، فزاره السيد جواد الشهرستاني وتبنى تسديد رواتب طلبة مدرسته فما كان من المجتهد الفاضل آية اللّه العظمى السيد كاظم الحائري إلا أن ينضم للشهرستاني، وقد رأيته بعيني في مجلس السيد جواد الشهرستاني في مكة المكرمة جالسا جلسة مؤدبة بين يديه، فهبط في عيني كما هبط في أعين آخرين!!!!!. بهذه الطريقة شهدوا للسيستاني بالمرجعية، خاصة في اجتماع "الخمسين" في مبنى مؤسسة الشهرستاني بمدينة قم، عندما تعهدوا جميعا وربما خطيا بدعم مرجعية السيد السيستاني!!. وفي خطوة لتأكيد ولائهم للسيستاني وصهره المقدس، انقلبوا إلى شياطين وحاربوا المجتهد الكبير السيد محمد حسين فضل اللّه، رجل الوعي لأنه كان منافسا وندا قويا لمرجعية السيستاني. وما تركوا أسلوبا قذرا إلا واستخدموه لتحجيم مرجعيته، فاتهموه بلا ورع شتى التهم. لكنه رجل فكر ووعي أمتدت مرجعيته إلى جميع أنحاء العالم خاصة أوربا وأمريكا، من خلال كتبه ومحاضراته وآراءه الجريئة ومشاريعه الخيرية الكبيرة. وما زال بعض الناس على تقليده والإلتزام بآرئه رغم وفاته. كان الغيض يتقاطر من

أعينهم عندما تذكر انجازات فضل الله.

لا أقصد التشهير معاذ الله ولا الاستخفاف والأمر طبيعي جدا، فمقام المرجعية كبير، والمتنافسون كثيرون، والمقام مغر، خاصة من الناحية المالية، ومؤثر ولا شك تلعب السياسة دورا كبيرا فيه، والخوف من الله آخر ما يفكر به رجل الدين، ولديه من الأساليب الحوزوية الماكرة ما يلتف به على خوفه وورعه المصطنع. كل ما أقصده أن لا يحمّل الناس الله عزوجل مسؤولية تنصيب المرجعيات الدينية، لا فقط بالنسبة للشيعة بل جميع ديانات العالم بلا استثناء. ولا داعي لتزوير وعي الناس بكلام يوحي بأن المرجعية خيار إلهي. حيث دأب رجال الدين على الاستشهاد بقوله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، لبيان كيفية اختيار أحد الفقهاء لمقام المرجعية الدينية. يستشهدون بالآية المباركة رغم وضوحها فهي لا تقصد مراجع الدين بل تقصد رسالات السماء، فما علاقة المرجع برسالات الأنبياء؟ لكن رجل الدين بارع في توظيف النص لدعم موقعه وتعزيز سلطته، وله قدرة فائقة على تزوير الوعي، حينما يستخدم النص بطريقة مواربة، في ظل وعي رث وعقل كسول مستقيل. من هنا تأتي خطورة النص وتوظيفه في غير محله.

المرجعية شأن بشري والناس مسؤولون يوم القيامة عنه، فلماذا يهربون من المسؤولية ويلقونه على عاتق رب العالمين أو المهدي الغائب؟؟؟. المرجعية منصب خطير يمسكه الآن بالنسبة للمرجعية الشيعية في العراق، صهر السيستاني، أقصد السيد جواد الشهرستاني الذي يسكن إيران حاليا، امبراطور المال والعقارات

وخبير فن الإدارة والسياسة، وقد أثبت براعة منقطعة النظير في تثبيت مرجعية السيستاني، وهو ثان شخصية بعد السيد محمد رضا الأبن الأكبر للسيستاني، الذي تفوق صلاحياته وسلطته سلطة والده المرجع. وثالثهم الصهر الثاني الذي يقطن أوربا، السيد مرتضى الكشميري، المسؤول عن إيرادات الحقوق الشرعية وله سلطة كاملة عليها ويتصرف بأموال المسلمين كيفما يشاء، وقصص بذخ هذا الرجل فاجعة أخلاقية كما هو المشهور عن سلوكه، ومن يرد الاطلاع على الأرقام فليطالع كتب أخيه السيد حسن الكشميري فإنه سيقرأ عجبا.

الكل يذهب للشهرستاني ويقف بين يديه ذليلا. كل الأحزاب الشيعية، والمؤسسات والأشخاص. وهو الآن يلعب دورا كبيرا في تصيب بعض الشخصيات الحكومية في العراق، ومسؤول عن خلق بعض التوازنات، بل حتى بعض المثقفين الشيعة يحذر من سخط السيد جواد الشهرستاني عندما يكتب وينشر مخافة أن يغضب عليه ويقطع عطاءه، وآخر ينوه بالسيستاني ومرجعيته وأقواله، في مناسبة وغير مناسبة تزلفا لصهره المدلل. بل بعضهم مرابط في مجلسه يرافقه في سفراته!!. أعود وأقول: هناك أسباب كثيرة وراء تنصيب المرجع، ولا علاقة للسماء به، بل هي مسؤولية الوسط الحوزوي، ممن يدعو لتقليد هذا الفقيه أو ذاك، وهي مسؤولية المسلمين حينما ينقادون بلا عقل لرجال الدين. لا معنى لوجود مرجع يقود الناس في ظل مجتمع مدني متحضر. المرجعية تحجم الشيعة إلى كيان وطائفة مختزلة، ينظر لها بعين الريبة والتهمة والشك.

الاستجابة الجماهيرية

س53: طارق الكناني: تستمد المرجعيات الشيعة فتاواها عادة من حاجة الشارع الشعبي، ضمن الأطر السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبذلك تكتسب قوة تكون مؤثرة في هذا الشارع والأدلة كثيرة، فلماذا لايتحرك الشارع إلاّ بفتوى وبشرط أن تكون من المرجع الأعلى؟

ج53: ماجد الغرباوي: الشيعة يتحركون عادة بفتوى المرجعية، خاصة المرجع الأعلى للطائفة، فهم مرتبطون به روحيا، بسبب الإقصاء الذي مارسته الحكومات المتعاقبة على البلد ضدهم. هذه المظلومية جعلت الفرد الشيعي يحتمي بمرجعيته الدينية كتعويض عن حرمانه السياسي، فولاؤهم لها أولا ثم القانون. هذا من جهة، ومن جهة ثانية مر في أجوبة سابقة أن السلطة والحكم من مختصات الإمام المعصوم أو من ينوب عنه وهو الفقيه الجامع للشرائط، فلا شرعية لأي حكومة في زمن غيبة الإمام المهدي ما لم تكن بإذن الفقيه ومباركته. الشيء الثالث، يعتبر الشيعة المرجع الديني الأعلى نائبا عن الإمام المعصوم، وطاعته طاعة للإمام. وهناك العقل الجمعي الشيعي، وما أحاطت به من ظروف سياسية، وصراعات مذهبية، وجدل كلامي، بل وحروب جرحت قلوبهم كحروب الإمام علي وواقعة كربلاء، كل هذا وغيره خلق تعاطفا وولاء لا شعوريا لمرجعيتهم الدينية، من باب المظلومية، أو من باب احتكار الحقيقة والشرعية والأحقية والأفضلية، أو من

باب تحصين الذات وتماسك البناء الداخلي للصف الشيعي في مواجهة أعدائه. فهو قائدهم ورمزهم السياسي والقيادي والديني.

لا تنسَ مدى خطورة هذا الشعور على مستقبل الدولة المدنية في البلدان الشيعية خاصة العراق، إما إيران فقد أكتسبت المرجعية الدينية فيها صفة دستورية، بل صارت فوقه وتتحكم به، وهو استبداد ديني وسياسي. وإما في العراق فانشطار الولاء يعرقل إقامة دولة مدنية باتت ضرورة لبلد متنوع دينيا ومذهبيا وقوميا. فولاء الكردي لقوميته، وولاء الشيعي لمرجعيته الدينية، ويبقى ولاء السني للسلطة ولو على حساب وطنيته. المرجعية الدينية منافس كبير للدستور، فكيف نقيم دولة مدنية وولاء الفرد فيها لغير الدستور والقانون؟ إنها كارثة، لهذا لا يمكن التكهن بمستقبل البلد سياسيا، وأغلب الظن سينقلب إلى دولة دينية على غرار إيران. هدف الإسلاميين جميعا إقامة دولة دينية لا يتخلون عنه إطلاقا، ولا يروق لهم هذا الوضع. ولم يسكتوا عنه لولا الضرورة التي ستنتفي يوما، حتى لو أدى الأمر إلى تقسيم البلد. الإسلاميون لا يؤمنون بدولة مدنية مهما تظاهروا بتأييدها، ويجدون في الدولة الدينية أكثر شرعية ورحابة لتنفيذ مخططاتهم. لذا أؤكد مرة أخرى أن لعبة الولاءات ستحطم العراق وربما يعود البلد طوعا لتبعية هذه الدولة أو تلك، لوجود أرضية تمهد للتبعية بدواعٍ دينية وطائفية، وهنا مكمن الخطر الذي أحذر منه دائما. لكن ماذا نفعل والعقل الجمعي يسوق الناس كما يشاء وبالاتجاه الذي يحقق رغباته؟!!.

س54: طارق الكناني: عندما تعرض العراق للهجوم الداعشي واحتلال اجزاء ومدن كبيرة من العراق حيث بلغت المساحة التي تم احتلالها نصف مساحة العراق صدرت فتوى المرجعية بالجهاد الكفائي واستجاب الشارع بشكل عجيب وتفاعل مع الفتوى بما حقق الانتصارات الكبرى، لماذا لم تصدر مثل هذه الفتوى ضد فساد الساسة واعطاء الشعب الضوء الأخضر للتخلص من هكذا ساسة مثلما تخلصوا من الدواعش أو كادوا يتخلصون؟

ج54: ماجد الغرباوي: رغم مشروعية السؤال لكنني ضده، أتمنى بقاء ولاء الفرد للدستور والقانون وليس للمرجعيات الدينية، وأتمنى أن يبقى ولاء الفرد لوطنه دائما، وليس لرجل الدين والعشيرة والسياسية، فهذا خطر كبير على مستقبل الدولة المدنية التي نطمح بقيامها. كيف يتحرك المواطن بفتوى دينية ولا يحركه الشعور الوطني؟ ولماذا لم يتحرك الشعب ضد داعش حتى أفتى الفقيه بوجوب التحرك كفائيا؟ ولماذا سكتوا عن العدو الذي راح يتوغل داخل الأراضي العراقية حتى هدد العاصمة بغداد.

والحقيقة إن محاربة العدو لا تحتاج لفتوى دينية ويكفي الشعور الوطني لدفع الناس باتجاه الدفاع عن بلدهم، إذا كان هناك شعور وطني حقا، لكن كما ذكرنا في حوار سابق مشكلة العراق في انقسام الولاء، وخير دليل استجابة الشعب لفتوى علماء الدين للقتال ضد داعش. وكان يفترض بهم أن يهبّوا بوازع وطني للدفاع عن بلدهم، لكن هذا لم يحصل ولم يستجب لنداء الوطن إلا القلة من أبناء الشعب، والسبب أن المضحي يبحث عن معنى لتضحياته

فلا يجده في شعوره الوطني الضعيف، فلم يستجب سوى القليل. على العكس من الدين في قدرته على منح التضحيات معنى يفتح للمضحيّ آفاقا واسعة من الأمل في الدنيا والآخرة، النصر أو الشهادة، فيشعر بجدوى تضحياته. فلا تستغرب هذا العدد الكبير ممن لبّوا نداء المرجعية الدينية. والحقيقة إن موقف المرجعية الدينية كان مشرفا في هذه القضية بل وقضايا أخرى مر بها البلد، اتسمت فيها المرجعية بالعقلانية والمواقف الصائبة من أجل التهدئة وسيادة القانون. فحينما انتقد المرجعيات الدينية لا أخص واحدة بعينها، ولا طائفة ومذهبا دون الآخر، فحتى السنة وغيرهم ينقادون لرجل الدين بنفس المستوى، ويكفي دليلا حشود التكفيريين وهم يجتاحون العراق وسوريا، وهي بلدان مسلمة، وشعوبها تؤمن بالله ورسوله.

المرجعية الرشيدة، الحكيمة، ضرورة لمجتمعات القطيع، فمن الخطأ التضحية بها راهنا، لكن ينبغي ترشيد الوعي بها وبدورها، من أجل خطوة مستقبلية أكبر.

فتوى الجهاد الكفائي صدرت ضد عدو مشخّص، داعش أو الدولة الإسلامية، تلك المجاميع الإرهابية التكفيرية التي اجتاحت البلد، وعبثت في الأرض فسادا، وسفكت دماء الأبرياء، وقتلت العزّل والمدنيين بلا ذنب.

فالفتوى تحريض عسكري ضد العدو، لكن حينما يصدر المرجع فتوى ضد الفساد، فماذا تتوقع سوى الفوضى وخراب البلد؟ الفساد يا سيدي إدانة لشخص بالفساد، ينبغي أن تستوفي كل

الشـروط لمقاضـاته، ومقاضـاة المتسـتر عليـه، والمتعـاون معـه، والمسـتفيد منـه. وهـم أفـراد وقـادة أحـزاب وحركـات، ومسـؤولون ينتمون لها،

لا نحتاج لفتوى بقدر حاجتنا للإخلاص والوطنية كي يتصدى أولي الأمر لهم، فاذا كانوا متواطئين معهم، فعلى العراق السلام، وهذا ما يحصل الآن في البلد. اليوم قرأت خبرا لعضو لجنة مالية برلمانية يقول العراق خسر 33 مليارا بسبب المصارف الأهلية ومزاد الدولار والبيع غير الشرعي!!. ولمن المصارف الأهلية؟ ومن يستطع فتحها؟

كلها لجهات سياسية بواجهة شخص أو مجموعة أشخاص أو بالاشتراك. فالمسؤولون يتواطؤون ضد بلدهم، يستغلون الثغرات القانونية بحيث لا تستطيع مقاضاتهم فضلا عن إدانتهم، واليوم أكدت عالية نصيف عضوة مجلس النواب العراقي (بعض النواب شكلوا مصارف أهلية بواجهات شبابية لاستنزاف نافذة بيع العملة)!!.

وخبر آخر يقول: كشف عضو اللجنة المالية النيابية مسعود حيدر، الاثنين، أن ميزانية العراق تخسر سنوياً نحو ثلاثة مليارات دولار نتيجة "سلب" نفط في محافظة البصرة، داعياً رئاسة اللجنة المالية النيابية ورئاسة لجنة النفط والطاقة النيابية إلى عقد اجتماع مع وزارة النفط لبحث الموضوع وتشكيل لجنة لتقصي الحقائق.

وبالتالي الفتوى ضد الفساد فساد آخر.

أنا مع تحييد رجل الدين في السياسة والحكم، ومع سيادة النظام والقانون، وتربية الشعب على الولاء لهما، لنضمن سيادة

قانونية تحفظ للجميع حقوقهم، بعد تفعيل الرقابة والقضاء وتنقية مواد الدستور وغربلة قوانينه، حينئذٍ فقط سنخطوا الخطوة الأولى نحو الاستقرار السياسي والأمني والأقتصادي والثقافي.

ولا مانع أن يكون للتشريع الإسلامي دور، شرط تجرده من ولاية رجل الدين وسلطته التي تربك القانون حينما لا تكون دستورية.

المحور السادس

المهدي والخمس الشيعي

الخمس والغيبة

س55: طارق الكناني: ألا تعتقد أن قضية الخمس محشورة حشرا واضحا في فقه الإمامية وهناك رواية تقول بأن المهدي أسقط الخمس لضعف حال الشيعة وقد تم قتل من ذكر هذه الرواية، ولا يحضرني أسمه؟. إذاً قضية المهدي والإهتمام بها من قبل علماء الشيعة جاءت لتلبية حاجات إقتصادية وسياسية بغض النظر عن صحة هذه القضية من عدمها ونحن متفقون أنها فكرة كونية ومعتقد قائم لدى كل الاديان. فما هو رأيك؟

ج55: ماجد الغرباوي: نصَّ الكتاب الحكيم على وجوب الخمس في الآية 41 من سورة الأنفال: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ). فاختلف فقهاء المذاهب الإسلامية في تفسير معنى الغنيمة الواردة في الآية الكريمة، هل المقصود بها خصوص غنائم الحرب، وفقا لسياق الآيات التي تتحدث عنه؟، أم المقصود مطلق ما يغنمه الإنسان بجهد ومشقة؟ فتشمل حينئذٍ كل ما يكسبه الإنسان بجهده، فيدفع خمس ما يعرف بـ (فائض المؤونة) أي ما زاد عن مؤونة سنته، وعليه يجب على كل شخص يعمل تسوية حساباته في آخر كل عام لمعرفة مقدار الفائض عن مؤونة سنته كي يدفع خمسه. ذهب لهذا القول قسم من فقهاء الشيعة، فحكموا بوجوب الخمس سواء صحت الروايات أم لم تصح. وأما من اقتصر الغنيمة على خصوص غنائم الحرب استدل على وجوب خمس فائض المؤونة

بروايات مروية عن أئمة أهل البيت. وبالتالي اتفق جميع فقهاء الشيعة على وجوب خمس فائض المؤونة، بل حتى من لم يثبت عنده الوجوب، راح يفتي بوجوبه من باب الاحتياط، وعدم مخالفة المشهور، الى غير ذلك من عناوين. المسألة يا سيدي مسألة ثروات مجانية تغدق على الفقيه فمن السهل التنظير لوجوب دفعها. المهم أن يصطادك، ويمتص رحيق تعبك، حتى أن فقيها كبيرا أنكر سياق الآية، وقال بإطلاقها وعدم اختصاصها بغنائم الحرب وعدم وجود ما يدل عليها ضمن سياقها!!. ألهذا الحد يا سيادة الفقيه؟ ألست تعاني من عدم وجود دليل صريح بوجوب دفع خمس المكاسب فَرحتَ تتشبث بمراوغات لغوية وتأويلية؟ متى تكفوا عن ملاحقة أموال الناس؟

وأما فقهاء السنة فيقتصرون في الخمس على غنائم الحرب، مع اختلافهم حول وجوب الخمس في الركائز والمعادن والغوص، التي يشملها الخمس وفقا لفقهاء المذهب الشيعي.

والإنصاف أن سياق الآية لا يسمح بتعميم الخمس ليشمل فائض المؤونة، لاختصاصه بغنائم الحرب كما هو سياق الآية المباركة. وهذا ما ذهب له بعض فقهاء الشيعة أيضا، لكنهم استدلوا على خمس فائض المؤونة بالروايات كما تقدم.

معنى الغنيمة اصطلاحا خصوص ما يغنمه المقاتل بالمعركة فنقتصر عليه، لتبادر المعنى الاصطلاحي خاصة في ذلك الوقت فأشارت له الآية، وإلا لو كان المراد من الغنيمة مطلق المعنى اللغوي لخصها القرآن بآيات أكثر تفصيلا كما بالنسبة للزكاة

التي نزلت بها 38 آية، فالنسبة العالية في الخمس 20٪ توجب مزيدا من التفصيلات، بينما لم يخص الكتاب الكريم الخمس إلا بآية واحدة، فواضح أن الحكم مختص بغنائم الحرب، وهذا منهج القرآن في تعامله مع القضايا المهمة. ثم كما يؤيد بعض اللغويين المعنى اللغوي لمفهوم الغنيمة فتشمل كل ما يغنمه الإنسان بحرب وغيرها، هناك لغويون يقتصرون على المعنى الاصطلاحي، فيتطابق عندهم المعنى اللغوي والاصطلاحي، فاقتصروا الغنيمة على غنائم الحرب. فالمسألة غير محسومة لغة، بسبب انحياز اللغويين لمذاهبهم الفقهية، وأفضل طريقة لحسم النزاع العودة للكتاب الكريم بمنهج علمي لغوي مقارن، المنهج القرآني يتناول الموضوعات حسب أهميتها بالنسبة للشارع المقدس وأهدافه الاجتماعية والدينية، ولو كان الخمس أهم من الزكاة لخصه بآيات أكثر.

لا تقل هذا قياس باطل، فهو ليس قياسا، بل منطق الكتاب الكريم ومنهجه في التعامل مع مختلف القضايا ودرجة أهميتها وخطوتها. ثم من قال إن كل قياس باطل؟؟ القياس منصوص العلة ليس باطلا باتفاق الجميع. ثم هناك مقاصد وغايات تعتبر بوصلة الأحكام الشرعية فلماذا لا تؤخذ بنظر الاعتبار في فهم النصوص؟.

مفهوم الغنيمة لغة مطلق ما يغنمه الإنسان بجهد، فتشمل غنائم الحرب وغيرها، ثم اختصت بعد نزول الآية الكريمة بغنائم الحرب.

وقد يراد بالغنيمة لغة مطلق ما يغنمه الإنسان بلا جهد وتعب، كما جاء في بعض معاجم اللغة: (ظَفِرَ بِغَنِيمَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي الحُسْبَانِ: كُلُّ مَا يُظْفَرُ بِهِ). ويفهم هذا من طبيعة طرح الأسئلة على المقابل، فيصفون ما يحصل عليه الشخص بلا تعب بالغنيمة. بينما يستخدمون صيغا أخرى للسؤال عن أرباحه بجهد وتعب: فلا يقال: كم غنمت هذا اليوم؟، بل يسألونه: كم ربحت؟، أو كم كسبت؟، أو كم استفدت؟، إلى غيرها من صيغ وكلمات. على العكس حينما يظفر أو يفوز بشيء بلا جهد وتعب فيصفون ما ظفر به: "إنها لغنيمة" أو ما شابهها من صيغ. وأيضا عندما يحدثهم عن فوزه بكنز أو شيء ثمين، يقال له: إنه غنيمة، أو إنه غنيمة نادرة. وهذا المعنى قد يصدق على غنائم الحرب أيضا، لأنها غُنم بعد معركة بلا جهد ولا تعب، لأن المقاتل لم يقصدها لذاتها في معركته. أي لم يقاتل لأجلها فيأخذها بمشقة وتعب. هي أموال تركها العدو بعد هزيمته أو قتله، فهي غنيمة.

وربما عدم أخذ المشقة والتعب شرطا في الغنيمة أقرب للمعنى اللغوي. لكن رغم قربه لا يشمله الخمس ويختص بغنائم الحرب بعد انتقال كلمة الغنيمة من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي، فالحكم الشرعي كان ناظرا للمعنى الاصطلاحي، وقد سار عليه المسلمون، فنكتفي به، ولا نعممه لفائض المؤونة وغيرها ما لم يدل دليل قطعي السند والدلالة بخصوصه.

ثم لماذا نلتزم بالمعنى اللغوي دون الإصطلاحي في الغنيمة، ولا نلتزم به في الصلاة التي تعني لغة مطلق الدعاء؟. أليس لأن معنى

الصلاة قد نُقِلَ من معناه اللغوي الى معناه الإصطلاحي، وهو الهيئة الشرعية المكونة من قيام وركوع وسجود؟ بينما المعنى اللغوي للصلاة يقتضي صدق الصلاة على كل دعاء بل على كل تبتل وتفكر وحالة روحية يعيش فيها الفرد مع خالقه، وبالتالي يسقط واجب إقامة الصلاة بالدعاء، ولا أحد يقول بذلك مطلقا. ويشترط جميع الفقهاء لبراءة الذمة أداء الصلاة بشكلها وهيئتها الشرعية المعهودة. وعليه فالمعنى الإصطلاحي هو المتعيّن في الأحكام الشرعية، أي أن المراد بمعنى الغنيمة خصوص غنائم الحرب. والمراد بالصلاة هيئتها الشرعية، والمراد بالصوم شرعا الامتناع عن تناول الطعام قربة للّه تعالى بأوقات محددة، وليس مطلق الامتناع عن الطعام. والمراد بالحج صيغته المتعارفه عند الناس لذا قالت الآية وأفيضوا من حيث أفاض الناس، بينما معنى الحج لغة القصد أو القصد ذهابا أو سفرا، تقول حججت لفلان أي قصدته ذهابا أو سفرا.

وأما الدليل الثاني بعد القرآن الكريم (أي السنة النبوية وامتدادها لسيرة الأئمة عند الشيعة) فلا توجد روايات صحيحة تامة السند والدلالة، يمكن اعتمادها دليلا على وجوب الخمس في فائض المؤونة، وظل الخمس مقتصرا على غنائم الحرب. وكل الروايات المذكورة يمكن مناقشتها، بما فيها رواية صحيحة عند الشيعة معروفة بصحيحة علي بن مهزيار عن الإمام الجواد وهو ثامن أئمة مذهبهم، وتعتبر عمدة روايات الخمس لدى فقهائهم. إضافة الى ضعف روايات الخمس توجد روايات تبيح الخمس زمن

غيبة الإمام المهدي. فعمدة روايات وجوب الخمس هي رواية علي بن مهزيار عن الإمام الجواد التي فيها تناقض واضح. كما أن الرواية لا تدل صراحة على وجوب الخمس كحكم شرعي، بل أكثر ما تفيد أنه حكم ولائي يضطر له الإمام أحيانا ثم يسقط بعد وفاته، ولا يستطيع الفقيه الاستدلال به على الوجوب. حكم ولائي فرضه الإمام بمقدار خمس ما يملكون ولعام واحد لضرورات ترتبط بمقام الإمامة. وقد نصت الرواية "في عامكم هذا".

إن ارتفاع نسبة الخمس تتطلب أدلة مستفيضة لإثباته تفصيلا بل لا يكفي فيها حتى الإجمال، إنه خمس أرباح الشيعة سنويا، ما يربو على ميزانية دولة!!، فكيف لآية واحدة ورواية مضطربة إثباتها؟.

ومن غرائب الأمور أن القرآن يشرّع للزكاة ووجوبها والحث عليها بـ 38 آية، بعضها مفصّل، بينما الخمس آية واحدة، مختلف في دلالتها!!!. فهناك مشجعات دفعت فقهاء الشيعة للتمسك بالخمس على حساب الزكاة، منها ارتفاع نسبته التي تبلغ عشرين بالمئة، بينما لا تتعدى الزكاة 3٪.

وموارد صرف الزكاة محددة بالآية لا يمكن التلاعب بها، بينما يستطيع الفقيه التصرف بالخمس حسب رؤيته وتقديره ومبانيه الاجتهادية. وهناك بعد طبقي، ارستقراطي، يمتاز فيه السادة عن عامة الناس، والسادة كل من ينتسب للرسول الكريم.

فالخمس يختص بغنائم الحرب والمنقولة منها فقط، كأدوات القتال، و مؤونة الجيش، ولا يشمل الأرض والثوابت لعدم صدق

مفهوم الغنيمة عليها، وعدم وجود إطلاق في الآية لها من خلال نفس مفهوم الغنيمة أو آية قرينة. فلا يقال غنمت بيتا أو أرضا، بل يقال مثلا: استوليت عليها أو صادرتها أو اشتريتها أو اغتصبتها الى آخرها من الألفاظ. من هنا لا معنى للنزاع بين فقهاء المسلمين حول شمولها بالخمس أم لا.

س56: طارق الكناني: وماذا بشأن الروايات الواردة عن الرسول الاكرم وسيرة الصحابة وأهل البيت تجاه الخمس فقد وردنا الكثير عنهم؟

ج56: ماجد الغرباوي: الرسول كما هو معروف عن سيرته التفصيلية لم يأخذ خمس فائض المؤونة، ولم يرسل أحدا لجبايته كما يفعل مع الزكاة، حتى خصصت الآية المباركة سهما لجباتها. وهذا بحد ذاته يدل على اختصاص الخمس بغنائم الحرب، فهي قليلة لا تحتاج لجباة. يأتي بها المقاتلون وتوضع بين يدي النبي الكريم فيقوم بتوزيعها حسب شروطها. فاقتصر النبي الخمس على غنائم الحرب. والأمر ذاته بالنسبة للخلفاء بما فيهم الإمام علي، حيث كان مبسوط اليد وقادرا على أخذ خمس فائض المؤونة لو كان واجبا، لكن لم يرد أي خبر أو رواية تؤكد أنه فرض الخمس على فائض مؤونة الناس، أو تذكر أنه أستلم خمس فائض المؤونة من أي شخص من المسلمين الميسورين.

والشيء المدهش، لا توجد روايات صحيحة موثوقة تؤكد أن أئمة الشيعة الأوائل، من الإمام عليّ حتى الإمام الرضا قد أخذوا أو

طالبوا أصحابهم بالخمس، سوى أخبار أحاد لا تصمد أمام النقد الرجالي. بل لم يأخذ الخلفاء الراشدون خمس فائض المؤونة كما تقدم، ولم ينقل عن أي واحد أو من جاء بعدهم. ولماذا يستهين أبو بكر بخمس فائض المؤونة ويتورط بقتال مانعي دفع الزكاة من المسلمين أو ما يعرف بحروب الردة، والقوم كما تقدم لم يرتدوا بل رفضوا دفع زكاة أموالهم له، في إشارة إلى عدم الاعتراف بخلافته ربما. وقرروا جمعها وتوزيعها بين محتاجيهم. فكيف يقاتل من أجل نسبة صغيرة من الزكاة ويتجاهل 20 بالمئة من فائض مؤونة جميع المسلمين؟؟. وهكذا بالنسبة لباقي الخلفاء والسلاطين.

هناك من يعتقد من فقهاء الشيعة في القرن الماضي (الفقيه الكبير أبو القاسم الخوئي) بأن حكم أخذ الخمس قد تأجّل لظرف ما، ثم صار فعليا في زمن الأئمة. وهذا كلام باطل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)، والرسول مكلف بتبليغ الرسالة كاملة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ). والتبليغ لا يقتصر على شخص الإمام كي يحتفظ به لما بعد وفاة الرسول، (هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ) فلماذا خصّ النبي الشيعة بهذا القرار دون غيرهم من المسلمين؟ ولماذا أجل تنفيذه إلى القرن الثاني؟ وهو ملزم بتبليغ الرسالة لجميع العالم فضلا عن المسلمين؟ ولماذا يضطهدهم دون غيرهم بخمس أموالهم؟. وهناك من ادعى أن الأئمة رفضوا استلام الخمس خوفا من السطات الظالمة التي

كانت تراقبهم، وتحاسبهم على أموالهم، وهذا أيضا لا دليل عليه. وماذا عن سيرة الرسول والإمام علي، حيث كانا مبسوطي اليد؟. كلها تبريرات لاستنزاف دخل الفرد والتصرف بأمواله بحجة الخمس. أحيانا يصاب المرء بالغثيان عندما يتعرّف على أساليبهم في تزوير الحقيقة والوعي، وطريقة استدلالهم على بعض القضايا، خاصة المالية، رغم وضوح الأمر بالنسبة للخمس من خلال أدلته وسيرة النبي والصحابة والأئمة جميعا، فلماذا المغالطات، وتشريع أحكام واصدار فتاوى باسم الدين تستنزف جهود الناس؟.

الشيء المرعب أن هذه الضريبة الكبيرة تذهب هباء في أغلب الأحيان، لا يستفيد منها فقراء الشيعة، ولا يساهم الخمس في تطوير ظروفهم، وبإمكانهم توظيف هذه المبالغ الطائلة لخدمة أبنائهم فهم أحق بها. بإمكانهم بناء مدارس، مستشفيات مؤسسات تعليمة، إعالة الفقراء والمحرومين والأيتام، لكن للأسف تروى قصص وحكايات عن التلاعب بالخمس يندى لها جبين أهل البيت!!. كيف يتجرأ هؤلاء على الله ورسوله باستدلالات ساذجة، أغلبها يعتمد مقدمات ليست سوى أوهام تسالموا عليها في الأوساط الدينية. ودليلي حيرة فقهاء القرون المتقدمة بالخمس ومصارفه.

س57: طارق الكناني: هل تحتفظ ذاكرتك ببعض الشواهد ما دمت بصدد توثيق بعض الحقائق؟ ربما يصعب الأمر عليك، لكن الأجيال تنتظر شهادتكم عن تلك الحقبة كي تتضح الحقيقة، نحن نسمع كلاما كثيرا لكن توثيق الشهود يختلف.

ج57: ماجد الغرياوي: الذاكرة متخمة بأرقام وشواهد تدمي القلب، إنه واقع مزري، فقد شاهدت عن قرب كيف يتصرف أبناء رجال الدين ويبذخون، هم وعوائلهم، بأموال الخمس بغطاء شرعي، بعنوان جباية الخمس (علما أن آية الخمس لم تخصص سهما لجباته، على العكس من الزكاة التي نصت على إعطاء العاملين عليها. ولا دليل على صحة قياس الخمس على الزكاة). بل عدم تخصيص سهم لجباة الخمس كالزكاة دليل على عدم شموله لغير غنائم الحرب فلا يحتاج لجباة، فيكون الأمر من باب السالبة بانتفاء موضوعها.

وأحيانا تُصرف أموال الخمس لأشخاص بلا مبرر سوى شأنهم الاجتماعي، أو ما يسمى اصطلاحا بالشأنية، بل تُدفع لبعض الشخصيات رواتب مجزية من أجل حضور درس هذا المجتهد أو ذاك لتعضيد موقعه العلمي!!!. وللتأريخ أذكر قصة نقلها أحد المجتهدين المعروفين اليوم في الأوساط العلمية، فقيه ورع، صادق في لهجته. قال: اشترى حفيد أحد المراجع داراً باهضة الثمن، فكيف يسدد ثمنها وهو يقتات على الصدقات والحقوق الشرعية باعتباره طالبا في الحوزات العلمية؟ يقول – والكلام للفقيه - في عصر ذلك اليوم زرت والده الذي كان يتولى شؤون مرجعية والده (المرجع الكبير)، فاتصل به أحد الأثرياء، يروم تسليم خمس أمواله من فائض مؤونة سنته طبقا لفتوى فقهاء الشيعة قاطبة، فسمعت والد صاحب الدار يطلب من التاجر بإلحاح البقاء في مدينته على أن يرسل ولده لاستلامها. وبالفعل اقتنع التاجر بعد

جدل طويل، ثم سافر الإبن فورا وجلب أموال الخمس لوالده. فاستحق بسبب سفر مسافة خمسين كليو مترا بسيارة فارهة من مدينة قم إلى طهران ثلث المبلغ!!!!، فسدد خمسين مليوناً (تومان بالعملة الإيرانية) من قيمة الدار البالغة 80 مليوناً آنذاك في أرقى مناطق مدينة قم السكنية التي لا يسكنها إلا الأثرياء، وبقي مطلوبا 30 مليونا، فاستحق الخمس لتسديد ديونه!!، وبالفعل دفع له والده، المؤتمن من قبل سماحة المرجع على أموال المسلمين، ما تبقى من ثمن الدار ليسدد قيمته ويطمئن قلب ولده المدلل!!. فكم اغتصبوا من أموال الفقراء والمساكين؟ خاصة من الأموال المخصصة لطلبة العلوم الدينية حيث كان الطالب المتزوج يتقاضى شهريا 2000 تومان فقط!!.

بقيت مذهولاً وأنا أصغي لهذا المجتهد الكبير، فسألته ولماذا لم يسدد والده ديون الآخرين من طلبة العلوم الدينية أو من فقراء الشيعة عامة إذا كان واجباً عليه تسديد ديون المحتاجين؟ لماذا لا ينتشل العوائل الشيعية من الفقر والحرمان بهذه المبالغ الكبيرة؟ لماذا.. لماذا؟. وقصص كثيرة أخرى تُدمي القلب. المشكلة أن الطيبين لا يطمئنون ما لم يسلّموا خمس مكاسبهم لرجل الدين، بل ويقبّلون يده فرحين!!. وبعض يشتمك إذا انتقدت الوضع بحجة أنه حق خصصه اللّه لأبناء رسوله فهم أحرار كيفما تصرفوا به، فلماذا تنتقدهم وتشّهر فيسخط اللّه عليك ورسوله؟. لا أدري عن أي إله يتحدث هؤلاء؟ عن إله خاص بهم، أم عن اللّه كما هو مذكور في كتابه الكريم.

القرآن الكريم يشجب كل ممارسة تفضي إلى سرقة أموال الناس: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ)، (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا).

لكنه المال وإغراءاته حينما يلتف من أجله رجل الدين على الدين ومبادئه السامية. هؤلاء لا تهمهم قيم الإسلام وحجم تداعيات تصرفاتهم المشينة، يهمهم الإثراء على حساب الفقراء والمساكين، بل على حساب الدين ومبادئه وقيمه، لهذا فضح الكتاب العزيز ممارسات رجال الدين حينما يسرقون الآخرين باسم الدين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ). وهؤلاء مجرد مصاديق لرجال الدين ممن يأكلون أموال الناس بالباطل.

كيف تقنعني بشرعية هذا التصرف، فيختص ابن السيد المقدس بدار قيمتها تساوي 15 -20 دارا تكون ملجأ لمئة شخص أو يزيد من فقراء الشيعة والمسلمين ؟ .. إن ما يعيق الاصلاح رثاثة الوعي عندما يبرر بعضهم هذا السلوك المشين ويمنحه شرعية دينية.

س58: طارق الكناني: هذه أموال طائلة. وكما قلت أنت بالامكان تغيير الكثير بها ورفع مستوى معيشة الفقراء من الشيعة عن طريق استثمارها بشكل أمثل من خلال انشاء مصانع أو معامل لتشغيل العاطلين. كيف برأيك ايجاد طريقة لتوعية الناس بهذا الاتجاه؟ وهل من حل ممكن تضعه بين أيديهم؟

ج58: ماجد الغرباوي: بإمكان المؤمنين الغيارى على الدين وحقوق الفقراء والمساكين، في كل منطقة ما داموا يؤمنون بوجوب دفع خمس فائض مؤونة سنتهم، أن يتعهدوا بجمع ما لديهم من حقوق شرعية، وأخراج نسبة الزكاة، لتصرف في مواردها المحددة في الآية الكريمة، وصرف باقي الخمس على أعمال الخير والصلاح، وبناء مؤسسات خدمية لهم ولأبناء مدينتهم، لعدم وجود أي دليل على وجوب تسليم الحقوق الشرعية لرجل الدين أو الفقيه أو أية جهة أخرى. أو تنقل إلى بلد آخر مع عدم حاجة بلدهم، كي تصرف أيضا على الفقراء والمحتاجين وتساهم في بناء مؤسسات خدمية لهم. نأمل أن يعي الناس الحقيقة، ويفيقوا من نومهم. وربما تخشى المؤسسات الدينية الله عزوجل يوما ما وتهتدي لصيغة مركزية تحافظ على هذه الأموال وتنفقها في مواردها، فإنها ثروة طائلة يقصد بها المنفعة العامة، وليس لأي أحد الحق في احتكارها أو فرض سلطته وهيمنته عليها، خاصة بالنسبة للسهمين الأول والثاني (لله وللرسول)، فلا يوجد دليل معتبر على انتقالهما للإمام، ملكا له دون غيره، ومن باب أولى عدم وجود ما يدل على اختصاص الفقيه أو رجل الدين. فتصرفا لصالح الإسلام والمسلمين.

ربما الآن وضع أموال الخمس أفضل فهناك مشاريع كثيرة استفادت منه، أما سابقا فكان الشيعة يدفنونها في باطن الأرض بانتظار الإمام المهدي المالك الحقيقي لها!!! تصور كيف يفكرون!!. وقد صادرت الحكومة السعودية يوما خمسة ملايين ريال من رجل دين شيعي اعترف أنها حقوق شرعية (خمس)،

مجمدة في حسابه، ربما كان ينتظر ظهور المهدي ليسلمها له يدا بيد، بينما يعيش بعض الشيعة في السعودية أوضاعا اقتصادية مزرية قياسا بغيرهم، فلماذا لم ينفقها حتى صادرتها الدولة؟

إن حيرة قدامى فقهاء الشيعة في كيفية توزيع الخمس دليل على عدم وجوبه، وعدم اهتمام الشارع المقدس به. فانظر حيرة الشيخ المفيد زعيم الطائفة الشيعية في كتاب المقنعة، حيث قال ما مفاده: إن مصرف الخمس في زمن الغيبة أمرٌ محيّر، ومع إنّ السنوات التي تفصلنا عن زمن الغيبة الصغرى يسيرة جدّاً، لكن أصحابنا اختلفوا فيه اختلافاً شديداً؛ فمنهم: من أسقطه اعتماداً على الأخبار التي نصّت على ذلك، ومنهم: من رأى ضرورة الاحتفاظ به وكنزه؛ وتحجّج في ذلك بروايات من قبيل: إن الأرض ستخرج كنوزها للمهدي حين ظهوره...،

أمّا بالنسبة لرأيه الخاص فيقول: (فقد رجّحت في "سهم الإمام" قول من يرى من أصحابنا وجوب عزله لصاحب الأمر (ع)؛ فإذا خفت ادراك المنيّة فعليك أن توصي به إلى من تثق بدينه وعقله ليسلّمه إليه "ع" بعد ظهوره، وهكذا حتى يصل إليه). والحيرة ترتسم بشكل أوضح على محيا الشيخ الطوسي 460 هـ. وغيره من العلماء. لقد لعبت عصمة الأئمة دورا سلبيا حيث أقتصرت مهمة علماء الدين على التأويل والتبرير والبحث عن المسوغات، كل ذلك على حساب الحقيقة وعلى حساب الكتاب الكريم.

مع تحفظنا على الأساليب اللامعقوله في التعامل مع ثروات الخمس الطائلة، لكن حيرة الفقهاء كبيرة جدا، مما يؤكد عدم

وجوبه في غير غنائم الحرب، موضوع الآية الكريمة. أما كيف أصبح اليوم بديهيا لا أحد يشك فيه؟ وكيف تفرّعت مسائله، وأحكامه وتفصيلاته؟ فالأمر سهل جدا بالنسبة للفقيه المجتهد البارع في توظيف أدواته الأصولية، فهو قادر على الاستدلال للشيء وضده في آن واحد. فالخمس تم التنظير له فيما بعد بشكل تدريجي، وتطور مع تطور مصادر تدفقه، فراح يشمل كل شيء. بينما يتحرجون تحرجا كبيرا في انفاقه على الفقراء والمساكين، ولا يعطون أحدا (ما عدا أبنائهم وأقاربهم وحواشيهم) إلا بشروط مشددة خوفا من الله والضمير!!!. وتارة يضطهد رجل الدين المؤمنين حينما يحاسبهم على خمس فائض المؤونة فيأخذ منهم أكثر من باب الاحتياط كي تفرغ ذمتهم!!!.

وبعضهم إمعانا في إذلال المؤمنين يحكم بعدم براءة ذمة من يدفع خمس أمواله لغيره من المجتهدين!!!. فإما أن تدفع له أو تبقى مشغول الذمة، ولا يحتسب ما دفعته لغيره خمسا!!!!. والحقيقة إنه يخشى إذا دفعت لغيره من المجتهدين ستقوى مرجعيته على حساب مرجعيته هو. فيفترض نفسه نائبا مطلقا للإمام الغائب ليقطع الطريق على غيره من المجتهدين والمراجع.

المهدي والخمس

س59: طارق الكناني: تحضرني في هذا المقام حادثة مشهورة في كربلاء كان بطلها المرحوم (أغا بدري) سادن الروضة العباسية. فهو عند وفاته رحمه الله وجدت في سرداب بيته كنوز عجيبة وغريبة وأموال، أغلبها عملات الغيت في بلدانها، بينها عشرات الأكياس من الريال السعودي القديم وعشرات الكيلوات من الذهب كان يروم تسليمها للحجة ولكن الدولة صادرتها كلها، لا أعرف ماعلاقة الإمام المهدي بأموال الخمس وهل الخمس من الضرورات التي فرضت على المرجعيات الدينية الإيمان بوجود الإمام المهدي؟

ج59: ماجد الغرباوي: هناك ضرورة وراء أصرار رجال الدين الشيعة على وجود الإمام المهدي حيا، منها:

- ضرورات عقائدية مر الحديث عنها مفصلا.

- ضرورات دينية – سياسية تتوقف عليها شرعية المرجع الشيعي كنائب عن الإمام المهدي صاحب السلطة الحقيقية. الإمامتان السياسية والدينية وفقا للعقيدة الشيعية.

- ضرورات اقتصادية للتصرف بأموال الحقوق الشرعية.

وبالتالي المرجعية الدينية تفتقر في شرعيتها لوجود المهدي، سواء دل دليل على وجوده أم لم يدل؟ وسواء ثبتت ولادته أم لا؟ حيث مر بنا كيف عصفت بالشيعة ظروف مزقتهم الى 13 فرقة كما يؤكد ذلك كبير الطائفة الشيخ المفيد المتوفى 413 هـ. أو 14 فرقة كما

ذكـر النـوبختي في كتـاب فـرق الشـيعة. ومـن بـاب أولى حاجـة ولايـة الفقيـه في أدلتهـا لوجـوده حيـا يمـارس سـلطة غيـر مباشـرة، يمثلـه فيهـا مباشرة الولي الفقيه. فالإمام صاحب السلطة والفقيه نائبه.

فالمهـدي ضـرورة مذهبيـة لشـرعنة المرجعيـات الدينيـة الشـيعية وصلاحياتها الواسـعة، وإلا فـإن الأحكـام الشـرعية لا تتوقـف علـى وجود المهـدي، لـولا حاجـة الفقيـه الماسـة لوجـوده، ولـو غائبـا لينـوب عنـه في اسـتلام الخمـس بـل وتملكـه علـى بعـض الآراء!!!. فالفقيـه ينوب عن الإمام في استلام سـهمه الـذي ينـوب فيـه عـن اللّه ورسـوله كمـا هـو مصـرح بـه في الآيـة. وهنـاك مبنـى يمـنح الفقيـه صـلاحية التصـرف بجميـع الخمـس حسـب اجتهـاده ورؤيتـه إذا كـان يـؤمن بولاية الفقيه أو بنيابته المطلقة عن الإمام الغائب، بدليل أن الخمـس لـيس لشـخص الفقيـه بـل لمنصـب الإمامـة فينتقـل للـولي الفقيـه. وبالتالي سـواء كـان هنـاك إمـام أم لم يكـن، مـن حقـه كحـاكم شـرعي اسـتلام الخمـس والتصـرف بـه حسـب قناعتـه ومتبنياتـه الفقهيـة والعقيديـة. وخلاصـة كـل هـذه التبريـرات والاسـتدلالات أن تحتكـر فئـة مـن رجـال الـدين أمـوال المسـلمين وتتصـرف بهـا كمـا تشـاء، إمـا بحجـة النيابـة العامـة عـن الإمـام، أو باعتبـارهم أوليـاء الأمـور، أو الحكـام الشـرعيين، أو مـن أجـل تنظـيم الأمـور، أو باعتبارهم الأعرف بمصالح المسلمين، والأقدر على إدارتها.

الفقهاء بحاجة لإمـام غائـب أو وهمـي ينوبـون عنـه في صـلاحياته الواسـعة، ويتشـاءمون مـن أي علامـة تـدل علـى قـرب ظهـوره ولـو كذبا!!. لأن ظهوره على فرض وجوده حيا سيصادر صلاحياتهم.

نكبة الإنفاق

س60: **طارق الكناني:** شكراً أستاذ ماجد الغرياوي على هذه المعلومات والحقائق التي سقتها والتي لم يطلع عليها إلا القليل ممن حالفه الحظ أو بحكم العلاقة الخاصة مع هذه الأوساط ممن عاش بينهم .

مثلما قلت أن الخمس مورد مالي كبير وهو يمثل 20٪ من مدخولات الشعب ويفوق أكبر الضرائب التي تجبيها الحكومات فالإمام ووفق هذه النظرية كان يجب أن يفوق الدولة في موارده المالية ولكننا لم نر ذلك فأغلبهم كان يستعين بالعمل على الحصول على نفقته ونفقة عياله أو كان ينتظر عطاءه من بيت المال الذي يخصصه الخليفة.

ولكن هذه الحالة -جباية الخمس -رأيناها واضحة عند المرجعيات الدينية وخاصة الزعامات الكبرى حيث تتدفق الأموال من كل حدب وصوب وغير مقتصر على بلد الفقيه وهذا يؤسس إلى موارد ضخمة، تم صرف أغلبها على نشر المذهب كما يدّعي أغلبهم . حيث تم بناء مؤسسات فقهية وعلمية مثل مؤسسة الخوئي في بريطانيا ولم نعرف أي شيء عن نشاطات هذه المؤسسات فهي تدار من قبل العائلة. ومكتبات عامة ففي استراليا على ما أعتقد هناك مكتبة السيد الحكيم والكثير من هذه الشواهد وكلية الفقه في النجف وجامعة النجف الدينية للمرحوم (محمد كلنتر).. كما تتحمل هذه الحوزات رواتب طلبة العلم الذين تفرغوا للدراسة

والذين جاءوا من بلدان شتى كالهند، باكستان، افغانستان، لبنان، الصين، ايران، اذربيجان، تركيا، وغيرها. وهؤلاء هم في حقيقة الأمر دعاة للمذهب عند رجوعهم إلى بلدانهم.

ألا تعتقد أن مثل هذه الأموال ساهمت في تقوية المذهب الجعفري وأبقته على الساحة ولولا هذه الأموال لأندثر كل شيء؟

ج60: ماجد الغرباوي: موارد الخمس يا سيدي هائلة، وما ذكرته صحيح، وهناك مشاريع أخرى، نهض بها رجال دين يعملون لله ولدينهم، لكن لا قيمة لكل هذا قياسا بواردات الخمس خلال مئات السنين. موارد الخمس تتبعثر لعدم وجود مركزية في استلام الحقوق الشرعية بشكل عام والخمس بشكل خاص، تتبعثر لوجود مباني فقهية تسبب في تبذيرها، وعدم وجود خطة متكاملة لاستثمارها. فكل مرجع مؤسسة مستقلة، له مشاريعه وحواشيه ومصارفه، إلى حد تجد عدة مؤسسات، تؤمن ميزانيتها من أموال الخمس، تعمل على نفس الكتاب ككتاب البحار 110 أجزاء، بحجة إحياء التراث الشيعي وتقوية أركان المذهب الجعفري. وما البحار سوى موسوعة الغلو الشيعي التي لا شك عندي بحرمة تبني تحقيقه وطبعه. كتاب تؤسس مضامين رواياته لثقافة الكراهية والحقد وإباحة الدماء، وترتفع بالأئمة مصاف الخالقية، وتنسب لهم خوارق ومعاجز تتعارض مع كتاب الله والعقل والمنطق والوجدان. لكن المؤسسات الشيعية لا تتورع، وتتفق على تحقيقه وطباعته من أموال الخمس المخصصة للفقراء والمساكين والعمل الصالح. فأي عمل صالح بتحقيق تراث جلب

للتشيع ويلات كبيرة، حتى رموهم بالشرك والكفر بسبب عقائد لا دليل إطلاقا على صحتها.. إن تحقيق البحار وباقي كتب التراث الشيعي، أحد المشاريع التي استنزفت خزائن المرجعيات، وهناك أمثلة كثيرة جدا، بحيث تجد مؤسسات التحقيق، في مدينة قم الدينة الإيرانية، الواحدة جنب الأخرى كلها مشغولة بتحقيق كتب التراث. والغريب لا أحد يعتني بهذه الكتب المكدّسة سوى ثلة ما زالت مرهونة في وعيها للتراث والتاريخ وكتب القدماء، لا تميز بين الصالح والطالح. المشاريع الشيعية التي ينفق عليها من أموال الخمس كارثة حقيقية، كالإنفاق على طقوس عاشوراء (مواكب التطبير وضرب السلاسل وضرب الصدور). أو بعضهم ينفق على مجالس عزاء الإمام الحسين لغرض التحدي فقط وفقط، خاصة في مناطق التجاور بين الشيعة والسنة. أو تنفق أموال طائلة في بناء الأضرحة وتذهيبها، فهل الإمام الذي عاش حياة ترابية بحاجة لتذهيب قبته بينما فقراء شيعته يتلوون جوعا؟. أيهما أهم وفقا لمبادئ علي بن أبي طالب، إشباع جياع الشيعة والمسلمين أم تذهيب قبة ضريحه بعشرات الكيلوات من الذهب؟ لماذا يفتخرون بمبادئ علي ولا يلتزمون بها؟ وهل بلغ علي مرتبة الكمال بالذهب المكدّس فوق ضريحه والقبة التي فوقه أم بتقواه وورعه؟. ولماذا لا تصرف هذه الأموال لخدمة مبادئ ومشاريع علي بن أبي طالب الإنسانية والدينية؟ هؤلاء يُتاجرون بعلي وشخص علي، ولا علاقة لهم بمبادئه وقيمه، بل ويتصرفون بشكل يضر بسمعته ومقامه. تندهش لو تشاهد المباني المحيطة بضريح الإمام علي بن

موسى الرضا في مدينة مشهد الإيرانية، ثروات مكدسة، هائلة، لخدمة رجل الدين وسلطنته، وفخ يصطاد مشاعر الناس الطيبين لينفقوا مزيدا من أموالهم وعطاياهم.

الآيديولوجية الشيعية هي التي ترسم خطة توزيع الحقوق الشرعية، والطائفية توجّه طريقة توزيعها وانفاقها. ولو صرفت تلك الأموال لمؤسسات علمية وخدمية، غير المدارس الدينية، لخلى الوسط الشيعي من الفقر والعوز.

وبالتالي أنا لا أنكر ما ذكرت، لكن ماذا تمخّض عن كل هذا البذخ في صرف الحقوق الشرعية؟ هل ارتقى المستوى الخدمي لأبناء الطائفة؟ هل تم تجفيف منابع الفقر والعوز؟ هل بُنيت مؤسسات تعليمية سوى العدد المحدود؟ هل بُنيت مؤسسات صحية تخدم فقرائهم إلا نادرا لا يستفيد منها الفقير سوى بعض رجال الدين؟

الذي حصل يا سيدي أن الخمس إنقلب إلى وبال، فصار المرجع الديني يداري بسطاء الناس ويتساهل مع سذاجة عقائدهم وطقوسهم وخرافاتهم التي لا أساس شرعي لها من أجل تثبيت مكانته وتأمين تدفق أموال الخمس لخزينة المرجعية.

ثم لماذا مجموعة عوائل تعيش عيشة الإمراء وليس لهم دخل سوى ما يصلهم من أموال الخمس؟ بأي ميزان شرعي يتصرف هؤلاء بأموال المسلمين؟. ثم بأي حق تصرف 30 بالمئة لجباة الخمس؟ المرجع عادة عندما يمنح أحدا وكالة باستلام الحقوق الشرعية، يمنحنه أيضا حق التصرف بنسبة 30 بالمئة منه!!. لكن للأمانة،

بعض المراجع يشترط الاحتياط في التصرف أو يحدد موارد معينه، وبعضهم يترك الأمر للوكيل وتقديره. إذهب الى المدن الدينية وانظر حجم الفارق بين بعض الشخصيات الدينية وعامة طلاب العلوم الإسلامية المساكين، وانظر كيف يعيشون عيشة بائسة.

ذكر صديق كان يعمل في مكتب أحد مراجع الدين، قال: في أحد الأيام دعانا المرجع ليخبرنا أنه قرر شراء دار ومحل لولده خوفا عليه من الانحراف!!. بمعنى أن الضرورة دفعته لشراء بيت ومحل لابنه، وإلا فهو يتحرج شرعا من نفقة هذه الأموال!!!. فسألته ولماذا لم يشتر دورا ومحلات لآخرين معرّضين كولده "المدلل" للانحراف؟.

يوما سألني الاخ الصديق محمد توفيق علاوي سنة 1990كم يتقاضى طالب العلم من المرجع الفلاني؟؟ فقلت له ما مقداره 80 سنتا، قال يا أخي أنا أسالك جادا، قلت له وأنا أخبرتك صادقا!! ورأيت يوما تلاً من الأحذية البلاستيكة في مدرسة المرعشي النجفي في شارع إرم بمدينة قم الإيرانية وكان مساكين الطلبة مشغولين يبحثون عمّا يلائمهم منها، وبعضهم أخذته الحيرة أين يجد فردة الحذاء الآخرى، فكل مسك حذاء بانتظار زوجه الثاني!!. كان منظرا مؤلما يجرح مشاعر الإنسانية، خاصة بعضهم شخصيات معروفة لكنها فقيره، عفيفة، لا تحابي حواشي المرجعيات الدينية كي تغدق عليهم من أموال الخمس!!. أتمنى من الجميع الاطلاع على كتب السيد حسن الكشميري التي خصصها لهذا الشأن، وهو رجل دين وخطيب معروف، ومن عوائل علمية

عريقة، فستذهله الأرقام والمعلومات. وستفاجئه حياة رجال الدين وحواشيهم ومشاريعهم وخططهم ودسائسهم وسلوكهم وتصرفاتهم، وهو الوجه الآخر المطموس خلف لفات القماش فوق رؤسهم، والذي يتستر عليه بسطاء المعممين خوفا من فضيحة الحوزة العلمية ورجالها. دعو الناس تعرف الحقيقة ليكفوا عن تقديس العمامة وتنزيهها. افضحوهم كي يكفوا عن تقديسهم والانقياد الأعمى لهم، ويرتبطون بالله تعالى مباشرة من غير وسائط. دعهم ينفقوا أموالهم على الفقراء والمحتاجين، دعهم يتولوا أمورهم بأنفسهم، فما عادوا قصّرا بحاجة لقيّم يدبّر أمرهم.

يوما سألت مجتهدا عن مستقبل ابنه الدراسي، فقال ولدي يروم دخول الجامعة وقد منعته، ونهرته: ماذا تنفعك الشهادة الجامعية؟؟ اعتمر العمامة وادرس في الحوزة العلمية، سيأتوك خاشعين، يضعون أموالهم في يدك طوعا بعد أن يقبلونها، ثم يعودون راكعين!!.. وصدق الرجل فهكذا الناس الطيبين يثقون برجل الدين وهو يستغل صدق نواياهم وإخلاصهم وطيبتهم. لا يطمئن الناس الطيبون ما لم يضعوا أموال الخمس بيد رجل الدين ويقبلون يده، ثم يعودون إلى الوراء بانحنائة تعبيرا عن صدق مشاعرهم وثقتهم. ألا تعتقد أن موقف هؤلاء سيكون طويلا يوم القيامة؟ أنا أعتقد ذلك ما دام هناك عدل إلهي ولا أشك بعدل الله أبدا. لكن كيف نفهّم الناس الحقيقة، وهناك من يزوّرها؟ ومن أين نأتي لهم بالوعي وقد أدمنوا الانقياد والتبعية حداً صارت مقدسة، جزءا من إلتزامهم الديني.

دعانا أحد المجتهدين إلى بيته، فحدثنا عن شخص مقرّب من أحد المراجع، قد زاره مستفسرا عن سبب سكنه في حي متواضع من أحياء مدينة قيم الإيرانية؟ (وكان بيته من البيوت الراقية آنذاك وتعادل قيمته بيوت عدة لمتوسطي الدخل). يقول، فاعتذرت لعدم قدرتي على شراء بيت في المناطق الراقية. فقال لا بأس، انتظرني. ثم في اليوم التالي اتصل من مكتب المرجعية وأخبره بأن المرجع الكبير قد وافق على دفع قيمة بيت جديد، بما يعادل 3 أضعاف بيته الحالي أو يزيد!!. والسؤال: لماذا يدفع له مبلغا كبيرا هو ليس بحاجة ماسة له؟ والجواب: دفع المبلغ لأنه في طور المرجعية العامة وبحاجة الى شخصيات علمية تدعمه وتعزز مكانته في الوسط المرجعي فيضطر لرشوتهم ماليا وصديقنا أحدهم. فصحنا بصوت واحد: اتق اللّه تعالى ولا توافق على استلام المبلغ، وإلا سيكون موقفك عسيرا يوم القيامة، هذا تصرف غير مشروع إطلاقا. فقال وللإمانة إنه رفض الملبغ، واللّه أعلم بحقائق الأمور. والمرجع بسهولة يبرر تصرفه المشين بأنه الأصلح للمرجعية فيجوز تبذير الأموال من أجل تثبيتها وسيادتها!!!!!!!.

رغم فجاعة الأرقام وكثرة الحقائق إلا أن بسطاء الناس ضحية خطاب مزور يخلع على المعممين قداسة تسحر أعينهم حداً يضعون كل ثقتهم برجل الدين. وكمثال على خطاب التزوير، حضرت يوما تجمعا كان يخطب فيهم رجل دين بسيط ساذج يريد أن يشد الحاضرين لزعامة السيد محمد باقر الحكيم والسيد محمود الهاشمي قبل تعيينه قاضي القضاة الشاهرودي أو رئيس السلطة

القضائية الإيرانية. فكان يردد بحركات بهلوانية موحية قبل وبعد ذكر أسمائهم عبارة: (اللهم صلي على محمد وآل محمد .. السيد الحكيم .. نور الزهراء يسطع من وجهه .. اللهم صلي على محمد وآل محمد)، ويستمر بإطرائه وبيان كراماته وهكذا يفعل عندما يذكر السيد محمود الهاشمي. نظرت للحاضرين وقد هيمن الخشوع عليهم، ورقت الدمعة في عيونهم، فصحت به يا شيخ: ليس الذي يسطع في وجوههم نور الزهراء، بل هو مفعول اللحوم والحمضيات عندما تدمن على تناولهما!!!. فضج الحاضرون بالضحك، وحاول تدارك الموقف لكنه فشل. فقال لي بعد انصراف الجميع: لماذا فعلت هكذا وأنا أقصد ربطهم بالقيادة الشرعية؟ فقلت له هل تريد ربطهم من خلال تزوير الحقائق؟ ما تقوله كذب وافتراء محرم. لقد زورت وعيّ الحاضرين، الإمام علي يصف المتقين من شيعته: (خَمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الطَّوَى، يُبْسُ الشِّفَاهِ مِنَ الظَّمَأِ، عُمْشُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ)!!. بينما وجوه المترفين من رجال الدين وأبنائهم تقطر دما، حتى كنت أصطلح على المترفين من أبناء العوائل الدينية، وبعضهم الآن قيادي مرموق في العراق بـ "أفراخ الآلهة". لشدة ترفهم وتعاليهم ورقة وجوههم ودلالهم، وبيوتهم وسياراتهم وحفلاتهم وسهراتهم الليلية، وولعهم بالنساء والأفلام الإباحية. لا يكترثون لأحد ويعتبرون كل ذلك حقا شرعيا فرضه الله لهم دون غيرهم!! لكن أين نضع عدل الله لو صح كلامهم؟؟ يعيشون عيشة الملوك على جهود الناس الطيبين ممن يصارعون الحياة لأجل عيشة كريمة، ثم يدفعهم إيمانه إلى دفع

خمس ما تبقى من فائض مؤونتهم خلال عام، ويحسبون أنها تصل للفقراء. هل يقبل عدل الله أن تسرق فئة من الناس جهود الآخرين لا لشيء سوى لأنهم معممون؟.

يوما كنت بمعية صديق حبيب فرأينا رجلا مؤمنا يتقطر عرقا في ظهيرة يوم لاهب، وهو يؤدي واجبه في تنظيف ممرات الشوارع في مدينة طهران الإيرانية. فقلت لصاحبي، يجب على هذا الرجل العجوز وفقا لمنطق رجل الدين أن يدفع خمس فائض أمواله في آخر العام، (لو حصل عنده فائض طبعا) ويجب عليه تسليمها لرجل الدين النائم الآن تحت مكيفات الهواء في هذا الحر الهجير!!، فتألمنا حد البكاء، ثم قص لي قصة زوجة رجل دين يعرفه شخصيا، ضاق بها الوقت لحضور حفلة زواج، فاستأجرت سيارة من مدينة قم الى طهران العاصمة، ذهابا إيابا، ودفعت مبلغا مضاعفا لتصفيف شعرها عند أرقى الصالونات في شمال المدينة كي تدرك الحفلة في وقتها، فصدمني عندما ذكر تكاليف سفرتها، وهي حقوق شرعية مخصصة لفقراء ومساكين، تتلوى بطونهم جوعا. عن أي تقوى لدى رجال الدين يتحدثون؟؟ بعض يروي رواية عن كتب التراث، تقول: يجب اعطاء الخمس لأبناء السادة (من نسب رسول الله) حتى يشبعوا!!. أما لماذا؟ هل فقط لأنهم من نسب النبي الذي لا يمكننا الجزم بصحة انتسابهم مع وجود فاصلة زمنية طولها 15 قرنا تقريبا؟ ولماذا المترفون منهم ولا يشمل الخمس فقراء من ينتسب لذات النبي الكريم؟ بل لماذا لم ينفق النبي الخمس على أهل بيته وعياله مادام ملكا له؟ ولماذا لا يسد حاجة

الزهراء التي كان يتهرى جلد يديها الكريمتين من طحن الشعير؟ ولماذا لا يشبع بطون أحفاده الطاوية؟. من هنا رفض الإمام الخميني أسوة ببعض الفقهاء تخصيص سهم من الخمس لفقراء السادة، إذ يقول: ليس من المعقول أن يخصص الشارع المقدس أموالا هائلة لعدد محدود من الناس، وبإمكان أخماس سوق "الشورجة" في بغداد أن تغطي نفقاتهم جميعا. لهذا كان يفرض لهم حقا ضمن فقراء المسلمين لا غير. وهذا كلام صائب وفقا لمنطق الدين وكتاب اللّه العظيم. ويبدو ثمة من يشاركه في هذا الرأي أيضا.

حضر صديق حفلة زفاف بنت رجل دين متنفذ لدى المرجعيات العظمى، فكان وصفه لمائدة الطعام مذهلا، وكانت أهم أكلة فيه -كما ذكر -"كبة البرغل" التي وضع في داخل كل واحدة منها قطعة ذهبية، فوقع الجميع بعضهم فوق بعض على أمل اقتناء أكثر عدد منها!!!. وكان والد العروس منشرحا يضحك وقد بدد مبالغ هائلة من أموال المسلمين، هل سيغفر له اللّه تعالى لأنه من نسب الرسول؟ أو لأن المرجع المسكين إئتمنه؟. إنها كارثة، هناك سفرات وسهرات حمراء ينفق عليها من أموال الخمس بسخاء. ما انقله مشاهداتي والموثوق به من الأخبار، أما قصص الترف المالي الديني فحديث طويل ينكأ جُرح الأنبياء والمرسلين حينما يشاهدون بطون أفراخ الآلهة مترعة، وبطون الفقراء تتلوى جوعا.

وماذا حلّ باسطول العقارات الموقوفة ضمن مرجعية السيد أبو القاسم الخوئي والتي ملأت الآفاق خاصة الخليج وأوربا وأمريكا؟.

فهذا المرجع قد أوكل أمر إدارتها الى ابنائه وذراريه وخصص لهم عشرة بالمئة بدلا عن إدارتها، مدى الحياة، ولما مات المرجع، رفض ولده مجيد الخوئي تسليمها لمن بعده، فاضطر المرجع الجديد إمضاء وكالته حفظا لماء الوجه، ولما قتل سيد مجيد أين ذهبت؟؟ سؤال لا يؤرق أحدا، فإنها في حسابات مصرفية خاصة!! ولا حول ولا قوة إلا بالله. هذا الموضوع تم توثيقه من قبل عدد من العلماء والشخصيات والكتاب، فهو ليس سرا إطلاقا. وذكره بالتفصيل السيد حسن الكشميري في كتبه التي فضحت المستور من تصرفات حواشي المرجعيات الدينية ورجال الدين المتنفذين داخل الحوزة العلمية، ككتاب: جولة في دهاليز مظلمة، وكتاب: محنة الهروب من الواقع. حيث أوصى الخوئي بادارة هذه الأوقاف لأبنائه وذراريه مدى الحياة، وفرض لهم عشرة بالمئة من أرباحها؟؟ والحديث عن مرجعية معتمدي السيستاني اليوم أدهى وأمر!!.

س61: طارق الكناني: وهل هذه حالة خاصة بالمجتمع الشيعي أم تشمل جميع رجال الدين من جميع المذاهب والأديان؟

ج61: ماجد الغرباوي: هذه الحالة تشمل طيف كبير من رجال الدين في جميع المذاهب والأديان. والسبب أن رجل الدين يفرض لنفسه قيمومة وولاية على الناس وأموالهم، ويعتبر نفسه وكيلا مخولا من قبل الله تعالى بالتصرف بهذه الأموال، بل إضافة لذلك، يبتزهم من خلال طقوس وتقاليد موضوعة لا علاقة للدين بها، فيصدقها الناس ويدفعون أموالهم بصدق وطيبة متناهية. قرأت عن الفاتيكان وما يعج

به من فساد مالي فظيع، حتى أصبحت مشكلة تؤرق البابوات. المال مغر يا صديقي ألم تلاحظ ما حل بالاسلاميين في العراق عندما أوكلت لهم إدارة البلد؟؟ لهذا حذّر القرآن الناس من الثقة الزائدة برجال الدين، حيث قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ). والتحذير يشمل كل رجل دين يتصرف مثلهم، فالحذر الحذر من زيادة الثقة والوثوق بهم. ما يختلف به الشيعة عن غيرهم أنهم يستوفون عشرين بالمئة من فائض أموال وأرباح الناس سنويا يتصرفون بها تصرفا شخصيا، ويستأثر بها أفراخ الآلهة، نيابة عن الإمام الذي ينوب عن الله ورسوله في أسهمهم من الخمس، ثم يخلقون من خلال سهم قرابة رسول الله طبقية يرفضها الإسلام، غير أنهم يصرون أن المقصود بالقرابة كل من انتسب للرسول.

أموال الخمس تجعل من الفقيه متناقضا في سلوكه، فالمعروف عن الفقهاء لا ينظرون بوجه رجل حليق اللحية، لحرمة حلقها حد الملس، بينما رأيت أحد المجتهدين يحتضن رجلا حليقا بشوق عميق لأنه من الأثرياء ويطمح أن يدفع له شيئا من المال. ربما يقال: لعل الضرورة دعته لحلق لحيته!!. ولو صدق هذا التبرير فلماذا لا ينظر الى وجوه آخرين دعتهم الضرورة لحلق لحاهم؟ أم الفقيه معصوم وواجب الناس تبرير سلوكه وخطأه. المشكلة في وعي الناس وإصرارهم على تبرير أخطاء رجل الدين، لا لشيء سوى أنه يعتمر عمامة كبيرة، ويسدل لحية طويلة، وتستغرق أصابعه أنواع الخواتم الثمينة، ويتحذلق في كلامه وطبيعة جلسته.

س62: طارق الكناني: قد يصدق قولك على بعض الفقهاء الموجودين ولكن المعروف ظاهرا عن حياة مراجع الشيعة الكبار والذين تصدوا للمرجعية الزهد وحياة التقشف حتى أن أغلبهم لايملك دارا يسكنه. وحتى من ملك فدار متواضعة في مساحتها وفي أثاثها. وقد رأيت هذا الشيء بنفسي في دار الحكيم والسيستاني والسبزواري، وحكى لي قبل أيام حفيد الشيخ الآخوند (الشيخ زهير خراساني) عن حياة جده واعمامه وحالة التقشف التي كان يعيشها بالرغم من امكانية امتلاكة دارا واسعة الا انه اكتفى بدار مساحتها 70م2 له ولاولاده المتزوجين في احد ازقة النجف القديمة، هل تعتقد أن هناك حياة ثانية تختلف بوجوهها المرئية لنا يعيشها هؤلاء الناس بعيداً عن عيون الرقيب؟.

ج62: ماجد الغرباوي: مراجع الدين الشيعة خاصة لا يعلمون كيف تدار مرجعياتهم، ويثقون ثقة عمياء بأبنائهم وحواشيهم، ولا يستطيع أحد إيصال أي معلومة تزعج الحاشية والأبناء، لكنهم مسؤولون عن أرائهم التي تساهم في تفشي هذه الظاهرة. وما يدور سرا لا يترشح منه إلا القليل، وما يتسرب لا يكشف سوى جزء يسير من الحقيقة. بعض العارفين لديه أرقام كثيرة وموثقة. وذكرت سلفا أن السيد حسن الكشميري ألف مجموعة كتب تتحدث عن ظاهرة الفساد المالي لدى رجال الدين في حوزات العراق وإيران أحيل بسببها لمحكمة رجال الدين في مدينة قم. وقد ذكرت عناوين بعضها. ثم ليس كل رجال الدين لم يظهر عليهم الثراء والنعيم، فبعضهم يتفاخر بقصره وسيارته وتعدد عقاراته.

ويـذكـر أن كـاشـف الغطـاء المرجـع الـديني المعـروف كـان يتنقـل داخل شوارع النجف بسيارته السـوداء غالية الـثمن، دون الاكـتراث لأحـد، ويـ في إيـران بعضـهم يسـكن أرقـى المسـاكن ويـ في أرقـى الأحياء، ولـه أكـثر مـن دار وعقـار، مـا عـدا المؤسسـات التحقيقية والدينية ذلك الغطاء الشرعي الذي يحقق صاحبه أفضل المكاسب المادية والاعتبارية بجهـود ونتاجـات لا تتناسـب مـع حجـم ميزانية مؤسسـته. المؤسسـات في إيـران نبـع مـالي متـدفق لا أحـد يحاسـب عليه، لذا تصطف الواحدة جنب الأخرى.

لم أقصـد التعمـيم والاطـلاق في كـلامـي، فـبعض رجـال الـدين كملائكة يمشون على الأرض عفة وتقوى وصلاحا وزهدا. وهناك رجال دين مرفّهون بأموال شخصية لا علاقة لها بالحقوق الشـرعية، ومـن كسـب حـلال لا ريبـة فيـه. وأيضـا فـإن أغلـب مراجـع الـدين يتصـفون بالتواضـع والزهـد، غـير أن المشـكلة الأسـاس ثقـتهم الكـبيرة بـأولادهم وأصـهارهم وحاشـيتهم حينمـا يمنحـونهم صلاحيات مطلقة، بدون محاسبة ولا رقابة، ويصدقونهم بسـذاجة فاقعة. بخلاف ما هو مشهور عن مراجع الدين الواعين مـن أصحاب المشاريع الاصلاحية حيث كانوا يتابعون كل شـيء بأنفسـهم، ولم نسـمع عـن تفشـي الفسـاد في مكـاتبهم مـاداموا أحيـاء كالسـيد محمد باقر الصدر والسيد الخميني.

دفـع أحـد أغنيـاء الكـويت مبلغـا كـبيرا لمحمـد حسـين فضـل اللّه، فدعاه فيما بعد لحضـور حفـل افتتـاح مشـروع خـيري. فخاطبـه آنذاك: أموالك التي دفعتها أصبحت مشروعا يخدم الناس!!.

المرجعية المؤسسة

س63: طارق الكناني: طرح عدة فقهاء منهم الشهيد الصدر مسألة المؤسسة المرجعية حيث ارادها ان تكون شبه مقننة تخضع لادارات ثابتة والذي يتغير هو المرجع عند وفاته، وبذلك يمكن ايجاد ثوابت وتحديد لابواب الصرف من الحقوق الشرعية التي ترد، برأيك ماهي الأسباب التي تحول دون تبني المرجعيات لهذه الفكرة.

ج63: ماجد الغرباوي: هذه إحدى مشاريع وطموحات السيد محمد باقر الصدر رحمه الله، وهو مشروع المرجعية المؤسسة أو المرجعية الرشيدة كما يسميها. وفكرتها أن تدار شؤون المرجعية بواسطة مؤسسة دينية واحدة، تعنى بتقاضي الحقوق الشرعية وصرفها في مشاريع اجتماعية ودينية نافعة، وعدم السماح للحواشي وأبناء المراجع التصرف بها كيفما يشاؤون، وحينئذٍ لا يؤثر موت المرجع على عمل مؤسسة المرجعية، بل يأتي اللاحق ليواصل عمل السابق. وهذا مجرد طموح لا يتحقق. المرجعيات الدينية الشيعية مستقلة في نشاطها العلمي والمالي، وترفض رفضا قاطعا الاندماج ضمن مرجعيات أخرى، كي لا تصادرها وتلتهمها. وكل مرجع يروم توزيع رواتب طلبة العلوم الدينية باسمه ومباشرة، وليس باسم مؤسسة جامعة يتلاشى فيها اسمه. لأن المال، والمال وحده يرسّخ مرجعياتهم، فيخصص كل واحد منهم راتبا مستقلا باسمه لطلبة العلوم الدينية مهما كان بسيطا لانتزاع اعتراف رسمي بمرجعيته.

رواتب الطلبة دليل على صدقية المرجع الديني، وأحد أسباب ثقة الناس في دفع أموال الخمس له. بل ويُعرف تصدي الفقيه رسميا للمرجعية من خلال صدور رسالته في الأحكام الشرعية، وتوزيع راتب شهري لطلبة العلوم الدينية، مهما كان ضئيلا. ذلك المبلغ الزهيد الذي يسحق كرامة طلبة العلوم الدينية، حتى أن بعضهم يصرف ساعات من وقته ينتظر دوره في استلامها. للأسف طالما يتحول استلام الراتب الى إهانة، وتوبيخ، عندما ينتظر طالب العلم، مهما كان عفيفا عالما، في طابور طويل كي تصل نوبته ويستلم راتبه الذي قد لا يتجاوز دولارا واحدا، لا يكفي شراء قطعة حلوى لأبناء فراخ الآلهة!!. والغريب أن مراجع الدين يرفضون إيداع رواتب الطلبة في حسابات بنكية تحفظ حيثيتهم وكرامتهم، ويشترطون حضور الطالب شخصيا، وحجتهم التأكد من وجوده. والحقيقة أنهم يبغون اشهار مرجعياتهم أمام الطلبة والناس. وتارة تجد طالب العلم يهرول من مكتب الى مكتب أخر بطوابير مرصوصة كي يستوفي حفنة دراهم يسد بها رمقه ورمق عياله. وقد شهدت تعدد المرجعيات بعد وفاة المرجع الشيعي محمد رضا الكلبايكاني، حيث وصل عددهم الى 12 مرجعا، جميعهم يدفع بحدود 1 -5 دولارات، وكنت أشاهد عذابات البؤساء وهم يتلوون تحت سطوة تقاليد ليس فيها رحمة واحترام لكرامة الناس.

المؤسسة تعكس وجها حضاريا للمرجعيات الدينية المتفرقة، وتحفظ كرامة طلبة العلوم الدينية، وتمنع الفساد المالي والتصرف اللامشروع بأموال الخمس، وتنفق مواردها في مؤسسات خدمية

وعلمية نافعة، وتوظف أموالها بشكل يعزز أرصدتها.

طبعا المعروف أن أبناء المراجع ورجال الدين الكبار وأبناء العوائل الدينية المعروفة أي جميع **أفراخ الآلهة**، كما اصطلح عليهم دائما، لا يقفون مع طلبة العلوم الدينية، بل تصلهم الرواتب الى بيوتهم إكراما لهم وحفظا لحيثياتهم، غابوا أم حضروا، درسوا أم لم يدرسوا، فإن إرثه الاجتماعي الديني -يمنحه حصانة وفارق طبقي على حساب كرامة وحيثية الآخرين.

س64: طارق الكناني: يذكر الدكتور علي الوردي رحمه الله في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث عند دراسته للمجتمع الكربلائي والنجفي وايضا في اغلب كتبه، ان سبب ديمومة المرجعية الدينية في النجف هو أن زعامة المرجع وادارته تنتهي بوفاته، ثم يأتي مرجع آخر بإدارة وكادر يختلف عن سابقه، وبذلك تنتهي كافة الامراض التي كانت موجودة في تلك المرجعية ولا ينتقل شيء منها للمرجعية الجديدة من هنا صار من الصعب اختراق المرجعيات من قبل المتربصين .. وهذا يخالف نظرية الشهيد الصدر محمد باقر.. فما تقول في هذا الرأي؟

ج64: ماجد الغرباوي: شهدت وفاة عدد من المراجع، وعاصرت عددا من المرجعيات، فلم أشهد اختلافا جوهريا ما عدا مرجعية الشهيد محمد باقر الصدر، ومرجعية الإمام الخميني الذي توقف ولده أحمد عن استلام الحقوق الشرعية بعد موت أبيه ونقل ما تبقى منها للمرجع الجديد.

وكذلك فعل نجل آية الله عبد الكريم الأردبيلي بعد وفاة والده قبل أيام وهي مواقف غير مسبوقة بل المعروف عن أبناء المراجع الاستئثار بما تبقى من أموال بعد وفاة أبائهم. لا يمكن التخلص من هذه الظاهرة إلا بوجود مؤسسات ينحصر بها حق التصرف وفقا لضوابط قانونية صارمة.

الفساد المالي في الحوزات العلمية يتفاقم طرديا مع وفرة الحقوق الشرعية. المشكلة في الثقافة الدينية التي تبيح لهم التصرف بالمال العام، فلا خلاص إلا باجتثاثها، سواء تغير طاقم المرجعية أم لم يتغير فالثقافة المريضة واحدة.

فالخوئي مثلا حصر الإشراف على جميع الثروات بأبنائه وذراريه مدى الحياة، وقد أمضى وصيته عدد من كبار رجال الدين!!. فهل اعتبر ثروات المسلمين ملكا خالصا له؟؟.

إنها حقوق شرعية وليست ثروات خاصة كي يفرض إرادته عليها. أموال الفقراء والمسلمين. أموال مخصصة للجياع والمحرومين.

ثم ما ميزة أبنائه أو ما يصطلح عليهم في وصيته بالطبقة الأولى كي يفرض لهم عشرة بالمئة من أرباح أسطول العقارات المنتشرة في جميع أنحاء العالم، والتي لا يعلم بها سوى دائرة خاصة من مقربي المرجع؟. وهل تعلم كم سيصبح دخل كل واحد منهم، وهم قليلون؟ وهل نظمن عدم انتقال ملكيتها لهم فيخسر المسلمون ثروات طائلة يفترض أنها مخصصة للفقراء والمشاريع الإسلامية؟.

إنه ثراء على حساب أموال المسلمين بل ومستقبل أبناء الطائفة الشيعية، فكيف يواجهون ربهم؟ وهل حقا يؤمنون بيوم الحساب؟.

وما هي ميزة ذراريه كي يبقى الإشراف الإداري والمالي منحصرا بهم دون بقية المؤمنين؟ وقد طالب الفقهاء من بعده اختيار الأصلح منهم. بمعنى آخر ستبقى ذرية الخوئي تتحكم باسطول المال الشيعي إلى الأبد. خاصة قد سجلت باسمائهم في دول الخليج وأمريكا وأوربا وإيران وأفريقا.

بأي دليل يتصرف الخوئي بهذه الطريقة؟ وما هي مبرراته الشرعية؟ بل أين هي مشاريع الخوئي الخيرية قياسا بحجم الأموال الهائلة التي تحت تصرفه وتصرف أبنائه وذراريه؟.

لا أحد يسأل خوفا على مستقبله الديني. ولا أحد يحاسب خوفا من عقوبة غير محسوبة تطيح به.

س65: طارق الكناني: إن ما ذكرته بخصوص دفع أموال الخمس للمراجع مصحوبة بتقبيل الأيادي، هذه حقيقة أراها كل يوم، وهي تعبير عن الشعور بالاطمئنان لأنه يعتقد جازما أن هذا (المرجع) هو ظل الله في الأرض وهو الحاكم الشرعي الذي تجب طاعته، وبالتالي فهو لا يشك ولو للحظة واحدة بعمله بل ويعتقد أنه قد أدى واجبه الشرعي تجاه الدين وأدى أوامر الله عزّوجل.. هل تعتقد أن النصيحة والتوجيه ينفع مع هؤلاء الناس؟

ج65: ماجد الغرباوي: المشكلة أن أغلب من يدفع الحقوق الشرعية من الناس المؤمنين، الطيبين، الصادقين مع الله ومع أنفسهم، فيثقون برجل الدين، ويطمئنون نفسيا حينما يستلم منهم مباشرة. وصدقت أنهم يعتقدون أن المرجع أو رجل الدين ظل الله في

أرضـه، فويـل لمـن يسـتغل طيبـة هـؤلاء، ويسـرق أمـوالهم. ينبغـي تـوعيتهم، وتفقههـم بالـدين، ليتحملـوا مسـؤولياتهم حينمـا ينفقـون حقـوقهم الشـرعية في غـير محلـها. ينبغـي أن يفهـم هـؤلاء النـاس أن رجل الـدين كـأي إنسـان عـادي، قـد يصـدق، وقـد يكـذب. تغريـه الأمـوال ومفـاتن الـدنيا، فينبغـي لـه التثبـت والتحقـق مـن مصـير أمواله، أين تذهب؟ وكيف تصرف؟. علينا تثقيف الناس على النقد والسؤال، مهما كانت منزلة رجل الـدين فـلا قدسية لأحد بمنطق القـرآن الكـريم. بـل مـن يتصـدى للمسـؤولية يلاحقـه النقـد دائمـا. ويجب أن يفهم النـاس جميعا عدم وجود دليـل شـرعي يفـرض تسـليم الحقوق الشرعية لرجل الدين أو المرجع. ويجب التحري عن المستحق مـن النـاس لتسـليمه حقـه الشـرعي، والبحـث عـن مصـالح المسـلمين العامة لمساعدتها، إذا صدق أنها مؤسسـات خدمية تخدم المجتمع.

أعود وأقول إن أفضل طريقة لصرف أموال الخمس الشيعي (لمن يـؤمن بوجـوب دفعـه كـاملا) أن تشـكّل في كـل منطقـة لجنـة مـن الأخيـار وأهـل الخـبرة، تسـتلم الحقـوق الشـرعية وتنفقهـا علـى المستحقين وأعمال الخير وفق دراسـة جميـع المتطلبـات والضـرورات. ومـا لم تضـمن أيـن تصـرف أموالـك عنـدما تسـلّمها لرجـل ديـن أو مـرجـع ديـني تبقـى مشـغول الذمـة بهـا، ومسـؤولا عنهـا أمـام اللّه. ولا يشـفع لـك كونـه رجـل ديـن أو كونـه يعتمـر عمامـة كـبيرة ولحيـة طويلة فتسلمه حقوقك الشـرعية بثقـة وسـذاجه. تأكـد أولا أنـه ثقـة مأمون يخـاف اللّه، ورجـل واع يعـرف أيـن ينفـق هـذه الأمـوال بأمانـة وأخلاص وحكمـة وتدبر سليم. بهذه الطريقة فقط يمكـن الحفـاظ

على حقوق الفقراء والجياع والمساكين، وبنفس الوقت يمكن من خلال مشاريع ناجحة تنمية رؤوس الأموال وتوظيفها ضمن مشاريع طويلة الأمد تدر أرباحاً تصب في خدمة مشاريع الخير وانقاذ المعوزين، وسد رمق المحتاجين. فالاشراف على جميع الحقوق الشرعية وإدارة صرفها من قبل لجنة داخل كل منطقة أمر يسير جدا، وممكن جدا، ليس فيه أي تبعات شرعية بل فيه حفظ لأموال الفقراء وتنمية لثرواتهم من خلال مختلف المشاريع الممكنة.

طبعا هناك رجال دين كالملائكة في حرصهم وتقواهم وتفانيهم وإخلاصهم، وهؤلاء تبرأ الذمة وتطمئن لهم النفس حينما تدفع لهم حقوقك الشرعية، وتضمن وصولها لمستحقيها، أو إنفاقها في أعمال الخير.

ويبقى الوعي رهاننا في إنقاذ أموال الفقراء أو صرف الخمس في مصالح المسلمين والحد من تمدد رجل الدين والتلاعب بمقدارت الناس وأموالهم.

وكلنا أمل أن نشهد ولادة لجان من أهل الخير تنقذ أموال الفقراء وتوظفها لخدمة مصالحهم ومستقبلهم، فنكون قد ساهمنا في احياء هذه الطبقة المعدمة، ونجحنا في إعادة تأهيلها اجتماعيا، بعد أن أقصاها الفقر بعيدا عن وسطها الاجتماعي.

المحور السابع

الولاية التكوينية واللامعقول الشيعي

س66: طارق الكناني: شكرا لك أستاذ ماجد الغرباوي على هذا الاسترسال الجميل في توضيح هذه النقاط العقائدية التي أسست لثقافة القطيع وبيّنت مدى الخطر الجسيم الذي وقع فيه المجتمع باتباعه هكذا ثقافة.. هناك حديث يتداوله الفقهاء ومن يطلق عليهم عوام الناس على حدٍ سواء: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). فما المقصود بإمام الزمان في هذا الحديث؟ وإذا كان الامام غائبا ولا يمكن الالتقاء به من قبل أي شخص فكيف يمكن معرفته، وكيف نحقق ذلك، ونحن لم يتسن لنا رؤيته، أو سماع فتاواه مباشرة كما في حياة بقية الأئمة؟

ج66: ماجد الغرباوي: هذا من الإشكالات القوية جدا، لولا منطق التبرير الذي لا يستسلم، خوفا من انهيار المذهب برمته كما يعتقدون. والحقيقة لا ينهار التشيع بانهيار هذه العقائد، ولا مبرر لهذا الخوف مادام مذهبا فقهيا رصينا. بل سينتعش ويجدد روحه ومفاهيمه ولا ينتكس ثانية إطلاقا. فينبغي لفقهاء الشيعة إعادة النظر بمفردات العقيدة بشكل تكون منسجمة مع صريح القرآن الكريم والعقل، خاصة إن مذهب أهل البيت فيه مقومات البقاء والاستمرار بقطع النظر عن عقائده، فهو مذهب متجدد، يرتكز كثيرا للعقل والمنطق في مجال الفقه والفكر، ويستطيع مواصلة مسيرته بثبات مع انفتاح باب الاجتهاد وعدم الجمود على التراث، مما يعطيه مرونة كافية لمواصلة دربه الفقهي بثبات.

نعـود للسـؤال: كمـا ذكـرت منطـق التبريـر لا ينهـزم فقـالوا إن فائدة المهدي وهو غائب كفائدة الشـمس. فكمـا للشـمس فائـدة لا غنى للحياة عنها، سواء كانت السماء غائمة أم لا فأيضا للإمام ضـرورته حتـى مـع غيابـه. فهنـاك فوائـد مجهولـة لنـا كمـا يقولـون، وأخرى معروفة. مهام لا أعرف من أناطها به شخصيا، إلا إذا شملته العناوين العامـة فيكـون أحـد مصـاديقها، وحينئـذ لا خصوصيـة لـه ليمتاز بها على غيره.

فمـن جملـة مهامـه مـثلا أن يسـتغفر لأهـل الأرض كـي يتفـادى باستغفاره عذابهم. وهـي دعوى بلا دليل، لا تشملها آية: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ). فالضـمان الأول لعـدم نـزول العـذاب وجـود الـنبي حيـا بيـنهم (وأنـت فيهم). وثاني الضمانيين، استغفار الناس أنفسهم (وهـم يسـتغفرون) والمهـدي أحـدهم. فـلا دليـل علـى ضـرورة وجـوده مـن هـذه الناحيـة، لعـدم توقـف عـدم نـزول العـذاب علـى اسـتغفاره بالخصـوص. وقـد تشبث بعضهم بهذه المهمة كمبرر لوجوده حيا، وهـي كمـا تـرى في تهافتها. مجرد تبريرات لقضية غير معقولة.

المثير للدهشة حينمـا يتلـوى الإنسـان مهمـا كـان مقامـه العلمـي تحـت سـياط الإيـديولوجيا!!!، فيضـطر لتفسـيرات وتـأويلات تواجـه تحديات عقلية ومنطقية، أليس الأجدر أعادة النظر في نفس المعتقد للتأكـد مـن صـحته وسـلامته، وعـدم مخالفتـه للقـرآن والعقـل، بـل وضمان مؤيد قرآني صريح له؟. فلماذا الاصرار على عقائد غريبة لا يتوقف عليها التشيع كمذهب فقهي، بما فيها عصـمة الأئمـة. وقـد

فتتْ في عَضده، وما تزال تعاني من تبعاتها مدرسة أهل البيت؟.

وقرأت رأيا غريبا يقول: لا يشفع للناس استغفارهم طالما يقترفون المعاصي. ولولا استغفار المهدي المعصوم من كل ذنب لنزل العذاب!. ولا أطيل الوقوف مع هذا الرأي، يكفي أن الدافع للاستغفار اقترافهم للمعاصي، وإلا لا داع للاستغفار أساسا، فلماذا يفترضه القرآن الكريم شرطا؟. ثم آيات الرحمة والمغفرة فتحت أحضانها للتائبين، وتعهدت بمغفرة من الله عزوجل، فكيف لا يغفر لهم؟.

لكن منطق التبرير لم يستكن، ولم يهرب فقدّم رأيا فلسفيا لتبرير وجود الإمام ولوغائبا. ويَحسب أصحاب هذا الدليل أنهم أغلقوا منافذ الشك إلى الأبد، لكنهم واهمون. فقالوا إن للإمام دورا وجوديا. واستدلوا بأدلة واهية لا تصمد أمام النقد العلمي الموضوعي، بل وتتقاطع مع القرآن، حينما تتمادى في الشرك بالله تعالى. وقالوا: الإمام يقع ضمن علل الوجود أو واسطة في الفيض كما يعبّر العرفانيون. وقد تبنت هذه الفكرة مدرسة قم حاليا برئاسة (الشيخ جوادي آملي) وتلميذه (السيد كمال الحيدري). والفكرة برمتها لا دليل عليها من القرآن، سوى أوهام بعيدة كل البعد عنه، ويشملها قوله تعالى: أتقولون على الله ما لا تعلمون. يا سيدي الله يصف نفسه: "شديد المحال" و"ليس كمثله شيء"، و"لا تدركه الأبصار" فكيف وضعوا له وسائط في الخلق من الإنس والجن والملائكة وهو يقول إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؟؟، وهذا وإن لم ينف الوسائط، بدليل بعض الشواهد

القرآنية، بل وتقتضيها طبيعة الخلق. ومن باب ربط المسببات بأسبابها، فهي، أي وسائط الخلق، لا تشمل الإنسان الذي يختلف سنخا وجوهرا عن العلل الحقيقية؟ ولو سلمنا أيضا بعدم وجود الاختلاف فكيف نستدل على شمولها لهذا أو ذاك من الأشخاص؟. والآيات التي تتحدث عن إرسال الباري تعالى الملائكة أو الريح لتنفيذ بعض أوامره لا تعني أنها أصبحت واسطة في الخلق والتدبير، بل يقتصر دورها على تنفيذ أوامر الخالق تعالى بآليات مجهولة لنا. فعندما تبعث إدارة صيانة الشبكة الكهربائية عاملا لاصلاح عطل كهربائي لا يعني أنها منحته حق التصرف بالشبكة، بل تقتصر مهمته على معالجة الخلل وإصلاحه، فلا تتأثر بعمله شبكة الكهرباء، ولا يستطيع التأثير على نظامها وطبيعة عملها. فأيضا بالنسبة للملائكة والجن، وغيرهما.

فكرة العقول العشرة التي اعتمدوها في بناء نظريتهم تعود للفكر الفلسفي اليوناني القديم، فأخذها المسلمون وأعادوا بناءها. وملخص الفكرة: بما أن اللّه بسيط وواحد من جميع الجهات، فلا يصدر من الواحد إلا واحد، فخلق العقل الأول الذي يشبهه مع حيثية إضافية، والعقل الأول خلق العقل الثاني مع حيثيتين، وهكذا حتى تصل للعقل العاشر، أو العقل الفعّال الذي فيه صور جميع الأشياء. فأعاد فلاسفة المسلمين انتاج الفكرة في ضوء عقائدهم. وسماها الفكر العرفاني الشيعي بـ "وسائط الفيض"، ومفادها إن تحقق الموجودات خارجا تحتاج لموجد وخالق وهو اللّه حينما يفيض عليها من وجوده. ويسمى بالفيض التكويني

في مقابل الفيض التشريعي. لكن هذا الفيض الإلهي يحتاج وفقا لنظام الوسائط، لواسطة تحقق ذلك الشيء خارجا،. ووسائط الفيض هم النبي والأئمة. ويمثلون لفكرة "وسائط الفيض" بشخص يريد أن يدوّن أفكاره على الورق، فيحتاج إلى قلم لكتابتها. فالفكرة هي الفيض، والقلم هو واسطتها للتحقق خارجا. أي يكتبها على الورق. والكلام بهذا الحدود صحيح، فالفكرة لا تنتقل للورق إلا بوجود القلم. أما بالنسبة للّه تعالى فالأمر مختلف جملة وتفصيلا، وما علينا سوى الإصغاء لكتابه حينما يتحدث عن الباري تعالى وصفاته. فاللّه ليس كمثله شيء، وشديد المحال فكيف نقيس البشر عليه؟ ثم لماذا لا تكون الوسائط أنظمة وقوانين تنظّم حركة الكون؟ وهو أمر جليل ومتجسد بكل وضوح لنا، حيث أن حركة الكون منضبطة بقوانين صارمة.

وهنا لهم أجوبة وكلام طويل يبعث على الغثيان بسبب تقاطعه مع القرآن والعقل والمنطق والاصرار على قياسه تعالى بالإنسان.

الخطأ المركزي في الفكرة قياسهم وحدانية اللّه عزوجل على الواحد كما هو في مفهومنا، أي الواحد وجودا كما هو في الخارج، أو كما في الذهن، ثم جردوه من كل حيثية ليبقَ بسيطا لا يصدر منه إلا واحد وهو العقل الأول. واللّه عزوجل شديد المحال لا يمكن للعقل البشري إدراك كنهه ومعرفة حقيقته. وهذا تدخل في شؤونه بل تمهيد للشرك بربوبيته. ثم من قال: إن الأئمة أحد وسائط الفيض الإلهي؟ ألا يستبطن هذا الكلام تقديسا يتطلب الاستدلال عليه وجود نصوص قرآنية واضحة، بينة، لا لبس فيها،

بخصوصهم، كي تكون حجة على الناس جميعا؟.

المهم بالنسبة للخط العرفاني الشيعي استطاع أن يجد مبررا لوجود الإمام ولو غائبا، فلديه مهمة وجودية لوقوعه ضمن علل الوجود على رأي. أو واسطة في الفيض الإلهي على رأي آخر. وهذا كلام بلا دليل، ولم يصرّح به الكتاب الكريم، ويرفضه العقل والمنطق السليم جملة وتفصيلا. ولا أدري كيف آمن بها العرفانيون!!. فهنيئا لهم ولأحلامهم وأوهامهم وغثيانهم وتعسا لعقول رثة في وعيها، تهجر القرآن والعقل والمنطق وتصدق هذه الهرطقات.

س67: طارق الكناني: هل أفهم من كلامهم أن بإمكان الإمام التصرف بالكون؟ وهل سيواصل الأئمة تأثيرهم به حتى بعد مماتهم؟

ج: 67: ماجد الغرباوي: نعم، الإمام حسب رأيهم يؤثر في الكون ويمكنه التصرّف به باعتباره أحد علله، فالعقول العشرة كما مر كالخالق في صفاته، فكل عقل خلق ما بعده.

هل يعقل أن هذا الكون العظيم الذي خلقه الله تعالى وفق قوانين بالغة الدقة وضعه تحت تصرف النبي والأئمة وهم بشر؟؟!! لكنها الآيديولوجيا حينما تنقلب إلها، خاصة والتراث يرفد عقائدهم بسخاء، ويضع بين أيديهم نصوصا تعضّد آراءهم. ألم يرووا عن الإمام علي خطبة طويلة يتحدث فيها عن قدراته الوجودية

في إنزال المطر وتصريف الرياح إلى آخر الخطبة. هذا فضلا عن دورهم المزعوم في يوم القيامة: "إلينا إيابكم وعلينا حسابكم:، كما جاء في نصوصهم!!.

لكن ألم يسألوا أنفسهم: كيف يكون الرسول والأئمة عللا وجودية وقد ماتوا فعلا بشهادة الباري عزوجل؟؟ والمعلول كما هو معلوم فلسفيا ينتفي بانتفاء علته، فلا وجود له مع انتفاء علته لأي سبب، ذاتي أو خارجي. ولا يكفي بقاء العلة الأولى وهو الله لتوقف تأثيره بالموجودات على وجود الوسائط حية فاعلة كما يفترضون، وقد ماتت هذه الوسائط فلماذا بقي الكون شاخصا؟.

وهل ينكرون موتهم؟ والله عزوجل يخاطب نبيه: إنك ميت وهم ميتون، (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)؟.. فكيف للميت أن يكون علة وجودية للكون؟؟ إنه هراء واستهبال للعقول الساذجة، ودليل على قلة ورع وخشية من الله عزوجل. لم يجدوا وسيلة لترويض العقل وإقناعه بهذه الأفكار سوى التراث والمغالطات الكلامية. لحد الآن لا أفهم لماذا الاستماتة في الدفاع عن عقيدة تواجه هذا العدد الكبير من التحديات، وعقيدة لا يتوقف عليها مذهب أل البيت إطلاقا. وقد مضى التاريخ وانتهت الصراعات والجدل الكلامي ونحن نعيش عصرا جديدا في ظل تقدم حضاري ينظر لنا بعين الريبة، ويفكر باستئصالنا لأننا شعوب بلا فائدة سوى العنف والخرافة. اتقوا الله سيكون موقفكم صعبا أمام الله عزوجل حينما يسألك الباري عزوجل من أين عرفت لا يصدر مني إلا مخلوق واحد وبيدي كل شيء وأنا على

كـل شـيء قـدير؟ وبـأي دليـل جعلـت لـي شـركـاء في الخلـق مـن عبادي، فنسبت لهم الخلق بذريعة التجلي. ألا تتقون؟ إنها جرأة على اللّه تعالى، لا أدري كيف سيكون موقفهم يوم القيامة.

لكنهم فسـروا المـوت بشـكل آخـر هروبـا مـن هـذا الإشـكال القوي، فقالوا: إن الإنسان لا ينتفي بالموت، بل ينتقل من عالم إلى عالم آخر، ومن حياة إلى حياة أخرى، ولا يُبلى سوى الجسد.

صحيح أن الإنسان ينتقل بالموت من عالم إلى عالم آخر، لكن متى ينتقل لحياة أخرى؟ أليس في اليوم الآخر؟. (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ .. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟). فالآية تؤكد موت الإنسان ثم بعثه. بل أن مفهوم البعث الذي يشمل البشرية جمعاء، يستبطن الموت ضرورة، فلا يصدق مفهومه بلا موت، وبهذ يتضح خطأ تفسير الموت بالانتقال من عالم إلى أخر مباشرة دون المرور بمرحلة موت حقيقي يفقد معها الإنسان الحياة مطلقا، مهما قصرت مدته. وخطابات الكتاب العزيز في هذا الشأن مطلقة، لا تقبل التخصيص بلا دليل قطعي السند والدلالة، أي آية مباركة من الكتاب العزيز، وهذا منتفٍ في المقام. بل أن آية (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) شاملة وتؤكد مرور كل إنسان بمرحلة الموت (الفناء المطلق) حتى مع افتراض وجود عالم البرزخ (عالم القبر، بين الموت والحياة).

وحينئذٍ، ماذا سيكون مصير المعلولات الخارجية (الكون بتفصيلاته) التي يتوقف وجودها عليهم (أهل البيت) باعتبارهم

ضمن علل الوجود أو وسائط في الفيض كما يعتقد أصحاب الولاية التكوينية؟ فكيف بقى الكون شاخصا مع الجزم بموتهم، أي موت علل وجوده؟ علما أن افتقار المعلول للعلة أو جزء العلة افتقارا ذاتيا، فهي عدم بعدمها ولو للحظة واحدة. ألا يدل وجود الكون شاخصا على بطلان هذه الفكرة جملة وتفصيلا؟ وبالتالي، فعلاقة الموجودات الخارجية بعللها كافة لا يشبه علاقة الفكرة والقلم في المثال المتقدم، لأن علاقتها بالعلة علاقة وجودية، وهي تفتقر في وجودها لوجود علتها في كل آن وزمان، فتكون عدما بعدمها ولو للحظة أو آنٍ ما، مهما كانت ضآلته زمنيا. وهذه العلاقة تختلف عن مثال الفكرة والقلم، إذ الفكرة استغنت عن الواسطة بعد كتابتها. بل استغنت حتى عن صاحب الفكرة أي العلة الأولى، وأصبح لها وجود خارجي مستقل. بينما تختلف علاقة العلة وجزء العلة بالنسبة للموجودات الخارجية، لأنها ستكون عدما بعدم علتها أو جزء العلة ولو للحظة واحدة. ونحن نجزم وفقا لآيات الكتاب الكريم الصريحة الواضحة أن الواسطة قد انتفت في لحظة ما، بالموت أو حال انتقالها من عالم إلى عالم آخر، أو لحظة خروج الروح من جسدها. ولا يمكنهم نفي لحظة الفناء المطلق، حتى لو فسروا الموت بالانتقال من عالم إلى آخر، باعتبارهم - كما يقولون -نورا قبل خلق السماوات والأرض كما جاء في الروايات، وقد عادوا بعد أن تلبسوا الجسد فترة حياتهم ولم يمروا بلحظة الموت الوجودي، وهم أحياء عند ربهم يرزقون. وهذا الكلام ينظّر له علماء كبار كصاحب كتاب تفسير الميزان السيد محمد

حسين الطباطبائي، وكتابه يعد موسوعة علمية، لكنه يتخلى عن عقله حينما يصل إلى العقيدة الشيعية فينبري للدفاع عنها ولو بروايات ضعيفة فضلا عن تأويل بعض الآيات. التعصب يا سيدي غريب، والشعور الأيديولوجي يحطم العقل ويلبّد الوعي.

وحقيقة لا أفهم سبب هذا الإصرار؟ ولماذا الجهود المضنية في تطويع القرآن والعقل، علما أن هذه العقائد لا تؤثر على مستقبل الإنسان وعمله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وتورث الغباء والتنازل عن العقل والمنطق.

بأي دليل اعتبروا النبي والأئمة أنوارا قدسية خُلقوا قبل خلق السماوات والأرض"؟ وكيف عرفوا أنهم تلبسوا الجسد فترة حياتهم ثم عادوا يحفون بالعرش؟ وكيف تفسر قوله تعالى حينما يستعرض خلق الإنسان، مطلق الإنسان بما فيهم رسول الله الذي يؤكد أنه بشر مثلنا، هل شملتهم أم لا؟ إذا شملتهم أطوار الخلق، وقد شملتهم فعلا، فيشملهم قوله تعالى إنما أنا بشر مثلكم، ولازمه موت الإنسان بمعنى الفناء "كل نفس ذائقة الموت". وإذا لم تشملهم -كما يعتقدون -فهم من طينة أخرى كما في روايات الغلو (شيعتنا خُلقوا من خالص طينتنا)، لكن كيف ينسجم كلامهم مع قوله تعالى: خلقكم من نفس واحدة؟ وبأي آية من كتاب الله استدلوا على كلامهم؟.

العقل فوق النص في مجال العقيدة: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا). فرغم أنها آيات الله لكنه

امتدح توقف العقل في قبولها بلا تفكير ولا إدراك، مما يجعل العقل فوق النص، فلماذا يتنازلون عن عقولهم أمام نصوص ليس لها أي اعتبار في حجيتها. وهي ليست كالقرآن الذي هو كتاب عالم الغيب والشهادة حينما تخبر عن قضية غيبية؟ فنحن نؤمن بالغيب تبعا للقرآن، وإلا لا يستطيع العقل الجزم بوجود أية قضية غيبية.

أقرأ الآية التالية واكتشف بنفسك من خلال التاريخ والروايات حقيقتهم البشرية. (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين). وهذا وصف لطبيعة خلق الإنسان مطلق الإنسان.

ثم هل نكذّب الله عزوجل ونصدّقهم، الذي يؤكد (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ). يقول الموت وليس الانتقال من عالم إلى آخر بروحك. الموت لحظة وجودية ثابتة، هي لحظة الفناء المطلق، لحظة الحقيقة التي يتوقف عليها صدق البعث يوم القيامة، فلا يمكن لأي إنسان تجاوزها، مهما كان مقامه. (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، والفناء فناء حقيقي لا مجازي، كما يودون، فمع فنائهم ماذا سيحصل للوجود المعلول سوى الفناء لحظة فنائهم، أي عدم مطلق. وهذا لم ولن يحصل إطلاقا وما زال كل شيء شاخصا أمامنا رغم وفاة رسول الله ومن جاء بعده من الأئمة الذين هم حسب الفرض وسائط في الفيض.

قدرة على التأويل لدى الفكر العقائدي والكلامي الشيعي لا مثيل لها، لو صرفت هذه الجهود لخدمة الإنسان وخدمة قضاياه المصيرية لحصل تقدم حضاري حقيقي.

هؤلاء جعلوا الإنسان يعيش في منظومة أوهام متداخلة ومعقدة من الصعب انسلاخه منها، وسيبقى أسيرها يتفنن في انتاج طقوس ملائمة لها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فمثلا هم لا ينكرون مطلق الموت وشموله، لكن موت أهل البيت حقيقة ليس في عالم الدنيا بل قبل فناء الكون، المرحلة التي تسبق يوم البعث. فكل نفس ذائقة الموت صادقة قضية كلية لكنها لم تحدد وقت الموت ومكانه. لكن كلامهم مغالطة صريحة، فالله عزوجل يخاطب الإنسان ليكون كلامه حجة عليه، وما كلامهم سوى تأويلات تخالف منطق الآيات، وتصطدم بمفاهيم الحياة، الموت، البعث.

س68: طارق الكناني: كأنها فكرة طلاسم وغرائبيات، وهل هناك تفصيلات أكثر حولها؟

ج68: ماجد الغرباوي: وصل الاسفاف بفكرة سلسلة علل الوجود أنها تشمل كل المؤمنين، وباستطاعة الجميع التأثير بالكون ضمن علل وجوده، رغم تفاوت المستويات!!!. أنا لا أدري أي كون هذا الذي يستطيعون التصرف به؟، وهل شاهدنا مشهدا واحدا طول حياتنا تأثر بإرادة شخص ما، وهل نقل لنا التاريخ عن

أحد تصرف أمام الملأ بالكون، وسخره لإرادته؟؟ .. سيُجيب منطق التبرير: لو شاءوا (أي أهل البيت) لفعلوا لكن حكمة الله اقتضت شيئا آخر!! وبإمكانه أن يسرد لك عشرات بل ومئات الروايات والأخبار التي تنقل معاجزهم الكونية!!.

لا أدري أنبكي أم نضحك على هكذا منطق رث لا يحتكم للعقل والقرآن الكريم، ويحصن نفسه بتراث خاو لا دليل على صحة صدوره، فضلا عن تهافت نصوصه.

يوما لبينا دعوة صديق وكان بين الحضور أحد العرفانيين ممن يؤمن بوجود دور وجودي للشخص المؤمن فضلا عن الأئمة. فلما استقر بنا المقام أنتقدت الإيرانيين عندما يندبون علي بن أبي طالب في قضاء حوائجهم والاستعانة به في نشاطهم اليومي. يتوكلون عليه، ويستغيثون به، بينما لا تسمع ذكراً للّه عزَّوجل إلا في أَيْمَانهم وقَسَمهم، وهذا خطأ جسيم. وللأسف لم يردعهم أحد من العلماء. والمعروف أن الإيراني يقوم ويقعد ينادي (يااااااا علي). ثم عقبت، أليس هذا شركا صريحا بالله تعالى؟ فنفى الرجل العرفاني الشرك، قائلا: علي بن أبي طالب يقع ضمن علل الوجود، وعندما تندبه تندب أحد العلل القادرة على التأثير في الوجود، فأي فرق في ذلك إذا ندبت الله أو ندبت إحدى علل الوجود؟. وراح يرتعد حينما استنكرت كلامه. فقال بل كل مؤمن يؤثر في الكون لأنه يقع ضمن علل الوجود. فسألته هل تعني أن كل مؤمن قادر على التصرف بالكون؟ قال: طبعا، وهل تشك بذلك؟. سكت الجميع، خشية تفاقم الجدل، وتطور تداعياته ونحن في مدينة محاكم

التفتـيش، مدينـة يعشـش فيهـا الفكـر الخـرافي والأسـطوري والغنوصي، خاصة عقول الوسط الديني والمسؤولين وجميع النـاس. فقلت لـه بكـل وضوح: هـذا شـرك صـريح بـالله عزوجـل، لأن الله تعالى يقول: ادعوني أستجب لكم. ولم يقل ادعـوا استجب لكـم، كي يقـال بإمكانيـة وجـود واسـطة بينـه وبـين الإنسـان، وإنمـا قـال ادعوني، أي ادعـوني مباشـرة وبـلا واسـطة، فحصـر الـدعوة بـه. بـل شـرط الاستجابة أن يكون الدعاء له مباشرة بلا واسطة.

هـذا التزييـف العقائـدي هـو السـبب الـرئيس وراء تناسـل العقائـد والطقـوس الشـيعية الـتي بـات يخجـل منهـا الإمـام وهـو في عليائـه، لكـن بعـض رجـال الـدين يبـدو لا يخجـل مـع الأسـف الشـديد، بـل يمـارس دورا خطـيرا في نشـرها ومسـاندتها. أنـا لا اسـتغرب تصـديق بسـطاء النـاس والمعتـوهين عقليـا، لكـن أقـف مشـدوهـا مـن إنسـان يدعي الثقافة والعلم يخشـع سمعـه وبصـره عنـدما يسـمع هـذا الهـراء العقائـدي. أسـأل أيـن يـذهب عقلـه ويقظتـه، وكيـف يصـاب بشـلل الوعي فجأة؟. لكنها سلطة التراث بعد تحصين مصادره عبر جهود جبـارة، فأنـت لا تملـك أمامـه سـوى التسـليم والانصـياع لنصوصـه. صدقني أغلب الوسط الشيعي الواعي يرفض هذه الهرطقات ويتألم عند سماعهـا، لكنـه يخشـى جهلـة النـاس وتحـريض رجـال الـدين، ويخاف على نفسه وعياله، فهؤلاء لا يتورعون عن فعل أي شيء، بل يحكمون عليه فورا بالارتداد ويستبيحون دمه.

القـرآن يضـع العقـل فـوق الـنص في مجـال العقيـدة (والـذين إذا ذكـروا بآيـات ربهـم لم يخـروا عليهـا صـما وعميانـا). فلمـاذا يُرمـى

بـالانحراف والارتـداد كـل مـن قـارب عقيـدة غـير منصـوص عليهـا قرآنيا؟ بل بعضهم يتمرغ في وحل الخرافة.

أملـي كـبير بالأذكيـاء، الـواعين، الـيقظين، مـن شـيعة أهـل البيـت، أن يحـاكموا مـا جـاء في هـذا الحـوار مـن أفكـار قبـل الحكـم علـى صـاحبها بـالانحراف، كـي يكتشـفوا الحقيقـة بأنفسـهم، ويسـعوا مخلصـين لمراجعـة عقائـدهم والاعـتراف بخطـأ كل عقيدة لا تنسجم مع الكتاب الكريم والعقل السليم. خاصة وأنهـا لم تعتـبر شـرطا بـأي عمـل عبـادي، ولـن تـؤثر علـى مسـتقبل الإنسان، دنيا وأخرة.

الولاية التكوينية

س69: طارق الكناني: وفقا لما جاء في الزيارة الجامعة أن لأئمة أهل البيت ولاية تكوينية، التي تعني صلاحيات واسعة مذكورة في هذه الزيارة. فما هي المباني التي استند عليها العلماء في اسناد هذه الولاية الى أهل البيت؟ وما مدى صحة الحديث الوارد عن المعصوم (نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ماشئتم) ألا تعتقد إن هكذا منزلة تتنافى مع تواضع وخضوع وعبادة الأئمة وأدعيتهم المأثورة عنهم؟

ج69: ماجد الغرباوي: تعني الولاية التكوينية، التصرف بالكون، باعتبارهم، أي أئمة أهل البيت، ضمن سلسلة علل الوجود، أو واسطة في الفيض!! بينما يصف الله تعالى نفسه بانه غني عن العالمين، وليس كمثله شيء، وهو متفرد بالوجود لا نعرف كنهه كي نفترض له وسائط لفيوضاته. لم يكن له كفواً أحد، وأمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)، (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). والكون ينتظم ضمن قوانين صارمة، لا يتدخل فيها أحد، بل حتى الله عزوجل لا يتدخل بأدائها كي تنتظم حركة الكون والحياة. ونحن بالوجدان نلاحظ كيف تتحكم القوانين بحركة الكون بكل تفصيلاته، وكل الظواهر التي اكتشف العلماء قوانينها لم يعثروا على وجود أي دور للإنسان فيها، لا نبي مرسل ولا إمام منصوب. فنزول المطر مثلا يجري وفق

قانون واضح، لا دخل للإنسان به، وعندما استمطر العلماء السماء استمطروها بنفس القوانين الكونية، فالتغيرات لا تستجيب للإنسان بل للقانون الذي يوظفه. بمعنى آخر لا يستطيع الإنسان أن يقول للسماء أمطري فتمطر، لكنه يستطيع استمطارها من خلال قوانين كونية تمكن من اكتشافها ودراسة آثارها وطبيعة عملها. فنجح في تكثيف الغيوم بواسطة نشر مواد كيمياوية فوق مناطق التصحّر، فمطرت ضمن قانون نزول المطر حينما تتكاثف الغيوم تحت درجة حرارية منخفضة. عن الرسول الكريم: "أيّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب اللّه فأنا قلته، وما جاءكم عنّي يخالف كتاب اللّه فلم أقله".

إن تداعيات الصراع بين المذاهب الدينية كان أحد أسباب إجتراح عقائد بالية لتكريس فضائل تعزز شرعية هذا الطرف أو ذاك، بعيدا عن القرآن والمنطق والعقل. لكن أليس هناك نهاية لهذا الصراع المقيت؟ كم سُفكت دماء بريئة بسببه، وكم ستسفك لاحقا؟ كم استهلكوا وقتا وثروات طائلة؟ كم عطلوا العقول وشوهوا الوعي؟.

إن التقدم العلمي الهائل راح ينسف العقائد المصطنعة والموضوعة الواحدة تلو الأخرى، ومنها الولاية التكوينية، ليثبت بالدليل أن الكون يجري وفق قوانين ثابتة لا تؤثر فيها إرادة الإنسان ورغباته ويمكنه الاستفادة منها وتسخيرها. بل حتى معجزات الأنبياء كما ذكرت تجري بقانون آخر وليس خرقا لقوانين الكون. لذا استبعد جدا أن يقول أئمة أهل البيت وهم عقلاء على درجة كبيرة من العلم

والتقـوى، أسـتبعد أن يقولـوا: (نزهونـا عـن الربوبيـة وقولـوا فينـا ماشـئتم). فرائحـة الغلـو تفـوح مـن هـذه الروايـات، الضـعيفة السـند خاصـة مـع وجـود روايـات بصـيغ أخـرى: (اجعلونـا عبيـدا مخلـوقين وقولـوا فينـا مـا شـئتم). بـل وحتـى لـو ثبـت صـحة سـندها فأيضـا لا حجية لها لتعارضها مـع الكتـاب الكـريم، كمـا تقـدم أكثـر مـن مـرة. رغـم إنـي لا اسـتبعد مطلـق صـدورها عـنهم، فهـم بشـر ولهـم مصالح دينية وسياسية. والتراث ملغوم بعقائد وأفكار مغالية وعلـى الشـيعي الحـذر في التعامـل معهـا، وعـدم التسـليم لأي روايـة مـا لـم تعـرض علـى العقـل والقـرآن ومبـادئ الـدين الحنيـف والصـحيح مـن سيرة النبي وأهل بيته. فالتدبر يجنّب الشيعة مزيدا من الويلات الـتي اسـتنزفت وعـيهم وعقلـهم مـن أجـل الـدفاع عنهـا، واضـطرتهم لحمايتهـا بطقـوس وشـعائر لترسـيخها. إن إيمـان الشـيعة بعقائـدهم إيمـان غـيبي، عـاطفي مسـتفز دائمـا، هـم بحاجـة ماسـة لمراجعتهـا وتهذيبها.

س70: طارق الكناني: هل تستطيع اثبـات هـذا النفـي، وكونـه غير صادر عن الأئمة. أو تنفي وجود هـكذا ظواهر خارقة للطبيعة صدرت عن الأئمة؟

ج70: ماجد الغرباوي: للأسـف لا اسـتطيع نفـي صـدورها مطلقـا فربمـا صـدرت عـن أحـد الأئمـة، فنحتـاج لمعرفـة ظـرف صـدورها، وفهم حيثياتها، فكيـف يكـون رمـزا دينيـا بهـذا الحجـم ويقـول مـا يخـالف كتـاب اللّه، وهـو يـدعونا لـرفض أيـة روايـة مخالفـة؟؟. لـذا

أحتمل أن الإمام كان يقصد بقوله: نزهونا عن الربوبية، تنزيههم من جميع صفاتها بما في ذلك الخلق والتصرّف بالكون أو الولاية التكوينية، والإحياء والرزق إلى غير ذلك. أي تنزيههم من كل خصائص الربوبية والخالقية. وحينئذٍ يمكن أن تصفهم بأي صفة لا تشارك صفات الخالق جل وعلا. فتصفهم بالعلم، والتقوى والإخلاص، والعمل الصالح، وكل صفة بشرية كمالية. وهذا فهم آخر للحديث لا يتقاطع مع القرآن، وبالفعل من يقرأ سيرة أئمة أهل البيت يجدهم مثالا للكمال البشري إيمانا والتزاما وعلما. لكن هل يقبل الغلاة بهذا التفسير؟ وهل يتراجعون عن قناعاتهم وعقائدهم البالية؟

إن الرواية لم تضع سقفا محددا لصفات أهل البيت وتركت الباب مفتوحا للغلو وتزوير الحقائق بحجة نصرتهم: (قولوا فينا ما شئتم)، حتى تمادى الغلاة وارتفعوا بالأئمة إلى مصاف الخالق، بحجة أن ما يقومون به بإذنه تعالى، لكن بلا دليل يدل على تفويضهم من قبله جل وعلا، فأي تزوير وجريمة بحق أهل البيت؟.

س71: طارق الكناني: متى طرحت قضية الولاية التكوينية وهل لها أصل تاريخي تعكز عليه أصحاب هذه النظرية؟

ج71: ماجد الغرباوي: لم تطرح الولاية التكوينية بهذا الشكل إلا مؤخرا، رغم جذورها الضاربة في الفلسفة اليونانية القديمة، التي كانت تعتقد بأن الواحد لا يصدر منه إلا واحد، وبما أن اللّٰه بسيط من جميع الجهات، أي واحد محض فلا يصدر منه إلا

واحد، فخلق العقل الأول الذي يشبهه تماما مع حيثية إضافية، ثم خلق العقل الأول العقل الثاني مع حيثيتين وهكذا حتى نصل العقل العاشر أو العقل الفعّال الذي فيه صور كل شيء. فأخذ المسلمون الفكرة وأعادوا انتاجها في ضوء رموزهم الدينية، ثم طبقها الشيعة على الرسول والأئمة، في ظل تنظير فلسفي عرفاني متواصل فقالوا بأن أئمة أهل البيت واسطة في الفيض والوجود كما تقدم. وبعضهم يعتقد أن الحقيقة المحمدية تمثل العقل الأول، بينما تمثل الحقيقة العلوية العقل الثاني، والتفصيل في محله فهذا حوار لا يستوعب جميع التفصيلات. وقد تقدم الرد على من يدعي وجود ولاية تكوينية، بمعنى التصرف بالكون، لأهل البيت أو لغيرهم.

وتبقى القاعدة السابقة حاضرة في محاكمة جميع العقائد، وهي: (الممتنع عقلا، لا يُحتمل وقوعه خارجا، سواء كان الامتناع ذاتيا، كشريك الباري، أو لعدم تحقق شرطه كاقتراب النار من الورقة شرط لاحتراقها، أو لطبيعة الشيء وتكوينه، كامتناع صدور المعجزات والخوارق الكونية على يد الإنسان حسب طبعه وتكوينه. وما أكد القرآن وقوعه، يُقتصر فيه على مورده). والمقصود الممتنع عقلا بحسب طبيعة الإنسان المألوفة، فالإنسان بطبيعته لا يمكنه التصرف بالكون خارج قوانينه، وهي قوانين ذاتية الحركة، لذا أجاب الرسول مَن طالبوه بآية، وهي المعجزة: (سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا)؟. (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا

كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً).

فالإرادة البشرية ليست ضمن قانون السببية الذي هو ركيزة القوانين وترابطها الذاتي. لا فرق في ذلك بين نبي مرسل وبشر عادي، لذا أجابهم الرسول إنه بشر، والبشر لا يمكنه التصرف بالكون إطلاقا، وليس قادرا على إتيان المعاجز الخارقة للطبيعة، فمطالبكم تعجيزية. وما يقوم به علماء الطبيعة لا يخرج عن توظيف قوانينها، وهي مختلفة سنخا مع الإنسان، لذا تجد كل مجموعة من العلماء تؤثر في جزء من الكون ضمن قوانينه وليس خارجا عنه، وليس لها قدرة تأثير خارج اختصاصها. فمثلا عملية الاستمطار الصناعي ليست تصرفا بالكون بل هي توظيف لقوانين الطبيعة من أجل هطول الأمطار في مناطق التصحر والجفاف. وهذا أمر آخر يختلف عن مفهوم الولاية التكوينية التي يقصد بها استجابة الكون لإرادة صاحب الولاية. فمثلا الأرض تنطوي للإمام متى شاء في سفره، فترى روايات الغلو تحدثك عن زيارات الأئمة الخاطفة، كأن يسافر من المدينة المنورة إلى الكوفة ثم يعود بنفس ليلته. وأحيانا لا هدف له من السفر سوى زيارة أحد أصحابه أو استغاثة أحد الشيعة!!. الغريب ما زال طيف من الشيعة يؤمن بهذا الكلام رغم التقدم العلمي الهائل، الذي راح يرصد حركة الأرض بأجزاء الثانية. والأغرب ذهول أصحاب الكفاءات العلمية حينما يتخلون عن عقولهم، فيؤمنون بهذا الكلام.

مفهوم الولاية التكوينية

س72: طارق الكناني: قد يتساءل القارئ ماهي الولاية التكوينية، وهل يمكن توضيح ما هو المقصود بها؟

ج72: ماجد الغرباوي: تعني الولاية التكوينية: التصرف بالكون، والتحكم بقوانينه. وهذا ما يرفضه القرآن والعقل، ولا يدل على صدقها أي دليل من آية أو رواية. والكون تحكمه قوانين ذاتية الحركة، لا يمكن التحكم بها، أو تخرج عن كونها قانونا. فالقوانين شاملة لا تتخصص، ويبقى القانون قانونا ما لم يؤثر عليه قانون آخر، بما في ذلك الاستثناء، فهي ثابتة منذ الخليقة، وما زالت تجري منذ أن وعى الإنسان حقيقته. ولم يستطع أحد التصرف به وفقا لإرادته، بل التفويض بالشأن الكوني ممتنع عقلا لعدم وجود سنخية بين الطرفين فلا يستطيع التأثير به سوى الله الذي لا نعرف كنهه إطلاقا من خلال قوانينه وأنظمته. بل حتى الله عزوجل يحترم خلقه وقوانينه فتركها تعمل ذاتيا لا يتدخل بها أحد مطلقا. ولو كانت هناك ولاية لأحد فلماذا لم يبادر صاحب الولاية، لانقاذ البشرية قبل أن تحل الكوارث والزلازل والفيضانات؟؟! بل لماذا لم ينقذوا أنفسهم وروايتكم تقول "ما منا إلا مقتول أو مسموم. بل لماذا لم يأتهم الرسول بمعجزة تخشع لها أبصارهم؟ فمن أولى بالولاية التكوينية صاحب الرسالة أم غيره؟ وبالتالي فأي دعوى من هذا القبيل تحتاج الى نص قرآني صريح يؤكدها، فإذا أكد وقوعها، نفهم أنها تجري وفق قانون مجهول

لنـا. ولـيس خرقـا لقـوانين الكـون، لكـن لا تـأكـيد قرآنـي عليهـا. فالولاية التكوينية رغبة وأمنية شيعية أن يكون للأئمة ولاية بمعنى التصـرف بـالكون، كـدليل علـى أفضـليتهم ضـد خصـومهم التاريخيين. فلا تستغرب أن شخصا من عيار آية اللّه، وهو آية اللّه السيد كاظم الحائري يقول في كتابه الإمامة وقيادة المجتمع (ص126): (فإن كان المقصود بالولاية التكوينية خرق نواميس الطبيعة، فإن الإمام "ع" يخرق أحيانا نواميس الطبيعة، ويأتي بما يسمى بالمعجز فيشق القمر، أو يجعل الحصى تسبح، ويمنع النار عن الإحراق، وما إلى ذلك من الأمور التي هي خرق لقوانين الطبيعة، فإن سمي هذا بالولاية التكوينية، **فهو معقول ومقبول وثابت في الكتاب والسنة المتواترة، فلا شك ولا ريب أن الأئمة "ع" أظهروا من المعاجز ما لا يحصى، والمعجز هو خرق قانون الطبيعة** ..).. هل هذا المجتهد يعيش عصره أم ما زال مسكونا بروايات القرون الأولى التي تتحدث عن معاجز وخروقات كونية منسوبة لأهل البيت؟؟ بل وفقا لكلامه فإن جميع علماء الطبيعة والفيزياء والكيمياء والطب اليوم لديهم ولاية تكوينية، فلماذا لا تصدق عليهم وإنجازاتهم لا تعد ولا تحصى، بينما لا نملك أي دليل حسي على ما يقوله هذا المجتهد وغيره، سوى روايات عفى عليها الزمن، يتعذر الجزم بصحتها إطلاقا، لانسداد باب العلم بها، وعدم معاصرتنا لهم. بل لو حصلت فعلا لنقلها عدد كبير من الناس قد يصل حدَ التواتر، وهذا منتفٍ، وأمامك كتب التاريخ لتتأكد بنفسك، هل ينقل تلك المعاجز المدعاة بطرق صحيحة لعدد كبير

من المشاهدين أو الحاضرين حينما حصلت المعجزة؟

وأغرب ما في روايات المعاجز والكرامات عدد شهودها، فطالما ينقل المعجزة شخص أو أكثر لا يتعدى عدد أصابع اليد، وتصل بطرق ضعيفة. فكيف تبنى عقيدة كاملة على إخبار شخص أو شخصين؟ أحد الغلاة يدعي أن الإمام سأله عن مدى شوقه لأهله في الكوفه، ثم فتح له أفقا كونيا نقله فورا إلى بيته بكل تفصيلاته!!!!. هذا الكلام يصدق في عصر الجهل والأمية فما بال بعضهم ينقلها كأنها بديهية لا تقبل الشك؟ تعلمنا من الكتاب الحكيم أن صاحب المعجزة يؤتي بها على ملأ من الناس بكل ثقة وإيمان، بشكل يتواتر نقلها. وإذا جرت في نطاق ضيق يكفي أن اللّه يشهد لوقوعها وجريانها على يد هذا النبي أو ذاك.

طبعا لا استبعد بساطة الراوي وعدم قدرته على اكتشاف الحقيقة، أو أنه يعيش هلوسات، وشغف بالخرافات واللامعقول، فينقل للناس تصوراته وأوهامه الشخصية. وربما شاهد شيئا أو تـرآى لـه، وهـو لـيس سـوى انعكاسـات لـنفس مسـكونة بهـذه القضايا، خاصة وهو يحمل انطباعا ميثولوجيا عن الأئمة، فأي حركة يفسرها على أنها معجزة دون أن يكلف نفسه مشقة البحث عن أسبابها. فالإعجاز هو الأصل في تفسيراته دائما. على العكس من العقل اليقظ الذي لا يكل عن اكتشاف الأسباب الطبيعية لكل ظاهرة يشاهدها.

وهذه حالة طبيعية بعضهم، حيث يتصور أشياء لا واقع لها، ثم تنقلب بمرور الأيام في تصوره إلى حقائق.

س73 : طارق الكناني: هل هناك فهم آخر للولاية التكوينية غير ما ذكرت، لا يخالف القرآن ويمكن تعقله؟

ج: 73 : ماجد الغرباوي: حاول بعض العلماء إعطاء صورة أكثر مقبولية لمفهوم الولاية التكوينية من خلال نظرية وسائط الفيض، فعقّد المسألة من حيث لا يدري، لأن لازم كلامه توقف كل فيض إلهي على وسائطه، وليس خصوص المعاجز والكرامات. فالولاية التكوينية في إطار هذا الفهم تصبح من البديهيات والمسلمات. وهي تعني في رأيه التصرّف وليست شيئا آخر، مستدلا على هذا المعنى بآيات قرآنية. وهي، أي الولاية بمعنى التصرف، منحصرة بالله عزوجل أصالة، ثم جعلها ولاية تكوينية غير مستقلة عن ولايته للأنبياء والأئمة والملائكة والجن، فتكون الولاية التكوينية بهذا الفهم: تجلٍ لولايته جل وعلا، فلا طولية أو عرضية بين الولايتين. فصورتك بالمرآة ليست شيئا مستقلا ومنفصلا عنك. هي أنت وليست شيئا آخر. فولايتهم أيضا ليست ولاية مستقلة بل هي ذات ولاية الله تعالى تجلت فيهم كتجلي صورتك في المرآة. وبالتالي فالذي يتحقق خارجا هو إرادة الله تعالى وليست إرادتهم.

ويمكن تعقل هذه الولاية -كما بيّن -وفقا لنظام الوسائط الذي يتحدث عنه القرآن. فإحياء الموتى بيد الله لكنه جرى على يد عيسى بولايته التكوينية التي هي تجلٍ لولاية الله وليست منفصلة عنه. فالفعل أصالة لله تعالى، لكنه جرى على يدي النبي الكريم من خلال تجلي إرادته فيه. كما بالنسبة للمرآة، فإن الفعل الخارجي لله على يد النبي.

وهنا نسأل: إذا كان القصد من التصرف بالكون توظيف قوانينه، بشكل تجري معاجز الأنبياء وفقا للقانون الكوني، فهذا كلام صحيح يمكن تعقله، كأن اللّٰه تعالى كشف لهم عن قوانين يمكنهم بواسطتها إجراء بعض ما يعجز العقل عن تفسيره آنذاك، وحينئذٍ لا فرق بينها وبين الاختراعات والاكتشافات الراهنة سوى أن المعاجز حصلت في زمن لا أثر فيه للعلوم والاكتشافات، فتبدو معجزة وخرقا لقانون الطبيعة. أما اليوم فالاكتشافات والاختراعات لا تُعد معاجز لمعرفتنا بأسبابها وقوانينها. وشرط صدق هذا الفهم أن يدل الدليل على إلهام صاحب الولاية علما مكنه من إجراء معجزته.

لكن القائلين بالولاية التكوينية لا يقصدون هذا المعنى، بل يقصدون تحقق الشيء خارجا استجابة لإرادة صاحب الولاية التكوينية: "عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون". كما هو الحديث المتداول عندهم. وهذه صفة الخالق تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"، فكيف انتقلت لهم وبأي دليل؟. وبالتالي بناء على هذا الفهم ستخضع الإرادة الإلهية لإرادة صاحب الولاية التكوينية، لأن ولايته كما قال تجل لولاية اللّٰه، وليست مستقلة كي يتصرف متى شاء بالكون ضمن ولايته. فمع كل معجزة تخضع الإرادة الإلهية لإرادته. معاذ اللّٰه تعالى جل وعلا أن تكون هناك إرادة فوق إرادته، بل أقل من ذلك أن تستجيب إرادته لصاحب الولاية التكوينية متى شاء. اللّٰه هو صاحب الأمر والنهي فكيف يخضع لإرادة عبد من عباده؟

ما قلته لازم كلامهم وإن لم يصرحوا به، لأنهم أمام خيارين، إما أن يعتبروا الولاية التكوينية تفويضا إلهيا يوظفه صاحب الولاية متى اقتضت الضرورة، أو يعتبرونها تجلٍ، فتكون إرادة اللّه متحققة من خلال إرادة صاحب الولاية وبالتالي خضوع ولايته تعالى متى شاء صاحب الولاية التصرف بالكون؟

ثم نعود لنسأل: من قال إن المعجزات تحققت خارجا استجابة لإرادة عيسى من خلال ولايته التكوينية؟ ولماذا لا نقول إنها جرت على يد عيسى من خلال وسائط وأسباب طبيعية كالقوانين والأنظمة؟ وحينئذٍ لا حاجة للتوسل بمفاهيم غريبة لا نعرف كنهها كتجل إرادته في عيسى. فربما علّمه كيف يسخّر قانونا لإثباتها؟

وثالثا لماذا لا نعتقد ونحن في ظل اكتشافات علمية هائلة أن نظام الوسائط ما هو إلا قوانين الكون التي تعمل على تنظيمه وضبط حركته، وبالتالي فجميع الأمثلة المتقدمة جرت ضمن قانون طبيعي غاية الأمر أن هذه القوانين ليست مكتشفة لنا لحد الآن، وربما يوما ما يكتشفها العلم الحديث. أو لا أقل يمكنه تفسيرها تفسيرا علميا وفقا لقوانين الطبيعة. سابقا كان الإنسان معذورا عندما يلوذ بالغيب والهرطقات لتفسير مختلف الظواهر أما اليوم فكل شيء تغير، وأصبح من السهل اكتشاف علل الأشياء.

الذين ينظّرون للولاية التكوينية يعيشون خارج التاريخ، وبات شغلهم الشاغل هموم طائفية يستميتون من أجلها، فلا أصداء لكلماتهم إلا في أوساط مسكونة بالغيب، تغض الطرف عما يجري من حولها، لتحتفظ بلذيذ أوهامها.

في تقديري، إن عدم وجود نصوص صريحه تحسم الصراع التاريخي على الخلافة دفعت بعضهم لاجتراح عقائد ترفع من شأن رموزهم الدينية لتعزز رصيد أفضليتهم ومن ثم شرعيتهم. هذا أولا، وثانية: إن الشكوك العقائدية دفعتهم لأسطرة رموزهم في محاولة للتخلص منها، فوضعوهم، من خلال مختلف التفسيرات والتصورات، بمستوى الخالق في قدراته التكوينية. فمن يشك بمعاجزهم يصطدم بولايتهم، فيتهافت الشك أمام مفهوم الولاية التكوينية، ويصبح بلا معنى. فيبقى الشخص هو ووعيه وفطنته في تفنيد دعوى الولاية التكوينية

س74: طارق الكناني: كأنك أستاذ ماجد تشكك في أدلته وطريقة استدلاله، فهل يمكنك توضيح الأمر أكثر؟

ج:74: ماجد الغرباوي: الغريب أن هذا الفقيه يقيم أدلته على مقدمات كأنها بديهيات ومسلّمات متفق عليها بينما هي أدلة قامت على مقدمات وهمية وأفتراضات فلسفيه تراكمت وأستحكمت بمرور الأيام، فلا يتوقف عندها، وهي ليست كذلك، بل وليس له دليل عليها سوى روايات ضعيفة السند، يستدل بها بعيدا عن القرآن والعقل، فيعتبرها حجة ما دامت تعضّد آراءه. بل لا يراعي السياق القرآني رغم وجود قرينة صارفة واضحة جدا في السياق لكنه لا يعبأ بها. فيستدل مثلا على ولاية الجن ومن ثم الإنسان الصالح بقوله تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ

قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ). فالولاية التكوينية، كما يقولون، واضحة بالنسبة للجن لقدرته على التصرف، وأيضا هي واضحة بالنسبة للإنسان بدليل الآية الثانية. أما كيف عرف أن الثاني، الذي عنده علم من الكتاب هو من الإنس وليس من الجن؟ قال: لو كان من الجن لنبّه كما بالنسبة للأول!. وهذا غريب إذ أن سكوت الآية عن تحديد جنسه لا يدل على أنه إنسان، بل سكتت عن تحديده، أو أحالت وعطفت على الأول. فعندما تقول جاء رجل ثم جاء آخر فهل تحتمل أن الآخر ليس رجلا؟. ومع وجود احتمال أن يكون الثاني من الجن أيضا فلا يمكنه الجزم بأنه إنسان، مهما كانت نسبة هذا الاحتمال. فلا توجد قرينة صارفة. فقوله كون الثاني إنسانا لا دليل صريح عليه سوى تأويل لا ينفع في المقام. بل لو كان الأمر ممكنا للإنسان لتصدى له سليمان بنفسه، فيكون معجزة عظيمة بين يديه، لهذا سأل من لهم قدرات خارج قدرات الإنسان، وهم الجن. ولا يمكن أن يكون الثاني إنسانا لعدم قدرته على مخالطة الجن.

والروايات التي تقول إنه آصف بن برخيا ليست حجة علينا، فبيننا وبين سليمان قرون متطاولة لا نستطيع الجزم بشيء سوى ما حدثنا القرآن به، ولو كانت هناك ضرورة لمعرفته لذكرها القرآن الكريم. وما نقله تراث المسلمين منقول عن تراث اليهود، الذي كان منتشرا آنذاك. لكن أصحاب الولاية التكوينية بحاجة ماسه لآصف كي يستدلوا من خلاله على ولاية علي بن أبي طالب

التكوينية، بل لا يستطيعون الاستدلال على الولاية التكوينية لعلي إذا لم يكن آصف وصي سليمان هو المعني بآية: "من عنده علم من الكتاب"، لذا راحوا يتشبثون بكل ما يحقق غاياتهم من روايات ضعيفة وأخبار موضوعة. فمثلا قالوا: إن سليمان كان قادرا على إحضار عرش بلقيس لكن أراد أن يبين فضل وصيه وخليفته من بعده آصف، ليرتّبوا على هذا الكلام أن القرآن أراد أن يبين في آية "ومن عنده علم الكتاب" فضيلة وصي رسول الله محمد وهو الإمام علي!!!. لاحظ كيف يسوق المقدمات وكأنها مسلمات من أجل هدف وغاية آيديولوجية مذهبية طائفية؟. كل واحدة من هذه المقدمات تحتاج الى دليل قطعي السند والدلالة فمن أين يأتي بها؟ ولو كان هناك اتفاق على ما يقول لماذا لا يتحقق الإجماع على صحة وصدق هذه الأفكار؟ أفلا يعقلون؟.

ثم جعل لل "علم من الكتاب" الوارد في الآية الكريمة مدخلية في ولاية آصف التكوينية، بل وهو ملاك ولايته التكوينية عندما أحضر عرش بلقيس قبل أن يرتد طرف النبي الكريم سليمان.

ثم قال: لو لم يكن لعلمه من الكتاب مدخلية في جعل الولاية التكوينية يصبح ذكره في الآية لغوا، فولايته التكوينية معلولة لعلمه من الكتاب، ولو لم يكن له علم من الكتاب لما كانت له أي ولاية تكوينية!!. وهذه هي النتيجة التي يسعى لاثباتها بأي دليل حتى لو كانت مغالطات كي يرتّب عليها أثرا يخدم عقيدته بالأئمة، وهو: إذا ثبتت الولاية التكوينية لمن عنده علم من الكتاب فهي ثابتة بالأولوية لمن عنده علم الكتاب. ومَن عنده علم الكتاب

غير علي بن أبي طالب، كما يقول؟!. فرتّب قياسا على مقدمات واهية، وخرج بنتيجة مذهلة بالنسبة لبسطاء الناس، وهذا ما يريده.

لكن نسى هذا العالم أو أراد أن ينسى: (ليس الوصف مشعرا بالعلية دائما)، ولا يوجد اتفاق بين الأصوليين عليه، فتارة أقول سرق رجل الدين. فكونه رجل دين لا مدخلية له بسلوكه، لأن الدين يرفض السرقة، فيأتي الوصف للتشخيص وليس للعلية. فالذي "عنده علم من الكتاب" قد تكون مجرد وصف لمن قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)، ومع وجود هذا القدر من الاحتمال، مهما كانت نسبته، لا يمكن الالتزام باستدلاله. هذا على فرض كون ما قام به "من عنده علم من الكتاب" هو ولاية تكوينه، أي حق التصرف أو القدرة على التصرف بالكون، سواء كان تفويضا أو باعتباره ضمن علل الوجود أو سواء كان تجليا لإرادة اللّه كما يقول صاحب الكتاب.

ولماذا لا نفترض أنه استخدم وسائط علمية مازالت مجهولة، رغم وجود مؤشرات كسرعة الضوء؟ فهل كل وسائل العلم الحديث تصرفا بالكون وبالتالي ثبوت ولاية تكوينية لمخترعيها؟ لا أحد يقول بهذه المغالطات، بعد أن عرفنا القوانين التي اعتمدوها في اختراعاتهم وآلية عملها، وهي قوانين قديمة بقدم الكون. ثم إن صدق قصة سليمان يتوقف على واقعيتها، فهناك من يرى أنها مجرد قصة للموعظة والاعتبار، وليست حدثا حقيقيا، لغرابة الأحداث وتداخل الوجودات بين الإنسان والشيطان والجن، وتفويض مطلق لسليمان، كأنه إله يتصرف بالكون أنى يشاء،

فصدرت معاجز وخوارق في القصة تستوقف عقل الإنسان. أو أنها قصدت التعريف بعوالم الغيب من خلال سرد قصصي ممسرح. والغريب لم يكتشف علماء الآثار أي أثر لملكته لحد الآن، وربما تُكتشف لاحقا، حتى أن جهود اليهود في البحث عن هيكل سليمان وآثاره باءت بالفشل رغم حجمها.

أنا لا ألوم الرجل فهدفه واضح من وراء هذه المغالطات، لذا بعد أن جعل الوصف علة لثبوت الولاية التكوينية انتقل لآية ثانية ليرتب عليها ما كان يصبو له. فانظر لاستدلاله بعقل يقظ ووعي تام.

يقول: وفي آية ثانية قال تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ). فإذا ثبتت الولاية التكوينية لمن عنده علم من الكتاب فهي ثابتة جزما لمن عنده علم الكتاب بالأولوية. ومَن الذي عنده علم الكتاب؟ يقول: واضح إنه علي بن أبي طالب لتظافر الروايات عليه!!. أما لماذا لا نقول باختلاف معنى علم الكتاب بالآيتين؟ قال: إذا قلنا بذلك ستنخرم قاعدة مهمة تقول فسر القرآن بالقرآن، فما دامت الآية الأولى تُثبت الولاية التكوينية لمن عنده علم من الكتاب، فهي تثبت لمن عنده علم ذات الكتاب المذكور في الآية الثانية!!!. لكن كيف أثبت وحدة المعنى مع وجود قرائن صارفة؟.

هذا الكلام بهذه الطريقة المنمقة ينطلي على الناس مع غيبوبة العقل واستكانة الوعي، وشدة حبهم وتعلقهم بأهل البيت، وهو ما يحصل الآن للمؤمنين بالولاية التكوينية. وإلا كم من المسلمات استخدمها ضمن قياساته المنطقية لا دليل عليها سوى اجتهادات

شخصية، ورغبة جامحة في إثباتها، مهما كان حجم المغالطات فيها. كل هذا وبعض الناس المغفلين ينبهرون باستدلاله ويصدقون كل كلمة فيه دون تأمل أو مراجعة أو نقد يهتدون به. وهذه هي مشكلة الوعي عندما تستولي الهموم الأيديولوجية على عقل الإنسان، فإنه يستقيل ويتحول الى متلق فقط وفقط.

إن بعض المؤمنين يعيش حالة رعب، تكرّس الاستسلام حداً لا يستطيع رفض أي فكرة أو عقيدة حول أهل البيت مهما خالفت الكتاب والعقل، ويتقبل كل خرافة ترفع من شأنهم لترسيخ عقيدته وقمع المطمور في أعماقه من شكوك، فبدلا من التوقف والنقد يكرّس الاستسلام بأفكار وخرافات وهرطقات تجانب الحقيقة والمنطق. وهذا النوع من الناس لا تنفع معه الأدلة العقلية والقرآنية إطلاقا. هؤلاء يبحثون عن أي دليل لرفع منزلتهم وقدسيتهم من أجل قمع حالة الشك والريبة التي تعتري الإنسان حيال المقدس واللامعقول الديني، فكلما ارتفعت منزلة رموزهم الدينية كلما انطمست الشكوك والأسئلة المريبة، وفي حالة تماديه هناك طقوس ومشاعر تعزف على خيال المرء بشكل يتوارى فيه العقل وتموت الأسئلة والشكوك نهائيا. وهذا ما نلاحظه في سلوك العقل الجمعي.

ينبغي للإنسان مواجهة الإشكالات والشكوك بيقين راسخ، قائم على العلم والدليل العقلي والقرآني، وعدم الهروب للخلف، فمع كل خطوة على طريق العلم والمعرفة تتفجر الأسئلة وتتسع مساحتها. باتت معطيات العلوم رصيدا هائلا لا يمكن الاستغناء

عنه، خاصة في مجالات فهم النص الديني، وتعقيداته. فينبغي مراجعة العقائد بفهم جديد، يتناولها تاريخيا في ضوء ظروفها المختلفة، وينبغي أن لا تحول قدسية مصادرها دون نقدها.

س75: طارق الكناني: لكن ما هو رأيك بالآيتين المتقدمتين؟

ج75: ماجد الغرباوي: أما الآية الأولى فلا تشتمل على قرينة تحدد جنس القائل. وما ذكره الكاتب لا يُعد قرينة صارفة بل هو اجتهاد شخصي من السهل دحضه، وسجلت بعض الملاحظات .

والآية لم تبين معنى الكتاب، هل هو كتاب مُرسل من اللّه تعالى، أم يرمز لكتاب آخر، كأن يكون كتابا يختص بالكون وأسراره وقوانينه فعبرت عنه الآية بالكتاب، كما في قوله تعالى: (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) لا تعني كتابا منزلا، بل هو كناية عن الرصد الدقيق، ودقة الملاحقة. وبالتالي فلولا سياق الآية لا يمكن معرفة معناه، ولا تستطيع باقي الآيات التي اشتملت على لفظة "الكتاب" تفسيره. فلماذا لم يختل المبدأ القرآني عندما اختلف معنى الكتاب من آية إلى أخرى؟. وهذه الآية إحدى موارد الاختلاف.

وأما الآية الثانية فكانت بصدد الرد على من أنكر أن محمدا مرسل من قبل اللّه تعالى، فتقول الآية: ألا يكفي أن يكون اللّه والرسول شهيدين على كونه رسولا (اللّه عزوجل لأنه المُرسِل .. والرسول بمصداقيته وصدقه المعهود لدى الجميع)؟ ثم، ألا يكفي أن يشهد معهم من عنده علم الكتاب؟ ويقصد بـ (من عنده علم

الكتاب) علماء المسيح الذين يعلمون من خلال بشارة الإنجيل أن محمدا نبي. فاذهبوا واسألوهم سيخبرونكم أن محمدا هو بشارة الإنجيل، وهو رسول الله. تقول الآية: (.. وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)، وهذا الكتاب يختلف عن كتاب صاحب النبي سليمان بقرينة ما بعده. ثم مَن عنده علم الكتاب خبير ببشارة عيسى: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ). وهذا هو المطلوب. فلا مجال للمقارنة. (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ).

لكن صاحب الكتاب (السيد كمال الحيدري في كتاب بحث حول الولاية) رد، بمنطق التبرير ردا فاقعا لا علاقة له بالآية، فيقول: أيهما أوقع أن يقول الله عزوجل كفى بي وبمحمد وعلي شهداء، أم أن يقول كفى بي وبمحمد وعبد الله بن سلام شهداء، والآخير وردت روايات بأنه المقصود بمن عنده علم الكلام؟.

للأسف الكاتب لا يلتفت أن عليا رغم منزلته ليس معنيا بالموضوع. والمعنى بالآية هو الخبير العارف بكتب أهل الكتاب لأنهم يثقون بقوله ويصدّقون شهادته، فيكون شاهد حق مع الله ورسوله. أما علي فلا يعترفون بشهادته، بل هم لا يعترفون بالنبي فكيف يعترفون بعلي؟. لذا أشارت الآية عليهم برجل يثقون بعلمه وشهادته. وبالفعل فهناك من الأحبار من لايخون الله والضمير ومستعد للشهادة بكل شجاعة، بل ويصدق قوله تعالى: (ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ). فسيخبرونهم أن ما جاء به محمد مذكور في كتبهم.

فرق كبير بين سؤال علي وهو لا يعرف شيئا عن الموضوع وخلفيته وتاريخه، وبين الاستفسار من عالم كبير خبير بالكتاب المقدس، وخبير بتاريخه وخلفيته ويعرف البشارة وتفصيلاتها، فهو شاهد حي على نبوة محمد من خلال هذه البشارة الموجودة في كتبهم. فبماذا ينفعهم علي بن أبي طالب وهو ما زال شابا في هذه الشهادة؟ وحتى لو كانت لشهادته أهمية فسيكون ثالثا ضمن نفس الاتجاه الذي لا يؤمن به المشركون والكفار أساسا، فماذا تضيف شهادته بعد شهادة اللّه ورسوله؟. ثم إن عليا الذي يضعونه بمستوى اللّه ورسوله في الآية الكريمة هو علي بعد ما يقارب 1500 سنة!!، أي بعد تراكم هائل من الكلام والتهويل والتقديس والمبالغات وردود الأفعال والتحديات التي رفعته لهذا المستوى.

كلامي لا ينقص شيئا من حقيقة ومنزلة الإمام علي إطلاقا. فعلي كأي إنسان آخر مر بأطوار حياته الطبيعية ولم يحدثنا القرآن عن وجود ميزة له خاصة صراحة كي نضيفه الى اللّه ورسوله. فهذا التأويل منتف بانتفاء موضوعه. إذ لا يمكن تصديق دعوى النبوة إلا بمعجزة، أو بشارة من نبي سابق. وبما أنهم لم يعترفوا بالقرآن، وأنكروا إعجازه، فأحالهم على بشارة الإنجيل، ليشهد لهم بعض الأحبار المؤمنين. وهم عدد من رجال الدين المسيحيين لم ينكروا البشارة، وأكدوا وجودها، بل أسلموا والتحقوا بالنبي الكريم فيما بعد بناء على هذه البشارة. وهذه هي الحكمة في إحالتهم عليهم. وعليه لا علاقة بين علي والموضوع.

س76: ولماذا ترجح عبد الله بن سلام على علي الرمز الإسلامي الكبير علي بن أبي طالب، المتميز بصفاته ومكانته عند الرسول؟

س76: ماجد الغرياوي: ليست المسألة مسألة رمز كبير، إنما هو سياق النص ودلالاته وحكمته وغاياته هي التي ترجح الثاني على علي. فالآية استدعت للشهادة شخصا لكلمته وشهادته وقع على أهل الكتاب والكفار بشكل لا يمكنهم الاعتراض عليه. فشهادته هنا تعزز شهادة الله والرسول. فإذا كانوا لا يؤمنون بشهادتهما فإنهم سيذعنون لشهادة أحبارهم ممن تصفهم الآية: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ). فلا طريق آخر للاعتراف بنبوة النبي سوى معجزته وبشارة النبي الذي قبله، وبما أنهم لايؤمنون بالقرآن فهَدَتهم الآية إلى طريق ثانٍ. أي بشارة عيسى، من خلال (الأحبار) العارفين بالإنجيل. فإذا شهدوا بنبوته، يشهدون بأن القرآن كتاب الله أنزله على نبيه ، وهو المطلوب. (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). كما سيؤكدون لهم أن عيسى بشر بنبوة محمد: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ).

وملخص الكلام، إن القاعدة القرآنية ليست مطلقة في جميع الموارد وحتى مع فرض إطلاقها فأيضا لا تتخرم مع وجود قرائن صارفة تؤكد ثمة اختلاف في حقيقة الكتابين، خاصة مع عدم وجود ما يدل على وحدة موضوعيهما، وعدم تمامية الاستقراء لخفاء كثير من الأشياء "وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً".

وكذلك لا ينفع كلام السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابه تفسير الميزان، حيث قال لا يمكن أن يكون المعني في الآية المباركة هم الأحبار، لأن الآية مكية، وأسلم الأحبار في المدينة، وعليه يكون المقصود بالآية هو علي بن أبي طالب.

والسؤال من قال إن الآية تقصد خصوص من آمن منهم في المدينة؟ وبأي دليل ننفى صدقهم قبل إسلامهم والآية تصفهم: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ)؟. فالآية تقول سمعوا ما أنزل إلى الرسول. أي مازالوا لم يعلنوا إسلامهم، لأي سبب كان، ذاتيا أم موضوعيا، فهم يؤمنون بنبوته حتى قبل إسلامهم، لذا تكون قيمة شهادتهم أكبر.

فاللّه عزوجل عندما أحال عليهم يعلم أنهم سيخبرون صادقين عن بشارة محمد في الإنجيل. فكون الآية مكية لا يصرفها عن معناها لقوة السياق وعدم وجود أي علاقة للموضوع بعلي بن أبي طالب، لا من قريب ولا من بعيد، حتى لو كان خبيرا بالكتاب، لأنهم أساسا لا يؤمنون بالقرآن ولا بشهادته، ولا يؤمنون بالرسول محمد وأقواله، فهم بحاجة لشهادة رجال دين من أهل الكتاب، ثقة عندهم، وكلامه حجة، كي تكون شهادته مقنعه، فحينما

يؤكد لهم البشارة سيسقط ما بيدهم، فإما أن يصدقوه أو يصروا على كفرهم. وليس لعلي صفتهم، بل ويكفي بمحمد شاهدا هو صاحب الرسالة والقرآن بين يديه، فما حاجتهم لعلي؟.

س77: طارق الكناني: لو فرضنا ثبتت الولاية التكوينية لعلي بن أبي طالب نظريا بأي معنى من المعاني التي ذكرتها في أجوبتك المتقدمة، فهل نحتاج لدليل يؤكد جريانها على يده أم نصدق جميع ما يروى في هذا المجال؟

ج77: ماجد الغرباوي: الولاية التكوينية بأي معنى من المعاني المتقدمة تحتاج لنص قرآني صريح يؤكد أصل إمكان وقوعها، ثم نحتاج إلى دليل يؤكد ثبوتها لهذا الشخص أو ذاك من خلال المعاجز والخوارق التي جرت على يديه. ولو ثبتت الولاية التكوينية للأنبياء جدلا، وسلّمنا بذلك (ولو أننا لا نسلّم، ولنا تفسير آخر لهذه المعجزات) فأيضا يحتاج علي بن أبي طالب إلى نص صريح بخصوصه وهذا منتفٍ بالضرورة. ومهما كان عدد الروايات لا يخرجه عن الإمتناع عقلا، لأن القوانين العقلية لا تخصص. وما حصل على يد المرسلين جرى وفق قوانين نجهلها، وليس معجزاتهم خرقا وتصرفا بالكون وقوانينه، هذا كلام مرفوض ربما يجد من يصدقه أيام الجهل المعرفي، أما وقد فتح العلم آفاقا واسعة للمعرفة فلا يمكن قبوله، مهما أتى منطق التبرير بأدلة وروايات، فما عارض العقل فاعرضوا عنه. العقل كالقرآن في رد الروايات. فيبقى الكلام مجرد جدل تأويلي في ظل تنافس محموم لمراكمة شواهد

وأدلة على أفضلية هذا الطرف أو ذاك، مفاده هنا، الملازمة بين ثبوت الولاية لأهل البيت وسمو منزلتهم عند اللّه، فإذا ثبتت لهم الولاية لازمها ثبوت علو منزلتهم وقربهم وأفضليتهم عند اللّه تعالى، وهذا ما يفتقر له الخصم التاريخي أي السنة. وبالتالي فالشيعة على حق لثبوت الولاية التكوينية لأئمتهم بروايات مغالية وعقل مغالط يمارس تزوير الحقائق من خلال مقدمات يفترض ثبوتها وصحتها، والآخر على باطل!!!!. وبهذا الشكل يرتّبون أشياء أخرى وفقا لهذا الكلام، مثلا عدم شرعية الخلافة أو الإمامة لغير علي، وأن مَن عنده علم الكتاب في الآية الثانية هو وصي الرسول محمد، أي الإمام علي وفقا للنظرية الشيعية، قياسا على من عنده علم من الكتاب وهو وصي النبي سليمان. أنظر كيف يرسلون المقدمات ارسالا!!. بأي دليل قرآني أثبت أن من كان عنده علم من الكتاب هو وصي سليمان!!!. إنها قدرة هائلة على التزوير والاستخفاف بعقل القارئ والمستمع. لو كانت هناك ضرورة لبيان من هو عنده علم من الكتاب لذكرته الآية، لكنها منتفية فلم يذكرها أو عوّل على السياق. الموضوع بحاجة إلى قرينة من كتاب إلهي فيه تبيان لكل شيء، وهو القرآن الكريم، وهذا غير موجود.

من المستحيل أن يخبر النبي رجما بالغيب معاذ اللّه، وما أخبره به اللّه تعالى محفوظ بين دفتي الكتاب، كتفصيلات القصص القرآني، فمن أين لكم أن مَن عنده علم من الكتاب هو وصي سليمان وهناك فاصلة تاريخية كبيرة بين العصرين؟؟ هل تعتمدون مرويات أهل الكتاب وهي محرفة وفقا لمنطق القرآن؟ أم تتنازلون

عن المنطق القرآني لاثبات عقيدة يأبى العقل والقرآن قبولها؟. الولاية التكوينية بهذا المفهوم، أي التصرف بالكون كما يحلو لبعض غلاة الشيعة، تحتاج الى دليل قرآني واضح، بيّن، صريح، لا لبس فيه إطلاقا لأنها بهذا المفهوم منافسة لصفة الخالق.

وكون ولايتهم تجلٍ لولاية اللّه، وليست منفصلة عنه – كما يقول كمال الحيدري -لا يعفيها عن الدليل، بل في هذه الحالة تحتاج لأكثر من دليل، لأن الأئمة غير الإنبياء والمرسلين. هذا من جهة ومن جهة ثانية نحن لا نفهم كنه التجلي بالنسبة للّه تعالى ولا يمكن أن نفهمه لأنه شديد المحال. وأساس مشكلتهم أنهم يتحدثون عن الخالق بمنظور بشري مادي، واللّه منزه عنها، فليس كمثله شيء وشديد المحال ولا تدركه الأبصار ولا تعرف كنهه العقول. فأي قياس للّه تعالى على الإنسان في صفاته وكنهه خطأ.

ويبدو أن علماء الشيعة مجمعون بشكل وآخر، وبنسب متفاوتة، وبتعابير مختلفة، على وجود ولاية تكوينية للإئمة. أنقل لك بعض آراء من عاصرناهم، حيث يتعاملون مع الموضوع وكأنه بديهيات لا تقبل الشك، وسأنقل ضمن كلامهم ما يؤمنون به من روايات تؤكد الولاية التكوينية لأئمة أهل البيت:

رواية: ("إعلم أنّ اللّه تعالى خلقني وخلق عليًّا من نور عظمته، قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذ لا تقديس ولا تسبيح، ففتق نوري، فخلق منه السماوات والأرض، وأنا واللّه أجلّ من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخلق منه العرش والكرسيّ، وعليّ بن أبي طالب أفضل من العرش

والكرسيّ، وفتق نور الحسن، فخلق منه اللوح والقلم، والحسن أفضل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين، فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أجلّ من الجنان والحور العين، ثمّ أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله جلّ جلاله بكلمة، فخلق منها روحًا، ثمّ تكلّم بكلمة، فخلق من تلك الروح نورًا، فأضاف النور إلى تلك الروح، وأقامها أمام العرش، فزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء عليه السلام، ولذلك سمّيت الزهراء، لأنّ نورها زهرت به السماوات")

الأئمة واسطة بالفيض: (ما ورد في الزيارة الجامعة الواردة عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام: "بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبكم ينفس الهم ويكشف الضرّ، وعندكم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلى جدّكم بعث الروح الأمين").

عن الصادق رواية تؤكد التفويض وأنهم واسطة بالفيض: (بكم يختم الله، وبكم يمحو ما يشاء، وبكم يثبت، وبكم يفكّ الذلّ من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كلّ مؤمن يطلب بها، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، بكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسيخ الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقرّ جبالها عن مراسيها إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم).

س78 : طارق الكناني: انت ذكرت فقط اثنين ممن قالوا في هذه الولاية وهذا لا يثبت بأن هذا الرأي تقول به الشيعة جميعها هل هناك علماء معاصرون من الذين تصدوا للمرجعيات يقولون بهذا؟

ج78 : ماجد الغرباوي: نعم يوجد هناك الكثير، أنظر آراء علماء عاصرناهم، حول الولاية التكوينية لأهل البيت، إضافة للروايات المروية في هذا المقام، فما ذكرته مجرد شاهد بسيط:

-يقول الإمام الخميني: (إن للامام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون) .. الحكومة الإسلامية ص75

-السيد أبو القاسم الخوئي زعيم الحوزة في زمانه: (أما الجهة الأولى، فالظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطة في الايجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق).. مصباح الفقاهة ج3 2279

-الميرزا جواد التبريزي: (فكيف يظن بشخص يلتزم بإمامتهم، وأنهم عدل للنبي (ص) إلا في منصب النبوة، ولا يلتزم بالولاية التكوينية لهم ص).. صراط النجاة ج3 ص419

-الشيخ المنتظري: (الولاية، بمعنى التصرف والاستيلاء على الشخص أو الأمر ،إما تكوينية وإما تشريعية. ولا يخفى ثبوت كلتيهما بمرتبتهما الكاملة للّه تعالى . ويوجد لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، بل لجميع الأنبياء أو أكثرهم وكذا للأئمة

المعصومين، بل لبعض الأولياء الكرام أيضا مرتبة من الولاية التكوينية، بحسب ارتقاء وجودهم وتكاملهم في العلم والقدرة النفسانية والإرادة والمشيئة والارتباط بالله تعالى وعناية الله بهم . إذ جميع معجزات الأنبياء والأئمة وكرامات الأولياء نحو تصرف منهم في التكوين، وان كانت مشيتهم في طول مشية الله وباذنه).. دراسات في ولاية الفقيه ج1 ص74

- الشيخ ناصر المكارم: (غير أن منكري الولاية التكوينية يقولون إن مهمة الأنبياء تنحصر في الدعوة إلى الله وإبلاغ رسالته وأحكامه، وقد يتوسلون أحيانا بالدعاء إلى الله في بعض الأمور التكوينية، وأن هذا هو كل ما يقدرون عليه، مع أن هذه الآية والآيات الأخرى تفيد غير ذلك). الأمثل ج2 ص508

وهذه أيضا مجرد نماذج، اخترتها لاعتدالها وعدم تماديها بالغلو، وهناك تصريحات كثيرة. أما لو تقرأ كتب الإخباريين بشتى اتجاهاتهم لا تشك أن أهل البيت هم الخالق، أو أن الخالق فوض لهم تدبير الكون والخلق، أو تنازل لهم عن عرشه!!!.

العقل الشيعي فاجعة، في العقائد يعمل وفق نظام إللا معقول الديني، الذي يجافي منطق العقل ومحكمات القرآن. كم استغرب من فقيه أصولي أداته العقل في استنباط الأحكام الشرعية، لكن عقله يتوقف عن التفكير أمام روايات العقائد، فأية مفارقة هذه؟ كأن هناك مساحات مغلقة وخطوطا حمراء لا يتخطاها العقل الشيعي، أو لا يريد أن يتخطاها حرصا على قدسيتها. أو ربما حالة الرعب النفسي تحول دون مقاربتها وفهمها فهماً عقليا، وهذا يعود

لخلفية ذات سطوة معرفية تهيمن على تفكيره وعقله.

أجزم أن التشيع لا يحتاج لخرافات وأوهام وأفكار منحرفة. وما يحتاجه راهنا بيان الدور العلمي والعقلي والاجتهادي لمدرسة أهل البيت، فهي أكثر المذاهب استجابة لمتطلبات العصر والزمان من خلال فتح باب الاجتهاد، ونقد الروايات وعدم تقديس شيء من التراث او الكتب الروائية كما تفعل المذاهب الأخرى.

ينبغي للشيعة الكف عن هذه العقائد والعودة الى القرون الثلاثة الأولى لمعرفة حقيقة أهل البيت واكتشاف بشريتهم، وما هو انطباع كبار العلماء والرواة عنهم. إنهم يدينون مذهبهم بأيديهم، كم هو مخجل أن تجد مواقع على الأنترنيت مهمتها تسفيه العقائد الشيعية!! أعلم أن هؤلاء أعداء، وبعضهم نواصب لكن لماذا تمنحوهم فرصة كبيرة وتضعون بين أيديهم مايدينكم به.

هل يسعدكم وجود موقع على شبكة الأنترنيت بعنوان: إضحك على الشيعة؟ ألا تأخذكم الغيرة على أهل البيت ومذهبهم لو كنتم صادقين؟ كيف سيكون موقف الفقهاء الساكتين يوم القيامة؟ وهل يطمحون بشفاعتهم بتآمرهم على فكرهم وعقيدتهم؟.

كرامة أهل البيت ومقامهم الرفيع ليس بعقائد وخرافات تخالف العقل والنقل وتعارض القرآن الكريم؟. منزلة أهل البيت بسلوكهم، بتقواهم، بعلمهم، فينبغي أن تتجسد فضائلهم في سلوك أتباعهم ومحبيهم فهذه أفضل رسالة للعالم أجمع. على الشيعة التوقف عن تماديهم، واكتشاف حقيقة الأئمة، ليقتدوا بهم. وعليهم نزع غشاوة التقديس والتعامل معهم بمنظار آخر.

س79: طارق الكناني: هل جميع علماء الشيعة بنفس المستوى في فهم عقائدهم، أما هناك آراء وتفسيرات أخرى؟

ج79: ماجد الغرباوي: في مجال العقيدة هناك حد أدنى يشترك فيه الجميع، كضرورة الإمامة سواء الإمامة الدينية أم السياسية أو كليهما، فيقف المعتدلون عند هذا الحد أو يتخطونه قليلا بينما يحلق الآخرون حد يراهقون الغلو، ويبقى الغلاة نموذج التطرف العقيدي والمذهبي والديني. ورغم رفضه من قبل الوسط العلمي لكنه يبقى مؤثرا في الأوساط الاجتماعية، حتى أن عموم الشيعة من حيث لا يشعرون يؤمنون بأقوالهم وعقائدهم، فصورة الإمام في الخيال الشيعي صورة أسطورية مذهلة، بعيدة كل البعد عن الفهم الشيعي الصحيح لكن يؤمنون بها ويتأثرون بإيحاءاتها اللاشعورية.

المعتدلون قليل، خاصة الشيعة العرب على العكس من الإيرانيين المنغمسين بالغلو تجسيدا لثقافتهم وطبيعة علاقتهم بملوكهم. فاسقطوا فهمهم لمقام الملوكية، كظل للإلهة، على مقام الإمامة وراحوا يعكسون صورة متطرفة عن الإمام وشخصيته ودوره في الحياة ومكانته عند الله تعالى. فهناك جذور لهذا الوعي.

بعض علماء الشيعة لا يغالي حتى في فهمه للعصمة الركيزة الأساس في الفكر الشيعي، والتي تتوقف عليها صحة الروايات الشيعية. ويعتقد أن المراد بها عصمة سلوكية لا أكثر. فالغالبية الشيعية معتدلة، غير أن تأثير الغلاة بات خطرا يهدد مستقبل الشيعة من خلال إمكانياته الهائلة وتوظيفه لمختلف وسائل الإعلام التي عكست للإسف الشديد صورة شوهاء عن مذهب أهل البيت.

الشيعي كغيره من الشعوب وليد بيئته ونتاج ثقافته، سواء عموم الناس أو العلماء والفقهاء، فهم ورثوا عقيدتهم التي ترسخت بمرور الإيام ومن خلال ممارسة الطقوس والشعائر الخاصة بها، ثم جاءت التحديات لتفرض سياجا حديديا يحول دون نقدها ومراجعتها، بل أصبح الدفاع عنها دفاعا عن الهوية. بات الشيعي يعتقد أن عقيدته هويته، يستحيل التخلي عنها، فيدافع عنها بضراوة.

وهذه رؤية سلبية وكلام مبالغ فيه، ففي مذهب أهل البيت مقومات الحياة، سواء آمن الشيعة بهذه العقائد أو لم يؤمنوا، فهم يعتمدون العقل والاجتهاد، ومذهبهم الفقهي مذهب حيوي، متجدد بفضل انفتاحه وقدرته على الاستجابة لمتطلبات الحياة، ولا علاقة لعقائده بمستقبله الديني ومكانته العالمية.

كُتب معتدلي الشيعة عالم آخر، وفقهاء الاعتدال الشيعي فهم متجدد، مشاعرهم توازن بين العقل والعاطفة، وسلوكهم ينأى عن الطقوس والخرافات، ومخيالهم مسكون بالعقل والتريث، لا تستدرجه العاطفة والحس الطائفي، ولا تتغلب عليه أيديولوجيا التمذهب الإسلامي الخالي من الواقعية والاعتدال. لكن يكاد الجميع يحمل ذات الصورة المثالية عن بعض الأئمة وربما جميعهم.

للأسف بعض الشيعة يعتبر المسألة مسألة وجود، فإما الثبات على العقيدة، وممارسة جميع الطقوس لتحصينها أو موت التشيع. وهذا خطأ ومغالاة أخرى، المذهب الشيعي اليوم مذهب فقهي أصولي، أثبت جدارة في نظرياته واستدلالاته، بمعزل عن العقيدة سوى امتدادهم لعصر التشريع، الذي تتوقف عليه صحة رواياتهم.

الولاية والخلق

س80: طارق الكناني: لقد تفضلت وأنرت بتفصيل محكم عن كل تساؤلاتنا ولكن حتى ننتهي من هذا الموضوع وأقصد به (الولاية التكوينية) لابد لنا من الوقوف على حوادث تاريخية مهمة واحاديث تشير إلى هذا المعنى. ففي الحديث القدسي (عبدي أطعني تكن مثلي. أو جاءت بلفظ مَثَلي تقول للشيء كن فيكون) وهناك حادثة رد الشمس للإمام علي لدى منصرفه من معركة النهروان والحادثة مذكورة بتفاصيلها في كتاب واقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى 212هـ وقد حقق هذا الكتاب استاذ التاريخ في جامعة عين شمس د. عبد السلام محمد هارون رغم انه حذف أجزاء كثيرة منه إلاّ انه ابقى على هذه الحادثة معتقدا بصحتها، ألا نسمي هذه ولاية تكوينية علما بأن المصادر التي وردت بها هذه الحادثة كثيرة ولدى جمهور المسلمين؟ .

ج80: ماجد الغرباوي: تقدم في الجواب السابق أن الولاية التكوينية بمعنى التصرف بالكون مختصة بالله تعالى. وتقدم أن الكون يتحرك ضمن قوانين صارمة منذ الأزل، واثبتنا بالدليل بطلان من يدعي الولاية التكوينية، سواء بمعنى التجلي أو غيره، لعدم وجود دليل قرآني صريح نرفع به اليد عن الشك، ومن الأولى أن تكون باطلة بناء على التفويض. وأما معاجز الأنبياء فليست ولاية تكوينية بل جرت وفقا لقوانين أخرى نجهلها، لاستحالة تعطيل القوانين الكونية. وبالتالي لا نوافق على تفسير المعاجز

بخرق القوانين الكونية كما هو مشهور عندهم، حيث فسروها بذلك، كما بالنسبة للنار والاحتراق. وهذا تفسير خاطئ لان الاحتراق من ذاتيات النار، ومع انتفائه ينتفي صدق النار عليها. بينما الآية تقول يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، فهي نار حارقة، وبقيت نارا لم تتغير، لكنها لم تمسه بفضل قانون آخر، ربما كان يرتدي جلدا واقيا أو أي تقنية أخرى.

وأيضا الولاية التكوينية باطلة بمعنى الإذن، حيث ذهب جماعة أن الولاية التكوينية للإنبياء والأئمة تجري بإذن الله، وقلنا أن معنى إذن الله أمره، وأمره فعله، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، بلا واسطة ولا ولاية لأحد، كما ناقشنا الاستدلال بآية (من عنده علم من الكتاب). وإذا كانت هناك وسائط في الخلق والفيض فتختص بالقوانين التي تنظم الكون جميعا، ولا يمكن لأي أحد التصرف به خارج آلية ومنظومة قوانينه، بما في ذلك فعل الملائكة والجن ومعاجز الأنبياء. ولا يوجد شيء اسمه تصرف بالكون خارج قوانينه وضوابطه. وإذا كانوا يقصدون من التصرف بالكون استجابته لإرادة صاحب الولاية التكوينية، وخرق لقوانينه وأنظمته متى شاؤوا، فهذا لا يصدق إلا للّه، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

وعليه نعود للضابطة: فما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار. ورد الشمس أمر مستحيل وفقا لقوانين الكون ونظامه، التي كشف عنها الكتاب الكريم بقوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى

عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ). فرد الشمس لو حدث فعلا يوما ما لحدث خلل كوني هائل!!!. فكيف نصدق روايات ضعيفة السند، لا تفهم من الكون وقوانينه شيئا؟ وحتى لوصدرت من أي شاهد لا نصدقه بعد الاكتشافات الفلكية الهائلة، فكلامهم مخالفة لكتاب الله ونحن في عصر العلم واكتشاف القوانين ومعرفة نواميس الطبيعة!!. لذا تطرح الروايات مهما كان عددها ونوعها. ثم يا سيدي هل يخشى الله أحدا لو أراد التنويه برمز من الرموز؟ فلماذا نجهد أنفسنا بقضايا لا تمت للعقل بصلة من أجل تأكيد أفضلية علي بن أبي طالب؟ يا أخي اذا كان لعلي بن أبي طالب أفضلية فبتقواه، هذا هو المنطق القرآني، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس من ترد له الشمس، لأن الشمس لا ترد لأي شخص مهما كانت منزلته، لسبب بسيط أن الكون يجري وفقا لقوانين مترابطة، وأي أختراق لها يحدث خللا كونيا كبيرا.

وأما رواية: (عبدي أطعني تقل للشيء كن فيكون)، فمخالفة لمنطق القرآن الكريم حيث يقول تعالى: (ألا له الخلق والأمر). لا شريك له في الخلق والأمر كما تؤكد مجموعة آيات. ثم لماذا مجرد أن يطيع الإنسان ربه يرتفع لمقام الخالقية فيقول للشيء كن فيكن؟ هل أن طاعة الله متعذرة وغير ممكنة كي يرغّب بها الله تعالى بهذه الطريقة؟ لماذا لم يذكر هذا الأمر ضمن آيات الترغيب المذكورة في كتابه الحكيم الذي يصفه بإنه تبيان لكل شيء؟

فبدلا من آيات الترغيب الكثيرة جدا في القرآن والوصف المذهل ليوم الجزاء، كان بإمكانه أن يقول أشد إغراء: عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشيء كن فيكون، فيحقق العبد جميع رغباته وأمنياته بلا كد ولا تعب ولا مشقة ولا عناء!!!.

يجب الخروج من شرنقة الطائفية والآيديولوجيا لنرى الحقائق كما هي، لا كما ترويها لنا روايات موضوعة، مكذوبة على اللّٰه ورسوله. وللّٰه عزوجل كتاب بيّن فيه كل شيء.

الروايات تقول ان الشمس ردت للامام علي مرتين، المرة الأولى في زمن الرسول. لكنه كلام مرفوض، مخالف لسنن الكون وآيته في القرآن، وما خالف كتاب اللّٰه فهو زخرف، والشمس لا ترد ولا تتغير عن مسارها إطلاقا. وحديث عبدي أطعني، ينتمي لتراث التصوف وأوهامهم.

أيهما أفضل الأنبياء والمرسلين أم علي بن أبي طالب؟ أعرف جيدا أن روايات مغالية تتمادى في الأمر وتقول إن علي بن أبي طالب أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين ما عدا رسول اللّٰه محمد. وهذا بهتان لا أدري كيف لا يستنكره علماء الشيعة؟ كيف أثبتوا أن علي بن أبي طالب أفضل من موسى الذي لم يكلم اللّٰه تعالى بعظمته أحدا سواه؟؟ فمن أولى برد الشمس هو أم علي؟ وعيسى الذي آتاه من المعاجز ما لم يأت أحدا من الرسل؟ بل لماذا لم يرد الشمس لرسول اللّٰه آية بين يديه؟. أنا لا أفهم كيف يقدمون رواية ضعيفة متهالكة مخالفة للعقل على القرآن الكريم وفيه تبيان كل شيء؟. لا يمكن السكوت على هذه الهرطقات، يجب

الكف عنها وأعلان البراءة منها فمع تقدم العلم لا توجد ذريعة لأي إنسان. ويجب احترام الأنبياء والمرسلين الذي اصطفاهم الله تعالى وخصهم بمنزلة رفيعة عند مليك مقتدر، وخصهم واصطفاهم دون غيرهم. ورضا عنهم، ورفعهم مكانا عليا، وأورثهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، فكيف يثبتون كل هذا لغيرهم؟.

ولو صحت الروايات سندا ومتنا وجزمنا بصدقها، فلا يعدو الأمر حينئذٍ كون السماء كانت غائمة ثم انقشعت الغيوم فحسبوا أن الشمس ردت كرامة لعلي بن أبي طالب وصلى أداء لا قضاء. وهذا التفسير يتلاءم مع مستوى إدراكهم آنذاك، حيث كان الكون يخضع لتأثيرات عقائد الإنسان على مدى التاريخ، وكان يستجيب لإرادة الأرواح، والنجوم والكواكب، والأوثان والأصنام والأنهار، وكلها بمنطق الغلاة لها ولاية تكوينية وقدرة على التصرف بالكون فكان الناس يتقربون لها لتفادي الزلازل والجفاف والموت والحرمان. لم يكن وعي لإنسان وإدراكه يسمح بتفسير الظواهر تفسيرا علميا، لكنه قادر على تفسيرها تفسيرا غيبيا، خاصة أن الأخير لا يحتاج لمشقة وتعب سوى إيمان راسخ يستقبل كل ما يملى عليه.

وهناك تفسير آخر يرتبط بعصمة الإمام وفقا للعقيدة الشيعية. فمعنى العصمة: عدم صدور مكروه فضلا عن معصية عن الإمام، وبالتالي ستنخرم عصمته إذا صلى قضاء، فيجب أن ترد الشمس ويصلي. فهم مستعدون لمخالفة قوانين الطبيعة لكنهم غير مستعدين لاعادة النظر بعقائدهم. فأي تعصب؟.

مصاديق الولاية!!!

س81: طارق الكناني: لو فرضنا أن من عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام وليس علي بن ابي طالب، فلماذا لا تكون له ولاية تكوينية قياسا على من عنده علم من الكتاب؟ ثم من قال باختلاف معنى الكتاب في الآيتين؟ وما هو دليل القائل بذلك؟

ج81: ماجد الغرباوي: إشكال وجيه. لكنهم استبعدوا هذا الاحتمال اساسا، ورجحوا الاحتمال الثاني الذي يخدم هدفهم وتطلعاتهم من الاستدلال.

ذكرت مفصلا، لا ولاية تكوينية بمعنى التصرف بالكون إلا لله تعالى وذكرت أدلة وآيات كافية، وبانتفائها لا معنى للسؤال أساسا، فلا ولاية بمعنى التصرف بالكون لأحد كائن من كان، سواء كان المقصود عبد الله بن سلام أو الإمام علي أو من عنده علم من الكتاب أو الذي عنده علم الكتاب.

احضار عرش بلقيس ليس تصرّفا بالكون إطلاقا، بل تسخيرا لقوانينه بإذنه تعالى، شأنه شأن العلماء اليوم عندما يستمطرون السماء من خلال ذات القوانين الكونية. فالاستمطار ليس تصرفا بالكون بل تسخيرا لقوانينه، التي اكتشفها العلماء. فهل يملك علماء الفضاء ولاية تكوينية عندما اخترقوا الفضاء أم وظفوا قوانين الكون فنجحوا نجاحا باهرا، وحطت مركباتهم الفضائية على القمر والآن هي تغزو الفضاء وتكتشف أسراره وتستفيد من إمكانيته. وماذا عن الأنترنيت عندما تكبس على لوحة المفاتيح تصل كتابتك لكل أنحاء

العالم بثوان؟؟ أليست هذه معاجز لولا معرفتنا بقوانيها. وهل ننسى كيف استقبل الناس الاختراعات أول صدورها، وكيف كان تعامل الناس معها، حتى أنهم يخشون الاقتراب منها، وما زلت أتذكر كيف يبدي كبار السن استغرابهم من جهاز الراديو، وكيف يبحثون عن المذيع داخل المذياع، فلا يتعقلون صندوقا خشبيا يتكلم لوحده، إنها بنظرهم معجزة خارقة. وكيف انفجع الناس برؤية الطائرات تقصفهم فظنوا أنها غضبا إلهيا وليست صناعة بشرية.

القرآن الكريم راعى عقول الناس ومستوى وعيهم، وطبيعة بيئتهم العلمية والثقافية، ولو أنزل القرآن اليوم لاختلف بيانه واستدلاله ومعجزاته، مع المحافظة على مبادئة ومقاصده، بشكل يتناسب مع عقول الناس وبيئتهم العلمية والثقافية.

أما ماهو الدليل على اختلاف مفهوم الكتاب فقد ذكرته أيضا وقلت هناك قرائن دالة على انصراف معنى الكتاب الى الكتب المنزلة من قبل اللّه تعالى. وقد وضّحت بما فيه الكفاية أن اسم كتاب مشترك لفظي، يشمل كتاب التكوين والتشريع، والطب والفيزياء والكيمياء، فالكل ينطبق عليه جنس الكتاب لكنها تختلف باختلاف مواضيعها. فالكتاب بالنسبة لمن عنده علم من الكتاب يقصد به كتابا كونيا يرتبط بالكون وأسراره. وأما الكتاب في الآية الثانية فالمراد به الكتاب المنزل، المقروء، كي ينفعنا في الشهادة المطلوبة التي تؤكد أن محمدا رسول من قبل اللّه، وهو لدى الأحبار الذين يعرفون من خلاله البشارة.

ولو وافقنا السيد الطباطبائي في كتاب تفسير الميزان بأن الآية

مكية فلا تقصد الأحبار الذين أسلموا في المدينة، فأيضا لا ينفعهم تأويلهم للآية بعلي بن أبي طالب، لأننا حينئذٍ سنقرأ الآية بشكل آخر، تكون فيه "مَن" في آية " ومَن عنده علم الكتاب" استفهاما. أي: ومَن عنده علم الكتاب غير الله ورسوله كي يشهد بصحة نبوته ورسالته؟ (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)؟ فإذا رفضت شهادة الله ورسوله فمن عنده علم الكتاب غيرهما كي يشهد لكم بذلك؟. فتكون الجملة استفهامية، وتنأى عن أي تأويل يخدم خط الغلو للاستدلال بالآية الكريمة على ثبوت ولاية تكوينية للإمام علي بن أبي طالب. طبعا علي بن أبي طالب ومن جاء بعده من أئمة أهل البيت لم يدعوا أي صفة من صفات الخالق لكن خط الغلو مهووس بهم حد الكفر بالله وخالقيته، فتشبثوا بهم آلهة على حساب التمسك بسيرتهم وأخلاقهم وعدلهم ومنهجهم القرآني في تفسير ظواهر الحياة.

وبالتالي تأويل الآية بعلي بن أبي طالب يحتاج الى دليل قاطع، دليل قرآني يكون قرينة صارفة، ولا توجد سوى روايات لا يمكن الركون لها، خاصة مع اختلاف الآراء، وعدم وجود اجماع حتى لدى الشيعة فضلا عن غيرهم. فنبقى نحن والآية الكريمة وسياقاتها وقرآئنها الداخلية والخارجية، في ضوء منطقها الداخلي ضمن فهمنا لمصفوفة الآيات المتعلقة بها.

وصي سليمان

س82: طارق الكناني: أجمعت تفاسير الجمهور أن المقصود بالذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا. وبعضهم ذكر اسما ثانيا هو بلخيا. ولايستبعد أن يكون نفس الاسم. وأجمع الجمهور على أنه من الانس، وليس الشيعة فقط من يعتقدون ذلك فهم شأنهم شأن بقية المذاهب، فلماذا يؤخذ عليهم هذا الرأي في حين لا يؤخذ على الآخرين؟ ألأنهم قالوا بالولاية التكوينية، وهل هذه الولاية فيها استحالة، ألم تكن لكثير من الأنبياء وهم من البشر ممن اعطاهم الله من علمه مثل العبد الصالح الذي رافقه موسى. ومثل موسى ومعجزاته حين ضرب البحر بعصاه، وغيرها الكثير، بل تجاوز ذلك ووضع هذه المعجزات عند ناقة صالح فبهلاكها تم هلاك القوم جميعا، فلماذا نستبعد مثل هذه الحالات ونستكثرها على أئمة الشيعة وهم عترة النبي واحفاده؟

ج82: ماجد لغرباوي: سواء الشيعة من قال بذلك أو سواء غيرهم، فالموقف واحد. ولا دليل على ما يدعون حول آصف سوى روايات ضعيفة، مصدرها كتب أهل الكتاب التي رماها القرآن الكريم بالتحريف، إضافة لوجود فاصلة زمنية كبيرة جدا تكفي لتأليف حكايات وأقاويل لا دليل عليها قرآنيا. ثم سواء كان من عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا أو غيره فالنتيجة واحدة عدم ثبوت ولاية تكوينية لأي كائن ما عدا الله عزوجل. أما دواعي إصرار الشيعة فواضحة، يهمهم جدا أن يكون المراد بـ"مَن عنده

علم من الكتاب" بشرا ، وصيا لسليمان، وله ولاية تكوينية، كي يقيسوا عليه بالأولوية ولاية "مَن عنده علم الكتاب" الذي هو علي بن أبي طالب كما يدعون، بقياس أو معادلة بسيطة، مفادها: إذا ثبتت الولاية التكوينية لمن عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وصي النبي سليمان، فمن باب أولى تثبت لمن عنده علم الكتاب وهو وصي رسول الله أي علي بن أبي طالب.

ولو فرضنا جدلا ثبوت الولاية التكوينية للأول فإنها ثبتت له بدليل قرآني لا يمكن إنكاره، لكن كيف يُثبتونها لعلي بن أبي طالب مع عدم وجود دليل قرآني عليه؟. فكل مقدمة من المقدمات المذكورة تحتاج إلى دليل قطعي بخصوصها، فيجب أن يثبتوا لنا:

أولا: إن ما جرى على يد "مَن عنده علم من الكتاب" كان بولايته التكوينية وقدرته على التصرف بالكون.

وثانيا: إن "مَن عنده علم من الكتاب" هو شخص آصف بن برخيا.

وثالثا: إن آصف بن برخيا هو وصي النبي سليمان.

ورابعا: أن يثبتوا تطابق ووحدة الكتابين، مفهوما وموضوعا.

وخامسا: إن علي بن إبي طالب عنده علم الكتاب، بل وذات كتاب آصف الذي كان ملاكا لولايته التكوينيه حسب رأيهم كي تصح الأولوية.

وسادسا: إثبات أن علي بن أبي طالب وصي رسول الله.

سابعا: إثبات وحدة مفهوم ومقصود ومقدار صلاحيات كلا الوصيين.

فإذا استدلوا على صحة جميع المقدمات بأدلة قطعية صريحة، منصوصة، واضحة، حينئذٍ نرفع اليد عن الشك.

أما بالنسبة لمعاجز الإنبياء، فقد ذكرت مرارا أنها جرت وفقا لقوانين نجهلها، وليست خرقا لقوانين الكون لأن القوانين الكونية لا تخصص. ثم لو فسرنا جدلا المعجزات بالولاية التكونية للأنبياء فإنها قد ثبتت لهم بدليل قرآني صريح لا يمكن إنكاره، لكن كيف نثبتها لغيرهم كأئمة أهل البيت؟ وقد يقول بعض الغلاة بأن أهل البيت أفضل من الانبياء والمرسلين معاذ اللّه، فأيضا نقول إن معاجز الأنبياء موثقة قرآنيا، ويعترف بها جميع المسلمين، فكيف نوثّق صدور المعاجز عن أئمة أهل البيت؟ هل بروايات ضعيفة لغلاة الشيعة أم نحتاج لمصدر رباني يوثقها، وهو مفقود؟. لو كانت هذه الميزات ثابتة لعلي بن أبي طالب فما الذي أخره يوم رشح نفسه للخلافة مقابل أبي بكر ولم يظهرها، ويثبت أفضليته الإلهية؟ أكيد منطق التبرير سيقول لم يأذن له اللّه تعالى!!، لوجود أدوار منوطة به، منها السكوت على يوم السقيفة؟ وهذا منطق واهٍ، كيف لا يستدعيها كدليل موثق وشاهد صدق وهو في موقف حرج جدا؟. إنها مأساة التعصب الطائفي المقيت. كم ظلم الغلاة أهل البيت؟ وكم شوهوا سمعتهم؟ وكم حطوا من مقامهم أمام خصومهم؟ من المسؤول عن كل هذا؟ ومن المسؤول عن انتشار تراث مسموم معاد لأهل بيت النبوة؟ من الذي يسهر وينفق على كتب الغلاة ككتاب البحار وغيره؟ إنا للّه وإنا إليه راجعون.

والحقيقة أن القرآن الكريم أكد صدور هذه المعجزات عن

الأنبياء والمرسلين، دون بيان آلية صدورها، فكيف نجزم بثبوت ولاية تكوينية لهم مع جهلنا بآليات صدورها؟ فاستمطار السماء اليوم معجزة، لكن بفضل العلم وسرعة انتشار المعلومات عرفنا آلية صدورها فلا نقول إنها معجزة خارقة. فالفرق بينها وبين المعجزات السابقة في معرفة آلياتها. وبالتالي فإن جهلنا بآليات صدور المعجزات لا يبرر تفسيرنا بالتفويض وثبوت ولاية تكونية للأنبياء، لأنه تقوّل على اللّه ما لا نعلم (أتقولون على اللّه ما لا تعلمون؟). علينا البحث عن آلية صدورها أولا، فربما يكشتفها العلم مستقبلا، وهذا لا يقلل من قيمتها، لأنها حقا كانت معجزة في وقتها. كثير من الأمراض كانت إلى وقت قريب نهايتها الموت،لكن بفضل تطور العلم أصبح من السهل معالجتها، فهل معالجتها خرق لحتمية الموت؟ طبعا لا. لأن سبب موت المريض كان بسبب عدم وجود علاج مناسب آنذاك أو عدم اكتشاف المرض وأسبابه. أما اليوم فقد بات من السهل معالجتها. مرض السل، الطاعون، الجلطة الدماغية، النوبة القلبية، العجز الكلوي، تشمع الكبد، كلها كانت أمراضا قاتلة بينما اليوم تعالج بشكل طبيعي. بل أن زرع ألأعضاء البشرية أكثر دهشة وغرابة، وهي معجزة العلم الحديث. كل هذا وغيره يجري وفقا لقوانين طبيعية مودعة في الكون. ولو أن نبيا أجرى عملية زرع عضو بشري آنذاك فعمله معجزة بلا شك ولا ريب، أما اليوم فغدت مسألة عادية ومألوفة. فقيمة المعاجز باتت آنية بفضل الاكتشافات العلمية الهائلة، فهي معجزة ما دامت غير مكتشفة. مثلها مثل التحديات

القرآنية كعلم الله بما في البطون. الآية لا تنفي علم الآخرين لكنه ارتكز في أذهان الناس ذلك، فأصابتهم الدهشة عندما صمم العلم جهازا يشخص نوع الجنين قبل ولادته.

س83: طارق الكناني: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تنفذون إلا بسلطان) ان القرآن أخبر عن هذه التطورات كما ورد في سورة الرحمن ولم يتم الخلط بينها وبين المعجزات فكما أخبر عن قضية الإسراء والمعراج وهي تعتبر من المعاجز أخبر عن امكانية الانسان ان ينفذ إلى السماء كما ورد في الاية المذكورة.. الا تثبت هذه المعجزات الولاية التكوينية لهم؟

ج:83: ماجد الغرباوي: الآيات الكريمة تنفي الولاية التكوينية، ولو ثبتت قرآنيا فمن باب أولى أن تكون لرسول الله محمد، والقرآن يتجه اتجاها آخر، فيقول:

"له الخلق والأمر"

"ليس لك من الأمر شيء".

"وإنه هو أمات وأحيا".

" وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون".

"أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون"؟.

"قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين". عندما طالبه الكفار بانزال العذاب

"وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا". فما تطلبونه خارج قدرة الإنسان وأنا بشر عاجز عن ذلك، والآية واضحة جدا.

ولا دليل على تجلي الله عبر أنبيائه، ولا نعرف كيف يتجلى لهم كي نميّز بين التجلي وغيره. فالجبل جعله الله دكا عندما تجلى له، فهل كل تجلٍ ينتهي لهذه النتيجة؟ وحينئذ كيف يتجلى عبر الأنبياء، ولماذا لم يدكهم دكا عندما تجلى خلالهم؟. تجلى للجبل فحدث ما حدث فكيف إذا تجلى من خلال إنسان؟. (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) لا تعلم كم أخجل من مناقشة هذه الهرطقات لولا احترامي لسؤالك، وتصديق الناس الطيبين البسطاء لها. فأقصد بأجوبتي ترشيد الوعي، ورحمة بالناس المغفلين، حينما يستسلمون لخطاب مغال، يبيد روح الاندفاع والتحدي.

آية: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ". فواضحة أن الله فعل ذلك مباشرة، أما موسى فارتعب وخاف، ولو كانت له ولاية تكوينية لكان واثقا مطمئنا. فهل كان يمر بدورة تأهيلية مثلا؟؟!!!. ولو أن عالما أهداك جهازا كهربائيا غريبا تصدر عنه

أشياء غير مألوفة، فهل يعني أنه منحك ولاية تكوينية تتصرف بموجبها بالكون وما يحيطها من أشياء؟ يا سيدي نحن في مأزق رجل الدين ومخادعاته وهرطقاته. رجل الدين لا يحركه دافع القربى للّه تعالى بل يتستر بها لتحقيق مآربه. وفرق واضح كما لا يخفى على اللبيب. رجل الدين أسير عقائده ومصالحه الطائفية والشخصية، وهنا مكمن الخطر حينما يستسلم له المتلقي.

وآية: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، أيضا جرت وفقا لقانون آخر، فالآية لم تكشف كيف أصبحت النار بردا وسلاما، هل أكتسى إبراهيم لباسا خاصا يقيه من النار مثلا، كما هو المشهور عن جلد طائر يحتمي به البهلوان الهندي من النار فيحسب المشاهد أنها لا تؤثر فيه ولا تحرقه، وما يصدر منه معجزة خارقة لا يقدر عليها أحد. وحتى من يتقافزون على النار لم يأتوا بمعجزة كرامة للحسين كما يعتقدون، إنما هي سرعة الحركة تحول دون تأثرهم بالنار حد الاحتراق، إضافة لخشونة أقدامهم.

ينبغي التنبيه، تارة يشير القرآن الكريم للعلة القريبة، وأخرى يشير للعلة البعيدة، كما في آية: "قل كل من عند اللّه ولكن لا تعلمون". فعدم بيان سلسلة العلل التي هي القوانين المودعة في الكون لا ينفي وجودها، ولا ينفي أسبابها الطبيعية، ولا يلغي عللها القريبة. فصحيح أن اللّه تعالى يرزق من يشاء، لكن يرزقه ضمن نظام الأسباب الطبيعية، فمن يجلس في داره عاطلا عن العمل لا يرزقه سوى القدر المقدر لكل مخلوق الذي يتساوى فيه الإنسان مع الحيوان، وتارة يحصل وأخرى لا يحصل. فيانار كوني

بردا وسلاما فعل إلهي لكنه لا ينفي جريانه وفقا لقوانين وأسباب طبيعية. وإذن الله الذي يتحدث عنه عيسى ربما يقصد به آليات مجهولة لنا؟ "وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني".

بعضهم يصم آذانه عن سماع الحقيقة ليبقى رهن أوهامه بشأن الولاية التكوينية ويرفض الاعتراف بأي حقيقة علمية تفندها. ياسيدي ما جرى على يد الأنبياء بشهادة القرآن ليس ولاية تكوينية بمعنى التصرف بالكون وقوانينه. ولا يعني أن الكون سيبقى رهن هؤلاء الأنبياء متى شاءوا التصرف به. بل لو كان تخويلا مطلقا لتعددت معاجزهم، فلماذا هي محدودة في موارد خاصة جدا.

غريب منطق التبرير، مصر على ثبوتها، ومستعد لتبرير كل شيء لأجلها، فمثلا يقول: إن الله يعلم تقوى وحكمة من جعل لهم الولاية التكوينية، ويعلم أنهم لا يوظفونها إلا عند الضرورات القصوى!!. فهو لا ينفيها مهما كانت مغالطاتها، لكنه مستعد لقمع شكوكه وترويض عقله بأدلة تبدو كأنها بديهية، فتمر بسهولة على الناس ويصدقونها دون التوقف عند المقدمات المطوية بلا دليل في كلامه.

المطلوب أولا إثبات أصل الولاية، ثم إثبات جعلها لهذا وذاك، ثم إثبات صدورها فعلا وحقيقة، ثم بعد ذلك تقديم دليل يؤكد أن الله جعلها مطلقة، فاذا استطاعوا الإتيان بكل ذلك، وهو مستحيل، حينئذٍ سنقبل بتفسيراتهم وتأويلاتهم.

الخالق المعادل

س84: **طارق الكناني: فتبارك الله أحسن الخالقين. هنا سؤال: هل من خالق غير الله؟ قال الغزالي في المقصد الأسنى في تفسير: "لا حظ للعبد في اسمه تعالى الخالق إلا بوجه من المجاز بعيدا ، فإذا بلغ في سياسة نفسه وسياسة الخلق مبلغاً ينفرد فيه باستنباط أمور لم يسبق إليها ويقدر مع ذلك على فعلها كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل فيجوز إطلاق الاسم أي الخالق عليه مجازا".**

والحقيقة أن هذا الكلام لا يكفي لتفسير الآية المذكورة حيث أن الاختراع شيء (يدخل ضمن "علّمنا الإنسان مالم يعلم"..) والخلق شيء آخر. وكما تقدم في حوارنا آنفا أن الله فوّض لكثير من أنبيائه أمورا كثيرة بما فيها خلق الأشياء مثل عيسى وكذلك ما حصل لإبراهيم في قضية الطيور الأربعة والقضية الأكبر حين أراه الملكوت (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ). فهو حين يمنح هذه القدرات إلى عباده فحتما يعرف مقدرتهم وحكمتهم في استخدامها ، وكيفية وتوظيفها لترسيخ إيمان الناس، لسهولة الاستدلال بها على وجود الخالق. ولو اننا لم نسمع أو نقرأ في كتب الشيعة الا القليل القليل عن هذه الحالات وهي حالات لا تخرج عن اطار المألوف، الا ما ذُكر في كتب الغلاة وهو لا يمكن القياس عليه؟ والسؤال: إذا ثبت هناك خالقين تم تفويضهم بإمر من الله فلِمَ يؤخذ على الشيعة معتقدهم وكل شيء بإذن الله ويسير ضمن التقديرات الالهية؟.

ج84: ماجد الغرباوي: هذه الآية من الآيات التي اُستُدل بها على الولاية التكوينية، لأنها تصرّح بتعدد الخالق كما يعتقدون، فتثبت الولاية للرسول والأئمة. وهنا خطأ منهجي في تفسير الآية. إذ يتحدث القرآن عن منطق داخلي لتفسير آياته، فهناك آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات. فما تشابه من الآيات يُرد الى المحكم منها، كي يتضح معناه تأويلا لا تفسيرا. كالآيات التي تجسّد الخالق، وتجعل له يدا ووجها وتجلسه فوق عرش كجلوس الأباطرة والملوك.

فآية: فتبارك اللّه أحسن الخالقين، من الآيات المتشابهة، ينبغي فهم مداليلها في ضوء الآيات المحكمة التي ستكون محددات لتأويل الآية المتشابهة. فهناك آيات تحصر الخالقية باللّه تعالى: "اللّه خالق كل شئ" أو قوله تعالى: "هل من خالق غير اللّه". فهذه الآية حسمت الأمر بأن اللّه عزوجل يتفرد بالخلق.

ولا مجال للقول بأن الخلق غير المباشر أيضا هو خلق للّه وبإذنه، لأن آيات أخرى تقول: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"، فتنفي التوسط في خلقه، دون نفي سببية القوانين والأنظمة الحاكمة، لأنها جزء من عملية الخلق وليست تصرفا بالكون، فقانون الجاذبية لا يتحكم بالكون بل ينظّم حركته. كما أن آية: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" تنفي وجود أي شبيه له، ومن جميع الجهات، بينما وجود خالق ثانٍ يقتضي التشابه بينهما، وهذا محال حسب الآيات الكريمة (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، وعليه لا

خالق بمعنى الايجاد سوى الله تعالى، وهذا مايؤكده قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ). فهذه الآية تنفي وجود خالق مباشر أو غير مباشر ما عدا الله تعالى. ولو صحت نظرية التجلي فأيضا لا دليل عليها هنا. (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا..)

ثم إن الظواهر الكونية والخارقة تفسر في إطار قوانينها الكونية ولا تفسر، بوجود وسائط في الخلق او وسائط في الفيض، ولا بمبدأ الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، لأن الله ليس كمثله شيء، وليس واحدا بمفهومنا، الذي يصبح إثنين باضافة واحد آخر له. وبالتالي لا يفتقر الكون لخالق آخر، كي يقال بتعدد الخالقين. نعم، الكون يخضع لقوانين صارمة قادرة على مقاومة التحديات والاختراقات ما لم يؤثر عليها قانون آخر. فلا مانع أن يجري الخلق ضمن ضوابطها وشروطها، من باب ربط الأسباب بمسبباتها، وهي سمة الكون والخلق بأسره. وقد أشار لها القرآن من خلال التدرج في الخلق، كتعبير آخر عن إكراهات القوانين والسنن الكونية. فمثلا يؤكد القرآن أن خلق السماوات والأرض كان بستة أيام أو بيومين حسب اختلاف الآية. وأيضا مراحل خلق الإنسان في قوله تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ).

فالأسباب ليست تفردا بالخلق، بل هي طبيعة الكون وسننه، وطبيعة عمل قوانينه، التي اكتشف العلم الحديث بعضها. فهي أسباب طبيعية داخلة ضمن عملية الخلق والمسؤولة عن حركته ومساره، وهي قوانين ثابتة لا تُفنى كالإنسان الذي يموت ويُفنى، فكيف يكون علة في الخلق، أو واسطة في الفيض، أو سببا في الخلق وهو يموت ويُفنى؟ لا يمكن إطلاقا لأن المعلول سيكون عدما بانعدام علته، ونحن نجزم في ضوء القرآن الكريم أن علة الخالق إذا كان بشرا سيموت لا محال، "كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"، فالآية مطلقة تشمل كل شيْ، فإذا فنيت العلة فنى المعلول تلقائيا، لتوقف وجوده على وجود علته، والإنسان يموت بل ويُفنى. إذاً فالله هو العلة الحقيقية، لأنه حي لا يموت. فلا مجال للقول بتعدد الخالقين وفقا لآيات الكتاب وما تقدم من توضيحات.

ولا ينفع قولهم إنهم أحياء عند ربهم يرزقون، لأن عالم الآخرة عالم مختلف، لا يؤثر في عالم الدنيا وبينهما برزخ، كما تقدم تفصيلا. ولا دليل على أن المراد بالحياة في الآية (أحياء عند ربهم يرزقون) ذات معنى الحياة كما نفهمها. فهناك دار جزاء، يلتقي فيها الإنسان بالملائكة، ويواجه مواقف مختلفة قد لا تنسجم معها طبيعتنا البشرية.

كما أن الأحياء عند ربهم في شغل فاكهون كما تعبّر الآية، لا علاقة لهم بما يدور في الكون. ولا يعتريهم ما يعترينا من هموم ومشاغل. بل ربما تتغير طبيعة تفكير الإنسان بشكل كامل.

س85: طارق الكناني: نعود لآية: تبارك الله أحسن الخالقين، ما هو المراد من الآية؟ وكيف نفسر الآيات المرتبطة بها، كي نفهم مدى صحة استدلال القائلين بالولاية التكوينية بها؟.

ج85: ماجد الغرباوي: أذكر احتمالات ممكنة في تفسيرها:

منها: كأن الله تعالى يخاطب الكفار والمشركين الذين يسندون الخلق لغيره، ويقول لهم: حتى لو سلّمنا جدلا بوجود خالقين كما تدعون، فإن الله أحسن الخالقين مقارنة بغيره: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)، فالآية في مقام مجادلة الكفار الذين يسندون الخلق لغير الله، فيجادلهم القرآن ويسند لغير الله الخلق مجازا تماشيا مع أوهامهم، ثم يدحض كلامهم بالمقارنة بين دعواهم وبين خلق الله. فاطلاق وصف الخالق على غيره مجازا لا حقيقة، لأنه في مقام المجادلة.

ومنها: إن المقصود بالخلق هنا الإبداع وليس الإيجاد من العدم، وهذا أحد معاني الخلق، فالله أحسن الخالقين بمعنى أحسن المبدعين، والإبداع لا يقتصر على الباري تعالى، بل ميزة الانسان الإبداع، يتجسد ذلك في أعمال الفنانين والرسامين والمهندسين والمصممين والأدباء الى غير ذلك. وسياق الآية يوحي بهذا المعنى إذ تقول الآية المباركة: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ). فالآية تشير لمراحل خلق الإنسان بمعنى الإبداع، وتبين لنا كيف يبدع الله في خلقه عبر

تعدد المراحل كما بالنسبة للإنسان. فكل مرحلة هي آية وابداع وخلق لله تعالى، فالله عزوجل يصف نفسه في هذه العملية بأنه أحسن الخالقين أي أحسن المبدعين. وهذا رأي معقول تؤيده آيات أخرى كما بالنسبة للنبي عيسى وخلق الطير. تقول الآيات: (أنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)، ويؤيده قوله تعالى: (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي). فالخلق بالنسبة الى عيسى هو الابداع، أنظر للآية الكريمة بدقة، تقول:" أنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْر"، فالخلق هنا يعنى الإبداع حد الإدهاش. أو نحت ما يشبه الطير من الطين بشكل أدهش المشاهدين. أخلق لكم من الطين كهيئة الطير. فاقتصرت مهمة عيسى على إبداع أو نحت الطير من الطين، أي تصميمه كهيئة الطير، فعبّر القرآن عن الإبداع بالخلق، لأنها إحدى معانيه، كما نعبّر في لغتنا رجل خلاق أي كثير الإبداع والإدهاش في أعماله. فانتهت مهمة الرسول الكريم عيسى بإبداع الطير أي نحته من الطين. ثم تأتي مرحلة نفخ الحياة فيه ليكون طيرا حقيقيا. تقول الآية: "فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ"، فيكون الطين طيرا باذن الله، أي بأمره عندما يقول له كن فيكون. فعيسى نحت الطير من الطين ونفخ فيه، أما كيف يكون طيرا حقيقيا؟ فهذا بإذن الله وأمره. فعيسى لم يخلق الطير بمعنى إيجاده كما بالنسبة لخلق الله تعالى، وهذا فارق كبير لم يدركه الباحثون، أو بعضهم تغاضى عنه لغاية في نفسه.

وربما تعبيره بالنفخ في قوله "فأنفخ فيه" هو تعبير آخر عن آلية

صيرورة الطين طيرا، ضمن نظام الأسباب والمسببات والعلة والمعلول، الذي يختص به الله تعالى، وقد جرت على يد عيسى لتكون معجزة بين يديه، وهي كما يبدو من الآية عملية ممكنة عند اكتشاف أدواتها وقوانينها، لكنها بالفعل من مختصات الله تعالى، ولم يوكلها لأحد قط كما مر بنا في الآيات السابقة. فما قام به عيسى لا يكشف عن ثبوت ولاية تكوينة له، بل العملية برمتها جرت وفقا لقوانين كونية منضبطة، جزؤها الأول واضح لنا والجزء الثاني يبقى سرا من أسرار الخلق. وبالتالي فعدم الكشف عن كيفية وآلية خلق الطير في مرحلة نفخ الروح على يد عيسى لا ينفي وجود أسباب وقوانين كونية كانت وراء عملية الخلق التي تمت بإذن الله، أي بأمره، وأمره فعله، ومن أفعاله قوانين الكون والأسباب والمسببات، وربط المعلول بعلته.

الموقف من المعجزات

استعرضت الآيات الكريمة وقائع معجزة موسى مع سحرة فرعون الذين جاءوا بسحرهم في تحدٍ صارخ لمعجزته حتى شعر بخيفة (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى)، لكن الباري تعالى أوحى له: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)، فكانت النتيجة مذهلة لم يتوقعها فرعون: (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) .. لذا استشاط غيظا: (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُم)؟. ثم راح يتوعدهم. وبالتالي فهناك وقائع وتفصيلات نقلتها الآيات تؤكد صدور المعجزة، وما رافقها من أحداث واستجابة تدل على قوة المعجزة التي جاء بها موسى كليم الله.

على العكس من الآيات التي تحدثت عن معجزات عيسى فإنها لم تنقل تفصيلات كافية، ولم تبين مستوى ردود الأفعال التي رافقت صدور المعاجز رغم قوتها، سوى قولهم هذا سحر وليس معجزة: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ). لهذا راح بعض يشكك في وقوع بعض معجزاته أساسا، فليس من المعقول كما يقولون أن لا يؤمن الناس بنبوة شخص: يخلق طيرا، ويحيى الموتى، ويبريء الأكمه والأبرص: (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى). إضافة لسيرته المباركة والمثيرة للجدل،

كـكلامه في المهد ، بـل والأدهـى ولادتـه مـن غـير أب. وموتـه حيـث رفع للسماء، وما قتلوه، ولكن شبه لهم (وَقَـوْلِهِمْ إِنَّـا قَتَلْنَـا الْمَسِـيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَـا صَلَبُوهُ وَلَكِـن شُـبِّهَ لَهُـمْ). فعيسى كله معجزات، فكيف لا يؤمن به الناس؟.

الإشكال لا يخلو من وجاهة لكن جوابه يتضح من خلال التأمل في الآيات الكريمة وسياقاتها، فالكتاب الكريم نص متعالٍ، لا يعطي نفسه بسهولة، وهذه نقطة قوته وهيمنته.

عندما نستعرض الآيات نجد بعض المعجزات صريحة في وقوعها: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، ...). (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ...)،

وأيضا بالنسبة لنزول المائدة من السماء فهي صريحة. (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ).

وأما بالنسبة لباقي المعجزات فأيضا في سياق الآيات ما يدل على وقوعها رغم عدم وجود تفصيلات كثيرة، لذا أحتمل أنها جرت على يده المباركة بشكل محدود وليس واسعا وفي كل مكان وزمان، بل جرت أمام مجموعة من رجال دين بني إسرائيل، لأنهم

المعنيون بها، دون غيرهم، بل لا أحد يطالب بمعجزة سواهم. وردهم رغم اختزاله لكنه يؤكد ما أقول، حيث اتهموه بالسحر فورا بعد ما شاهدوا المعجزات وتيقنوا من صدقها: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ). فهذه المكابرة لا تصدر من أشخاص عاديين أبدا، بل ستخشع أبصارهم ويخروا ساجدين، لا فقط يؤمنون بعيسى، لأنها من أفعال الخالق جل وعلا، فكيف يأتي بها شخص إذا لم يكن نبيا؟.

ثم أن مشكلة الأنبياء دائما مع الملأ، مع أصحاب المصالح، مع أصحاب السلطة ممن تتضرر مصالحهم بالدين الجديد، وليس للأنبياء مشكلة مع الناس والشعوب، بل تجدهم يبادرون للإيمان حينما تسقط عروش الطغاة. وليس من مصلحة الملأ والطواغيت بما فيهم رجال الدين نقل الحقيقة للناس بل موقفهم دائما تكذيبها وتشويه سمعة النبي الجديد. لهذا لم تنتشر أنباء المعجزات بشكل واسع ومؤثر، بما في ذلك كلامه وهو في المهد فمن سمعه عدد قليل، فكتموا الحقيقة خوفا على مستقبلهم.

ويؤكد هذا الاحتمال أيضا موقف الحواريين بعد ما شاهدوا المعجزات حينما قال عيسى من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله. فهؤلاء كانوا قد أمنوا بعيسى قبل هذه المعجزات العظيمة، لذا وصفتهم الآية بالحواريين، ولما شاهدوا المعجزات ازدادوا إيمانا وتحدوا علماء بني إسرائيل. (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ

الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

والمؤيد الثالث موقف زعماء بني إسرائيل بعد مشاهدة المعجزات، القاضي بقتل عيسى الذي بات يشكل خطرا كبيرا، قد يكتسحهم حينما يشاهدها الناس. وما قولهم أنه لساحر سوى مكابرة، وتضليل الحقيقة وحنق شديد. ولو كانوا حقا يعتقدون أنه سحر لكان لهم موقف مختلف، لا يصل حد القتل. لكنهم رأوا ما يعجز عنه السحرة، وخافوا على دينهم، ولم يجدوا سوى القتل لقمعه. فبالتأكيد هم شاهدوا المعجزات لكنهم غالطوا أنفسهم وزورا الحقيقة فاتهموه بالسحر. وعندما خافوا تداعياتها قرروا قتل عيسى قبل أنتشار خبرها، فيتخلى الناس عنهم ويخسرون كل امتيازاتهم وسلطاتهم التي اكتسبوها من خلال تصديهم لحراسة العقيدة اليهودية المحرّفة. وهذا هو موقف كل المتضررين من بعثة الأنبياء. فالمعجزات وقعت فعلا لكنها جرت بشكل محدود، ولم يشاهدها الناس قاطبة، لكن خبرها انتشر فيما بعد.

إن معجزات عيسى أثارت حفظية حتى الحواريين، فارتابوا وطالبوه بنزول مائدة من السماء كي تطمئن قلوبهم (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ.)

المحور الثامن

الرجعة مصداق اللامعقول الشيعي

الرجعة

س86: طارق الكناني: لنتكلم عن الرجعة قليلاً فهذه القضية ينفرد بها الشيعة تقريبا ولم أسمع بأي مذهب آخر يقول بالرجعة ودليلهم الآية الكريمة (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) التي اعتبرها الشيعة أساسا لهذا المعتقد الذي يعد ضرورة من الضرورات. لماذا الرجعة؟ هل فقط للانتقام كما يقولون، أم لإنجاز مالم ينجزه السابقون؟، وهل هناك ضرورات وفوائد مجتمعية تتحقق من خلالها؟ من قال بالرجعة في بادئ ذي بدء، ومتى ظهر هذا المعتقد؟

ج86: ماجد الغرباوي: الرجعة لغة من الرجوع، وتعني اصطلاحا أن يعيد الله بعد ظهور المهدي قوما أمواتا الى الحياة الدنيا، فيقتص من الظالمين ويُجازي آخرين. وهي عقيدة شيعية، استدلوا عليها بآيات وروايات لإثبات صحتها. وقد اعتبرها بعض علمائهم ضرورة من ضرورات المذهب الشيعي، بينما اعتبرها آخرون مسألة شخصية، وليست ضرورة يتوقف عليها الإيمان بالمذهب.

والقائلون بالرجعة مطالبون بدليلين، الأول يثبت حتمية وقوعها. والثاني يؤكد حتمية عودة أئمتهم بالذات، حيث أكدت أخبارهم عودة الرسول الكريم والإمام علي والزهراء فاطمة والحسن والحسين. بل أكد آخرون أنهم سيعودون للحياة ويمارسون السلطة لينعم الناس بعدلهم. وكلا الدليلين مفقود قرآنيا، ومدار أدلتهم مجموعة روايات ذكرها صاحب كتاب البحار. روايات لا ترقى

لمستوى دليل حجة معتبر نرفع به اليد عن الشك مع مخالفتها للعقل والقرآن، فضلا عن إشكال عام في توثيق روايات كتاب البحار.

وهناك روايات وسعت موضع الرجعة ليشمل آخرين، كما في رواية عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا)، قال: "ليس أحد من المؤمنين قُتل إلاّ يرجع حتى يموت، ولا يرجع إلاّ من محّض الإيمان محضًا، أو محّض الكفر محضًا، وعنه أيضا: "إنّ الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة، لا يرجع إلاّ من محّض الإيمان محضًا أو محّض الشرك محضًا".

وقال الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد، وهو من كبار متكلمي الشيعة: "روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال في الرجعة: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محّض الإيمان محضًا أو محّض الكفر محضًا، فأمّا ما سوى هذين، فلا رجوع لهم إلى يوم المآب".

الرجعة كعقيدة سنحاكمها بذات القانون العقلي الذي حاكمنا بموجبه العقائد الأخرى. فالميت يتعذر عليه العودة للحياة الدنيا وفقا لسنن الله تعالى، وبما أن عودة الميت ممتنعة فتخضع له: (الممتنع عقلا، لا يُحتمل وقوعه خارجا، سواء كان الامتناع ذاتيا، كشريك الباري، أو لعدم تحقق شرطه كاقتراب النار من الورقة شرط لاحتراقها، او لطبيعة الشيء وتكوينه، كامتناع صدور المعجزات والخوارق الكونية على يد الإنسان حسب طبعه وتكوينه. وما أكد القرآن وقوعه، يُقتصر فيه على مورده). فعودة الميت حيا معجزة، لا يقدر عليها سوى الله عزوجل: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ

عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ). وهذه حالة خاصة تولاها الخالق تعالى بنفسه لغاية محددة. كما أنها جرت على يد النبي عيسى بإذن اللّه، أي بقانون خاص بها. ومثلهما أصحاب الكهف (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً). فأيضا حالة استثنائية لا نعرف أسبابها وفقا للقوانين والأنظمة المتداولة حاليا.

القرآن لم ينص على الرجعة صراحة وبشكل واضح لا لبس فيه، إسوة بمعاجز الأنبياء التي أكد وقوعها بإذنه تعالى كي تستثنى من القاعدة الأنفة الذكر. وكل ما في القرآن آيات متشابهات يمكن تأويلها، لكن التأويل ليس حجة في مجال العقيدة كما تقدم، ولا بد من دليل واضح صريح لا لبس فيه كي يكون حجة على الناس. كما أن المتشابه من الآيات يرد للمحكم منها كي تتضح دلالاته، وإلا سنقع بفوضى عقائدية وتضارب بين آيات الذكر الحكيم. لقد بين القرآن عقائده بأدلة واضحة جدا، أدلة عقلية وأخرى إخبارات من قبل اللّه تعالى. وكل عقيدة يرفدها بعدد كبير من الأدلة كي لا يبقى عذر لدى الإنسان أمام اللّه عزوجل، كما بالنسبة الى يوم القيامة وتفصيلاتها من ثواب وعقاب وجنة ونار الى آخرها. فالقائل بالرجعة لا يملك دليلا صريحا يؤكد وقوعها، فلجأ إلى تأويل المتشابه من الآيات، دون الرجوع للمحكم منها، في مخالفة جريئة على منهج القرآن ومنطقه، حيث يجب تفسير المتشابهات في ضوء المحكمات، لصراحتها ووضوحها، فتصبح محددات تضبط عملية التأويل.

س87: طارق الكناني: أسأل عن عقيدة الرجعة عند الشيعة، هل تقوم على أسس دينية متينة تبرر الاعتقاد بها، كي نبحث عن تأويلات تجعلها مقبولة عقلا؟

ج87: ماجد الغرباوي: القول بالرجعة جاء في ظل تنازع محموم بين المذاهب الإسلامية على الفضائل كأدلة غير مباشرة على شرعيتها. فراح بعضهم يتشبث بفضائل يتوقف إثباتها على تأويلات قسرية، وروايات متهالكة، وخرافات وهرطقات لا تمت للعقل بصلة. فيحسبون أنهم يحققون بإثباتها انتصارا فضائليا. خاصة والرجعة يوم فصل بين الأخيار والأشرار، يتولى فيها أهل البيت مقاضاة خصومهم التاريخيين، الذين سيعودن بإذن الله إلى الدنيا ليقتص منهم المهدي في محكمة العدل الإلهي؟.

القائلون بالرجعة لا يسألون أنفسهم ما هي الغاية في محاسبة هؤلاء في الدنيا ما دام هناك يوم حساب، تجزى فيه كل نفس ما كسبت، كما يقول القرآن الكريم، حيث يقتص الله من الظالمين ويُثيَب المحسنين. ألا يدل الإيمان بالرجعة على تشكيك صارخ بجدوى اليوم الآخر، وعدم قناعة به؟ بل وشك عميق بعدالة الله تعالى؟ أليس القول بالرجعة يعارض قول الله تعالى إن إلينا إيابهم وإن علينا حسابهم. فبأي دليل تنتقل مسؤولية الحساب الى غير الله عزوجل بعد أن أختص بها؟؟ يبدو التأكيد على الرجعة يأتي من باب التعويض عن الإقصاء السياسي لأهل البيت وطغيان الشك في نفوس أتباعهم، حيث سيمارس الأئمة السلطة بعد رجعتهم لدار الدنيا، فيقتصون من أعدائهم وغاصبي حقوقهم. بهذه

الأحلام يضمن غلاة الشيعة تحقيق أمانيهم، وتطمئن نفوسهم. فبعض الشيعة عقد آمالا كبيرة على الرجعة، كفرصة أخيرة لتحقيق ما كان يتمناه ولم يستطع تحقيقة لأي سبب كان. بينما الرجعة بهذا الفهم تكرّس الكسل وعدم الشعور بالمسؤولية على أمل تعويض ما فقدوه بعد الرجعة.

القول بالرجعة فضيحة عقائدية مدوّية، تفترض واقعا لا يدعمه أي دليل قرآني صريح. تزرع روح الحقد والتشفي والانتقام من الآخر. وهي نتاج خطاب طائفي مرير، وتربية لا دينية ممقوتة، يرفضها منهج أهل البيت، بل ويرفضون كل فكر مغالٍ طارئ.

ثم كيف يعود هؤلاء ويمارسون حياتهم بعد آلاف السنين، وقد تغير كل شيء في الحياة، وكيف يتفاهمون مع الناس والعقل يعمل في ضوء خلفيته وتراكماته المعرفية والثقافية المتأثرة بظرفها الزماني والمكاني، ونحن نجزم باندثارها في عقل ما قبل ألف سنة، فكيف سيواصلون حياتهم. أما في اليوم الآخر فسينطقهم الله كما ذكر الكتاب العزيز ذلك، لكن بأي دليل قرآني صريح، واضح، يُثبت القائل بالرجعة إمكانية عودتهم للحياة ثانية؟ الرجعة رجم بالغيب يرفضها العقل ولا يؤيدها الكتاب العزيز.

لو عاد أجدادنا الذين ماتوا قبل قرن من الزمان للحياة سيتعذر علينا التفاهم معهم، وسوف لن يفهموا من واقعنا إلا القليل، فكيف بأشخاص مر على موتهم عشرات القرون؟ كيف ستتطور عقولهم إلى مستوى عقل ما بعد ظهور المهدي كي يتفاهم معهم ويحاسبهم على ما اقترفوا؟ وإذا صح وجود روايات حول الرجعة

فهي روايات خارج التاريخ، لا تلائم طريقة تفكير الإنسان وطبيعة وعيه للحياة والكون، ودور العقل والعلم.

س88: طارق الكناني: هل يمكن تسليط الضوء على الأدلة القرآنية التي ذكرتها في السؤال المتقدم، فهل الآية تؤكد الرجعة كما يفهمها بعض الشيعة؟ فبعض من مفسريهم وعلمائهم يقولون بذلك؟

ج88: ماجد الغرباوي: أما بالنسبة للآية التي ذكرتها في السؤال كدليل قرآني استدل به الفكر العقائدي الشيعي على ثبوت الرجعة قرآنيا، أعني قوله تعالى: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)، ومثلها قوله: (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)، فليس فيهما تصريح بالرجعة، إنما تتحدثان عن موتتين وإحياءين. والرجعة ليست إحياء فقط، بل إحياء وحياة طبيعية يمارس فيها الفرد مسؤوليته. وقد اختلف المفسرون في تحديدهما، فهناك من جعل نفخ الروح في الإنسان إحياء بعد موت. وآخر استدل بها على حياة البرزخ، وثالث قال بدلالتها على الرجعة، وكل واحد منهم استعان بشواهد من داخل الآيتين. لكن للإسف لا يمكنهم الجزم بصحة آرائهم. فالنص رغم وضوح دلالته يصعب تحديد مصاديقه بأدلة قرآنية. وأغلب الظن أنها تتحدث عن يوم القيامة، فالإحياءان والموتة الثانية يحصلان يوم القيامة، بدليل الآية الأولى تقول ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل؟

فعلامة السؤال هي التي تسلّط الضوء على الآية وتصبح قرينة على المعنى. أي أنهم ماتوا في الحياة الدنيا ثم أحياهم الله وشاهدوا عظمته، ثم أماتهم وأحياهم ليعترفوا بذنوبهم، (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل). فلو كانت الحياة الثانية هي حياة الرجعة وليست يوم القيامة لكان قد عذبهم الله على يد المهدي واستوفى عقابهم، وحينئذٍ سيصرخون ويستغيثون ويطلبون الصفح والمغفرة ويرجون العودة للعمل الصالح كردة فعل طبيعية، وبذلك تتم تسوية قضاياهم، فلماذا ينسب القرآن ذات المشاهد الى يوم القيامة في الحياة الثانية بعد الموت؟ مما ينفي الرجعة وما يجري فيها من تفصيلات ذكرتها روايات الغلو. وأن يوم الفصل هو يوم القيامة تحديدا وليس قبله. وآيات "الصيحة" في سورة ياسين تؤيد هذا الفهم:

- مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
- إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
- إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ

شخصيا لا أجد في الآيتين دليلا على الرجعة. خاصة والآية تقول: (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). فالآية تؤكد تأكيدا لا لبس فيه أن الانتقال للآخرة انتقال نهائي، تستحيل معه العودة لدار الدنيا، على خلاف من يدعي الرجعة بمفهومها الشيعي. بل وتؤكد الآية الكريمة أن بين الدارين برزخ، أي حاجز الى يوم القيامة، فمجرد أن يموت

الإنسان ينتقل للضفة الأخرى، ويفصله حاجز نهائي عن دار الدنيا، فيصبح إنسانا أُخرويا يختلف عما عليه في الحياة الدنيا. وهذه الآية تنسف الرجعة جملة وتفصيلا، وتكذّب جميع الروايات، رغم أن كبار علماء الشيعة يؤيدونها للأسف بشكل وآخر.

كما أن الآيات التالية تؤكد أن المراد بالبرزخ في الآية المتقدمة حاجز يفصل بين الحياتين، وليس المراد منه حياة القبر كما يذهب لذلك بعضهم. جاء في الكتاب الحكيم عن البرزخ: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ). فالبرزخ هنا هو الحاجز الذي يحول دون تداخلهما.

(أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)، (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا).

وعليه لا يمكن الاستدلال بالآية المتقدمة على الرجعة مع وجود هذه الآيات المباركة، بل ولا يمكن الاستدلال بها على عالم البرزخ وعذاب القبر، الذي هو عالم كما يقولون ما بعد الموت حتى يوم الحساب. وقد اتضح جليا أن البرزخ بالمصطلح القرآني هو الحاجز بين عالمين. والبرزخ في الروايات ممر وعالم يتوسط بين الموت والآخرة، وهذه الآيات لا تدل عليه ولا يمكن التمسك بها كدليل يؤكده. فالمراد بقوله: "وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"، أي ومن ورائهم حاجز إلى يوم القيامة، فمن المستحيل عودة الميت للحياة الدنيا ثانية.

محنة كتب الغلو

س89: طارق الكناني: وماذا عن عدد الروايات الكبير التي يرويها الشيعة في كتبهم، وتؤكد الرجعة بتفصيلاتها، ألا تصلح دليلا على وقوع الرجعة؟

ج89: ماجد الغرباوي: قررنا ضمن منهجنا في محاكمة العقائد أن النوبة لا تصل للروايات إذا كانت العقيدة معارضة للعقل أو للكتاب الحكيم. ولا تكون حجة إذا لم يدل عليها دليل قرآني صريح وواضح لا لبس فيه، لتوقف حجية العقيدة عليه، وإلا لا تكون العقيدة حجة ولا يؤآخذ الله عزوجل الناس عليها يوم القيامة. فالروايات تقع في طول الآيات وليس في عرضها كما يحلو للبعض ذلك. ومن الأولى أن لا تتقدم عليها.

عمدة دليل الرجعة لدى الشيعة مجموعة روايات رواها الشيخ المجلسي في كتاب بحار الأنوار في الجزء 53 من الطبعة الحديثة وعددها 198 رواية. وهي ضعيفة سندا لوجود مشكلة عامة في أسانيد كتاب بحار الأنوار. الكتاب كما ذكر مؤلفه في المقدمة جمع فيه كتبا شيعية وجدها وجادة، أي عثر عليها، وليس له طريق إليها، فهناك انقطاع في أسانيد كتب كتاب البحار قدرها 500 عام، فمن يصححها؟؟ كما لا يملك دليلا قطعيا لإثبات صحتها وصحة انتسابها لمؤلفها، فتعامل معها حسب ظاهرها[1].

---

1 - يقول الشيخ المجلسي في مقدمة الكتاب، ج1، ص3: (ثمّ بعد الاحاطة بالكتب المتداولة المشهورة تتبّعت الأُصول المعتبرة المهجورة التي تركت=

وهي كتب غلاة الشيعة كان الشيخ المفيد (413هـ) قد أحرقها وأتلفها لتعارضها مع عقيدة أهل البيت، فجاء المجلسي بعد 500 سنة فبحث عنها وأدرجها في كتاب بحار الأنوار فأحيى بإحيائها تراث الغلاة، وقد أهدى بعض كتبه للشاه الصفوي بعد أن خلع عليه جميع الألقاب، وكأنه إله. (أنظر مقدمة كتابه زاد المعاد).

فهناك فاصلة زمنية وانقطاع في أسانيد روايات كتاب البحار قدرها خمسة قرون فكيف تصحح هذه الروايات وهي وجادة وليست رواية؟ علما أن الوجادة أضعف أنواع تحمّل الحديث من حيث حجيتها، كما هو معروف في علوم الحديث ومقرر عند الفقهاء والإصوليين. ولهذا السبب وغيره لا يستدل فقهاء الشيعة برواياته الواردة في مجال الأحكام الشرعية رغم وفرتها.

ينبغي العلم أن شرط صحة الروايات والكتب الروائية أن يكون للراوي طريق صحيح لها، مع وثاقة رجال أسانيدها. أي أن

=في الأعصار المتطاولة والأزمان المتمادية... فطفقت أسأل عنها في شرق البلاد وغربها حيناً، وألحّ في الطلب لدى كلّ من أظنّ عنده شيئاً من ذلك وإن كان به ضنيناً. ولقد ساعدني على ذلك جماعة من الإخوان، ضربوا في البلاد لتحصيلها، وطلبوها في الأصقاع والأقطار طلباً حثيثاً حتّى اجتمع عندي بفضل ربّي كثير من الأُصول المعتبرة). ويقول في صفحة 26: (اعلم أنّ أكثر الكتب الّتي اعتمدنا عليها في النقل مشهورة معلومة الانتساب إلى مؤلّفيها). وهذا كلام صريح أنه اعتمد على شهرة الكتب، وليس له طريق خاص لها. فيبقى القطع خمسة قرون إشكالا مستعصيا يستوجب سقوط كتاب البحار أو أغلبه عن الاعتبار.

تكون سلسلة رواة السند متصلة، بشكل يروى عنهم واحدا بعد الآخر بلا انقطاع. فيقول مثلا: حدثني أو أخبرني فلان عن فلان إلى آخر سند الحديث. أو قرأت عليه، أو قرأ واستمعت له أو ناولني أو وغيرها من الألفاظ الدالة على صحة طريقه للرواية أو الكتاب. فوجادة الكتاب تعتبر أدنى درجات تحمّل الحديث، وهي ليست طريقا وسندا معتبرا بل كتابا وجده وجادة، لا يمكنه الجزم بصحة انتسابه لمؤلفه، ولا صحة سنده. وهذا هو حال الشيخ المجلسي في كتابه بحار الأنوار. فمهما كان عدد روايات الرجعة فهي مشمولة بهذا الإشكال الذي لا علاج له، بل ويُسقط أغلب كتب وروايات كتاب البحار عن الاعتبار. فكيف نحتج برواياته لعقيدة الرجعة؟ إضافة لكثرة الرواة المجاهيل والضعفاء في أسانيدها. وبالتالي فروايته تواجه مشكلة الانقطاع، ومشكلة ضعف أغلب الأسانيد؟

يعد كتاب بحار الأنوار مصدر الغلو، وما من فكرة مغالية إلا وتوجد مجموعة روايات يرويها صاحب البحار تؤكدها، وللأسف هواة الغلو يعتبرونها حجة، ويستدلون بها على عقائدهم دون دراية.

كان المنهج في تصحيح الروايات آنذاك أن يروي الراوي روايته عن رواة الحديث، واحدا عن الآخر، فيتوقف مستوى اعتبارها على درجة وثاقة رواتها. فإذا كان جميع رجال سند الحديث عدولا أو ثقات، خبراء بالروايات وأسانيدها ورجالها، تكون الرواية معتبرة. وقد تكون حجة إذا كانت تامة الدلالة، وليس لها معارض من كتاب أو سنة أو عقل. من هنا جاءت مشكلة كتاب البحار

فأغلب رواياته ضعيفة لوجود فاصلة زمنية كبيرة وليس لصاحب الكتاب طريق خاص لكل راو من الرواة، فهي روايات مرسلة، يحكم عليها بالضعف، وقد اتفقوا على عدم حجيتها. وكل ما تسمعه لتصحيح كتاب بحار الأنوار هي محاولات بائسة، ويكفي أن الشيخ محمد آصف محسني ألف كتاب: مشرعة بحار الأنوار، بجزئين، أجرى فيه تقييما لجميع رواياته وفقا للمباني الشيعية، فلم يسلم منها إلا القليل، فأحدث كتابه زلزالا، تعرض بسببه للتهمة ورموه بالجهل والانحراف، لكن عمله مبارك كشف حقيقة هذا الكتاب السقيم والبلاء على مدرسة أهل البيت.

هناك أكثر من إشكال وعلامة استفهام على روايات كتاب بحار الأنوار تثير الاستغراب، منها: لماذا أهمل أصحاب الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة أغلب الروايات التي رويت في البحار؟ والكتب الأربعة هي: كتاب الكافي للشيخ الكليني، وكتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، وكتابا التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي. علما أنها كتب مخصصة لأحاديث الأحكام الشرعية. وفي الجانب العقائدي هناك كتاب أصول الكافي وكتاب الروضة ضمن كتاب الكافي للشيخ المفيد، فأيضا لم يروي الغالبية العظمى من روايات كتاب البحار.

س90: طارق الكناني: إذا كانت روايات البحار ضعيفة بسبب ما تفضلت به، فكيف يعتمدون عليها في إثبات عقائدهم؟ وهل حاول بعضهم تصحيحها؟

ج90: ماجد الغرباوي: طرح بعض العلماء منهجا جديدا لتدارك الأسانيد الضعيفة في كتاب البحار بل في جميع الكتب الروائية عند الشيعة، من خلال استبدال أسانيدها، بطرق الراوي الصحيحة لتلك الكتب. فيتداركون خمسة قرون هي الفاصلة الزمنية بين كتاب البحار والكتب التي روى عنها، من خلال طرق وإجازات صاحب البحار العامة لتلك الكتب. مثلا إذا جاءت رواية في كتاب البحار عن كتاب الصلاة لزرارة بن أعين من أصحاب الإمامين الباقر والصادق، فتعتبر مقطوعة، ضعيفة، لوجود فاصلة زمنية لا يمكن معها تصحيح سند الرواية ولا تأكيد صدور الكتاب عن مؤلفه. لكن بما أن للشيخ المجلسي طرقا صحيحة أخرى لكتاب زرارة، فتصحح بها رواية البحار. وهذا تدليس، لأنك ترويها في البحار، فكيف تصححها بسند آخر؟. ورغم وضوح الكذب والتدليس لكن بعضهم اعتمده. ثم المعروف آنذاك تعدد نسخ الكتاب واختلافها بسبب النسخ أو ما يطرأ عليها من تزوير وتحريف، وبالتالي لا يمكن ضمان وحدة نُسخ الكتاب بالطريقين، حتى مع صحة طريق المجلسي لكتاب زرارة من خلال طرقه الخاصة وإجازاته. وهذه نقطة مهمة جدا، وإشكال كبير يواجه هذا الاتجاه الذي نظّر له السيد محمد باقر الصدر، بعنوان تعويض الأسانيد، ليوظفه في مجال روايات الأحكام الشرعية وليس لتصحيح روايات كتاب البحار.

ثم تأتي مشكلة ضعف سند أغلب الروايات المذكورة في كتب الوجادة نفسها، حتى لو استطعنا تدارك فترة الانقطاع بسند آخر.

فلو استطعنا في المثال المتقدم تصحيح السند بين المجلسي وآخر رواة سند الحديث في كتب الوجادة، (مثلا ما بين المجلسي والطوسي)، لكن كيف نصحح السند من الطوسي الى صاحب الكتاب مع وجود رواة ضعفاء؟. فتكون الرواية ضعيفة بهم، وتسقط عن الحجية. أي هناك رواة ضعفاء في نفس أسانيد كتب الوجادة تسقط بهم الرواية عن الاعتبار حتى لو كان لصاحب البحار طريق صحيح بينه وبين آخر راوي سند الحديث.

وبالتالي لا يمكن الركون لروايات كتاب صاحب البحار، ولا يمكن أن يحتج بها أحد:

أولا: لأنها كتب وجادة، والوجادة أضعف أنحاء تحمّل الحديث

ثانيا: وجود عدد كبير من الرواة الضعفاء والمجهولين في أسانيدها. هذا من حيث سندها.

وأما من حيث متنها، فأغلبها يتعارض مع العقل والقرآن، وفيها كفر وتخريف، فمصيرها الإهمال والتجاهل، وتبقى تراثا لدراسة العقل الشيعي المغالي فقط. لكن المدهش بعضهم يروم تأويل الآيات بها رغم كل ما فيها من ضعف وسقم!!!.

يا سيدي الشيعة مخترقون في تراثهم من قبل الغلاة، حتى قاموا بدس روايات الغلو في أسانيد صحيحة يتعذر اكتشافها لولا معارضتها للعقل والقرآن الكريم. كيف يمكننا الأخذ بروايات البحار والمتواتر عن النبي ما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما خالف كتاب الله لم أقله. من هنا لا داعي لمناقشة روايات تفتقر لوجود ما يؤيدها في الكتاب الكريم، بل ومعارضتها له. فالأصل ثبوتها

قرآنيا وعدم معارضتها للعقل، فأذا ثبتت قرآنيا ولم تعارض العقل تصل النوبة للروايات للحديث عن تفصيلاتها.

أما كيف يتبنى علماؤهم هذه العقيدة وغيرها؟. يتبنون هذه العقائد بناء على مبانيهم في تصحيح الروايات، كما يعتقدون بأن الرواية تخصص الآيات، وتشخص المصاديق، وهي مبانٍ لا يدل عليها دليل معتبر، سوى استدلالات لا تصمد أمام النقد الموضوعي.

قضية العقيدة مرتبطة بالله عزوجل وقد أوضحها بآيات بينات واضحات لا لبس فيهن، وما عداها يبقى زخرف: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

هذه هي عقيدة القرآن الكريم واضحة لا لبس فيها، أضف لها الإيمان بوحدانية الله وعدم الإشراك به أحدا، والإيمان باليوم الآخر، وبالحساب والجنة والنار والإيمان بعدل الله ورحمته وعفوه ومغفرته وما جاء في كتابه، والإيمان بالغيب العصي على التفسير، كالإيمان بالملائكة والجن والجنة والنار التي لولا إخبار القرآن فلا يصدقها العقل السليم إذا خلي ونفسه، لعدم وجود دليل وشواهد حسية تدل عليها.

الرجعة في الديانات الأخرى

س91: طارق الكناني: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ).

شكرا لك استاذ ماجد الغرباوي على هذا التفصيل، ولكن يبقى هناك سؤال هل أتباع المذهب الجعفري فقط يؤمنون بالرجعة؟ وهل توجد هذه العقيدة عند بقية الأديان كاليهودية والمسيحية؟ فالإنسان بطبعه ينشد العدالة ويحب أن يلمسها بشكل مادي حقيقي ليطمئن، فهو غير قادر على تصور يوم القيامة مع ايمانه به: (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فهذا الاطمئنان ضروري للنفس البشرية.

ج91: ماجد الغرباوي: صدقت. الاطمئنان ضرورة للنفس البشرية المسكونة بالنزعة المادية، وتراودها شكوك حول الغيب وما بعد الموت، خاصة مع يقظة العقل وتوثّب الوعي. لذا تعددت مناشئ الإيمان، ولم تقتصر على العلم والبحث العلمي، بل أن العلم والبحث العلمي لا يورثان الإيمان بسهولة ما لم يصاحبه طقوس وشعائر ومناسبات ومشاعر وتحديات وردود أفعال وعادات وتقاليد وعبادات.

فالإيمان يترسخ بالممارسات العبادية والتسليم، وتقوضه الشكوك المجردة من العاطفة. من هنا لعبت الطقوس والشعائر دورا كبيرا في ترسيخ ونشر العقائد الدينية رغم لا معقولية بعضها.

فالإيمان بالرجعة كما ذكرت في سؤالك يحتاج لعدد كبير من الأدلة والشواهد لتذعن لها النفس، لاستحالة عودة الميت للحياة الدنيا، بل هي من المستحيلات وقوعا حتى لو كانت ممكنة بالإمكان الفسلفي، فليس كل ممكن فلسفيا ممكنا وقوعا. وهذا لا يتنافى مع كون الله عزوجل قادر على إحياء الموتى، لأننا لا نتحدث عن الاستثناء وبأمر من الله عزوجل، إنما نتحدث عن الوضع الطبيعي للحياة والموت، فالموت ينهي الإنسان وينقله لعالم آخر مختلف لا نعرف عنه شيئا، وقد فصل الباري عزوجل بين العالمين ببرزخ أو حاجز عصي على الإختراق.

أغلب الناس في موضوع العقيدة ينطبق عليهم قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ). فتوارثوا العقيدة عبر بيئتهم ونشأتهم وتربيتهم حتى ترسخت لا شعوريا حداً لا يطالها الشك، واكتسبت مناعة ذاتية يصعب معها النقد والمراجعة والبحث عن حقيقتها. وهذا لا يعفي الإنسان يوم القيامة ويبقى مسؤولا عن عقائده ما دام أنسانا عاقلا مميزا قادرا على معرفة الحقيقة، ولا مجال للتقليد فيها، وهذا متفق عليه لدى جميع العلماء والفقهاء، وكلهم يصرحون: لا تقليد في أصول الدين. فليس هناك اطمئنان معرفي بقدر ما هو اطمئنان عاطفي يسوقه العقل الجمعي حد الموت:

ومَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

فالبيئة الاجتماعية والثقافية للفرد كفيلة بترسيخ عقائده، وتحصينها ضد الريبة والشك، بل وتقوم بتعبئته آيديولوجيا أمام

التحديات وردود الأفعال، فيندفع لا إراديا لمواجهتها، ورد الشبهات عنها. وبدلا من نقد ومراجعة علامات الاستفهام يتعصب لا شعوريا لعقيدته مهما كانت مساحة اللامعقول الديني فيها. وتارة يفهم التحديدات فهماً وجوديا، إما الثبات والدفاع حتى الاستماتة من أجل المحافظة على كيانه وهويته أو الذوبان والانحلال بمعنى الموت والفناء المطلق. إن ربط وجود الإنسان بعقيدته كلف البشرية دماء كثيرة، وما زال منبعا للكراهية والتنابذ.

ينبغي أن يضع الإنسان مسافة بينه وبين عقديته تمكنه من مراجعتها ونقدها باستمرار لصد اللامعقول والأسطرة، ونزع فتيل التعصب والكراهية، لتبقى العقيدة نقطة استقطاب للآخرين تهديهم إلى الحق والعمل الصالح. ويجب أن يكون العقل والقرآن حاضرين حينما يتعامل مع الروايات، وعدم التسليم لأقوال رجال الدين وخطباء المنابر. كل هذا لا يعفيه عن السؤال يوم القيامه: وقفوهم انهم مسؤولون.

س92: طارق الكناني: من اكثر العقائد التي فيها مجال للنقد والتحرر الديني والافتاء بالمستجدات هو المذهب الجعفري وأرى ان هذا التحرر قد سمح باختراق العقيدة الشيعية كثيرا، أرى انك تحرض كثيرا على نقد هذه العقيدة، هل تعتقد ان هذا التحريض على النقد يصب في مصلحة التشيع ام ضده؟. ومن جهة أخرى أرى عملية التمسك بالعقيدة كبير جدا فما هو تفسيرك لهذا التمسك؟. وهل هو عن معرفة وايمان ام كما جرت العادة هو اتباع اسلافهم؟

ج: 92: ماجد الغرباوي: السؤال والشك حول موضوع الرجعة وفقا للمفهوم الشيعي مبرر جدا، يدل على نضوج عقلي، ويقظة ووعي ينبغي أن يتصف به كل مثقف بل كل الناس. لقد وضحّت في الأجوبة المتقدمة ما يكفي حول ضعف أدلتها، وتناقضها مع القرآن الكريم، بل ومخالفتها للعقل، ما دام يحكم باستحالة عودة الإنسان للحياة بعد الموت، لأن الموت فناء، بتصريح الكتاب الكريم: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)، والفناء عدم مطلق، تستحيل معه عودة الميت للحياة مرة أخرى، لوجود برزخ وجدار لا يخترق بين الدارين، كما هو واضح وصريح وفقا للآيات التي ذكرت في الأجوبة المتقدمة. والبرزخ تعبير أخر عن اختلاف الدارين بل واختلاف طبيعة الإنسان فيهما. فلا يبغيان ولا يتداخلان بسبب وجود تباين ذاتي وجوهري يجعل عودة الإنسان للحياة الدنيا مستحيلة. (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).

للأسف الشديد تجد علماء وفقهاء كبار يتعاملون مع مفاد الروايات بمعزل عن الحياة وقوانينها وضروراتها، وبعيدا عن ثوابت الكتاب وصحيح الروايات، وهذا مكمن الخطر والبلاء المبرم على الإسلام والمسلمين. هؤلاء يعيشون في عالم خاص هو عالم النص والرواية التاريخية حيث بَداءَة الحياة وسذاجتها حين صدورها، أما اليوم فمعطيات العلوم هائلة تفرض نفسها على كل عقيدة وفكرة دينية وغير دينية، وبات العقل يدرك ما وراء النص

وخلفياته ودوافعه، بل لا أبالغ أن فسلفة التشريعات والعقائد ليست عصية بل يمكن الكشف عن مقاصدها وغاياتها.

ثم لماذا تأسر الروايات المسلم حداً يستقيل فيه عن عقله ووعيه ويدع الرواية تشرح وتفسر وتبين له كل شيء؟ بما فيها الروايات الصحيحة، لأنها كغيرها من النصوص متأثرة بظرفها الزماني والمكاني. ينبغي أن يكون العقل أكثر يقظة ووعيا ودقة عندما يتعامل مع الروايات والتاريخ، فثمة عوامل ذاتية وموضوعية مؤثرة يجب عليه إدراكها وتفهمها كي يخلص إلى نتائج مفيدة، ترفد العقل والوعي بأفكار تنير له درب المستقبل، ولا تنكفئ به صوب الماضي، لينقطع عن عالمه ويعيش عزلة حضارية مقيتة. الروايات تضيء شيئا من فضاء النص بينما بإمكان العقل إدراك ما لم يدركه النص، خاصة العقل الموضوعي الحر المتحرر من سلطة التراث والنصوص. فالعقل فوق النص في مجال العقيدة: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا).

الرجعة عقيدة شيعية بامتياز، ورهان يُعوّل عليه في ثبوت شرعية المشروع الديني، المتضمن حتمية خضوع الأرض لسلطة الأئمة المعصومين كي تنعم البشرية بدولة العدل الإلهي. فالشيعة يعتقدون ثمة دولة عدل إلهي لم تر النور ولن تراه ما لم يظهر المهدي فيملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن مُلئت ظلما وجورا، بل وسيظهر معه عيسى وباقي الأئمة، وتنقلب الأرض في ظل حكومتهم باحة عدل ورفاه للبشرية جمعا، بعد استئصال الظلم من أصوله، أي أول من أسس أساس الظلم لمحمد وآل محمد. بل وفقا للنظرية الشيعية،

سيعود للقصاص الخلفاء الثلاثة ومعاوية ويزيد وغيرهم ممن اغتصبوا السلطة من علي بن أبي طالب وأبنائه.

كل المشكلة في الآراء المذهبية ومنها المذهب الشيعي في قبلياتهم والمقدمات التي تؤسس لآرائهم وعقائدهم، فمثلا يعتقد أغلب فقهاء الشيعة بعدم شرعية أي سلطة مهما كان مستواها الحضاري ما لم تكن بزعامة الإمام المعصوم!! فكأن لوجوده خصوصية ذاتية، كالعصمة مثلا، تتوقف عليها شرعية السلطة وقبل ذلك رضا الله تعالى. فالمقياس وجود الإمام ظل الله في الأرض لا ما يترتب على وجوده من إنجازات حضارية، مما يدل على استعداد الفرد الشيعي للعيش في دولة متخلفة إذا استكملت شرعيتها بوجود الإمام المعصوم!. وقد وضحت في أجوبة سابقة جانبا من فلسفة وجود الإمام حاضرا أم غائبا. وهذا الفهم يكشف عن وجود خلل معرفي، في ظل وعي متهالك استبدت به روح التبعية والانقياد، وقصور في فهم الدين والحياة وكرامة الإنسان ودور الرموز الدينية. يفترض أن يكون مجتمع الرقي الحضاري أو مجتمع العدل الإلهي الهدف الأساس من وراء وجود الإمام. فكأن وجود إمام معصوم يعد حلما وأمنية مشروعة آنذاك، حيث الظلم والاضطهاد والاقصاء والتخلف والنكوص الحضاري، والأوبئة والحروب والإمية والجهل حداً لا يمكن معالجته إلا بشخصية أسطورية. أما اليوم فهناك مشاريع حضارية تتحدى. فينبغي للشيعي التوفر على أجوبة حضارية معقولة عندما يجعل من المهدي شماعة لتخلفه وعجزه على أغلب المستويات. ويعلق على ظهوره جميع آماله

وأمانيه. عليه أن يدرك أن الغرب الآن يعيش عصرا حضاريا يحترم فيه جميع الأديان والعقائد، وتدار الدولة سلميا بالعدل وسيادة القانون، وشعوبهم تعيش مستوى رفيع من الرفاه والضمان الصحي والاجتماعي. إن الحديث عن الرجعة والمهدي كان حديثا مشروعا قبل ألف عام، ولو أن السلف عاشوا ظروفنا لتغيرت آراؤهم، فآفق اليوم تختلف جذريا عن آفق الأمس. وبإمكان المسلمين اليوم إقامة حضارة متقدمة على قاعدة أخلاقية دينية، تتكامل ببعديها الفكري والمادي، ولا حاجة لانتظار إنسان كامل، والتجارب كفيلة بنضوج الإنسان. بل ولا يوجد إنسان كامل.

لكن للأسف عقول بعض رجال الدين تعيش عزلة حضارية، ومازالت ترابط في القرون الأولى، وتكتفي بتقليد السلف، وتجعل من التراث سلطة توجه معارفهم وتضبط سلوكهم وتتحكم بمشاعرهم، فتكون فتاواهم وآراؤهم الفقيهة وليدة بيئة أخرى، وظروف مختلفة، فيفرضون على مقلديهم فهماً ينتمي لعالم غير عالمهم. لأن الزمن متوقف بالنسبة لهم مهما كان حجم التحولات، ويبقى يقيس الحاضر على الماضي، ويسقط الماضي بكل حمولته على الحاضر فيتحمل الناس وزره وتبعاته. الفقيه يستنبط الحكم الشرعي اليوم بمعزل عن الحاضر وضروراته، وحتى لو أُخذ الحاضر في نظر الاعتبار فلا يتخلى عن الماضي المسكون به، فيجده النموذج الأمثل الجدير بالاتباع فكريا وسلوكيا مدى الدهر. من هنا تجد فجوة بين الحكم الشرعي والواقع، أو بين الفتوى والواقع. يجب على الفقيه الفصل بين الواقعين، واستنباط

الأحكام في إطار ما يعيشه الإنسان من تحولات كبيرة على جميع المستويات. وهذا ما يتصف به حاليا بعض فقهائنا الواعين.

أما سؤالك عن رؤية الأديان الأخرى للرجعة فهناك من يحاول بتأويلات غريبة إثبات الرجعة قرآنيا، ونسبتها لبعض الأنبياء كيونس مثلا، كي تكون له قاعدة يستند إليها في تنظيره لعقيدته.

وهناك من يقول بعودة عيسى، مع الاختلاف في تفصيلاته، من حيث شخصيته وحياته. وهو ما تعتقد به اليهودية والمسيحية أو أغلب مذاهبهما. فضلا عن الشيعة الذين يعتقدون بعودته وصلاته خلف الإمام المهدي!!.

لا تنسَ الرجعة حلقة ضمن سياقات ظهور المهدي لا يهتم بها أحد سوى بعض الشيعة، أما عامة الناس فلا يعرفون تفصيلاتها رغم ترديدها خلال زيارتهم لأضرحة الأئمة، حينما يقرأون: (إني بكم مؤمن وبإيابكم موقن). لذا تختفي عن أحاديثهم فهي ليست كظهور المهدي الذي يلهجون به دائما ويعولون على ظهوره كثيرا. فالأصح إنها عقيدة شيعية خاصة جدا، لا أحد من العلماء يقول بضرورتها مذهبيا ودينيا ما عدا الغلاة منهم، ولا يتوقف عليها أي عمل عبادي، فسواء أمنت بها أو لم تؤمن. لا تؤثر إطلاقا على إيمانك وإسلامك، بل ولا تؤثر على تشيّعك، فهناك من العلماء لا يؤمن بالرجعة لكن يخشى التصريح، أو يقتصر في تصريحه على خاصة أصدقائه ومريديه.

الضرورة الشيعية

س93: طارق الكناني: يقول الشيعة إن من ينكر وجود الحجة وهو (الإمام الثاني عشر) يعتبر ناكرا لضرورة من ضرورات الدين، وبالنتيجة فهو خارج عن الملّة. ما مدى صحة هذا الرأي؟. وهل هو رأي لكافة علمائهم؟ أو بشكل أعم ما هي قيمة الضرورات الشيعية. ومدى تأثيرها على عمل الإنسان؟

ج93: ماجد الغرباوي: لا أحد من الفقهاء يعتبر الإيمان بالمهدي وظهوره ضرورة يتوقف عليها إسلام الشخص وإيمانه، بل حتى الإمامة التي هي ركيزة التشيع لا أحد يقول بأنها ضرورة من ضرورات الدين إلا بعض المتطرفين، لذا فهي عندهم امتداد للنبوة وليست أصلا مستقلا، رغم أنها ضرورة مذهبية فليس التشيع في رأيهم سوى الإمامة وإمتداداتها حتى تصل المهدي. فمنكر الإمامة لا يصدق أنه شيعي بالمعنى الأخص. وعليه سواء أمنت بإمامة الإمام علي خليفة للنبي أو لم تؤمن، أمنت بالمهدي وظهوره أو لم تؤمن، أمنت بالرجعة أو لم تؤمن، لا تخرج عن صفة الإسلام، ولا يتوقف عليهما قبول أي عمل من أعمالك العبادية.

لكن لا أنفي وجود متطرفين يحكمون بكفر من ينكر الإمامة ولوازمها، بل يحكمون بالكفر والخروج من الإسلام على من ينكر أي مفردة من مفردات العقيدة الشيعية الأساسية. لكن هؤلاء لا يمثلون التشيع الرسمي، وليس هذا دفاعا عن أحد وبالإمكان مراجعة آراء فقهاء وعلماء الشيعة، قديما وحديثا.

فهناك فرق بين الضرورتين الدينية والمذهبية، الضرورات الدينية أو ضرورات الإسلام منصوص عليها قرآنيا، نصا صريحا واضحا بينّا، لا لبس فيه، كالشهادتين (لا إله إلا اللّه .. محمد رسول اللّه). والإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة والصوم وباقي العبادات التي دأب فقهاء المسلمين على تكفير منكرها أو إحداها. وهي ضرورات متفق عليها إجمالا.

وأما ما دل عليها دليل خاص وفقا للعقيدة الشيعية ومصادرها فتعتبر ضرورات مذهبية، خاصة بالتشيع وأتباعه. فليس هي شرط في إسلام الشخص ولا في إيمانه، ولا يتوقف عليها أي عمل عبادي، وهي ليست شرطا لقبول الإعمال ولا يترتب عليها أي شيء وإلا لتصدى القرآن لبيانها. وما التكفير على أساس الضرورات المذهبية سوى تعصب واستفزاز واندفاع طائفي -أيديولوجي مقيت لا علاقة له بالاسلام والقرآن إطلاقا. ومن يتذرع بهذه الضرورات عليه أن يتق اللّه ويتسلح بالعلم والمعرفة والارتكاز للقرآن وثوابت الدين الحنيف. وإذا كانت هناك تحديات تاريخية فقد انتفت، وأمامنا تحديات من نوع آخر، تطعن صميم الدين والإسلام وتضع معتنقي الدين الحنيف في دائرة التخلف والانحطاط بسبب ممارسات التكفيريين، فلا نكون عونا لهم ضدنا، ولا نعطي مبررا لقتلنا وتشريدنا بسبب عقائد لا تمت للدين الحنيف بصلة، وقد فرضتها ضرورات تاريخية في صراع على شرعية الخلافة، تلك العقدة التي خلفت تداعيات هائلة وما زالت تضرم النار في وجودنا وعقولنا، وتضعنا في دوامة التوثّب والاستفزاز. بل وكانت وما تزال

أحد أسباب الصراعات الطائفية التي فتت عضد المسلمين، وجعلت منهم طوائف ومذاهب شتى، حتى راح بعضهم يستبيح دم الآخر خلافا لكتاب الله وسنة نبيه.

عقيدة القرآن واضحة جلية لا لبس فيها، يتقبلها العقل بسهولة، ونستطيع الاستدلال عليها من خلال الوجود والكون والانسان والطبيعة، وشواهد وجود الله تعالى ووحدانيته لا تعد، مما يدل على صدقها. وأيضا بالنسبة للرسالات السماوية فقد تكفل الكتاب العزيز بذكرها وتأكيدها وبيان تفاصيلها، فسرد قصص الأنبياء وما واجهوه من تحديات كبيرة، حتى صار الإيمان بهم جزءا لا يتجزأ من عقيدة المسلم (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).

ويكفي بالقرآن شاهدا عليها، بل ويكفي بالكتاب الكريم شاهدا على نبوة رسول الله، كنص متعال أدهش كل من تعامل معه. (قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا). (لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا).

بينما العقائد الباطلة ترهقك في تأويلات وتفسيرات غريبة لتبرير غرائبيتها، كما يفعل غلاة الشيعة عند أسطرة الإمام حداً ينافس الخالق في صفاتها، معاذ الله، لقد ظلموا آل محمد وما زالوا نقمة وبلاء على الإسلام والتشيع، وأساس مصائبه ومحنته.

إن عقائد الشيعة وغيرها من الفرق تعكس فهماً خاطئاً عن

الكون والحياة ودور الإنسان، فهماً راح يزاحم القرآن في قوة حضوره وتبنيه، رغم أن الأخير استهدف وعيهم عندما استعرض عقائدهم حول الخالق والخلق واليوم الآخر.

بعض عقائد المسلمين التفت على القرآن من خلال تأويل آياته فأربكت منظومة العقيدة الإسلامية عندما أقحمت فيها طلاسم وهرطقات فاتسعت مساحة اللامعقول الديني، بينما منهج القرآن قائم على حصر مساحة اللامعقول الديني في القضايا التي يتعذر على الإنسان إدراكها فتصدى لبيانها كوجود الملائكة والجن والشياطين واليوم الآخر. فنكتفي بها. وهذا هو القدر الذي يتوقف عليه إيمان الإنسان حسب تقديره تعالى، ولو كانت هناك ضرورات لكانت التفصيلات أكثر.

وبالتالي فصدقية العقيدة تتوقف على ثبوت موضوعها في مرحلة سابقة، كوجود الله تعالى، حيث يأتي الاعتقاد بوجوده تلقائيا من خلال شواهد الكون بدقته ونظمه وعظمته التي تدل على وجود خالق وراءها، لذا دأب القرآن على الإشارة للكون وما فيه من سماء وأرض وماء ونبات وحيوانات. لذا فالعقل السليم لا يعاني في عقيدته بالخالق.

كما تصدى القرآن لبيان رسالة الأنبياء بنفسه حينما سرد قصصهم بما يكفي من تفصيلات، فالإيمان بها مترتب على الإيمان بالله وكتابه.

هذه هي عقيدة الإسلام تشير دائما لحقائق موجودة أمام الإنسان، لا يمكنه إنكارها، فيذعن للإيمان من خلالها، لهذا

تؤكد الآيات دائما : ألا يعلمون؟ ألا يتفكرون؟. على خلاف الأخبار وما تفيده من عقائد يصعب بل ويستحيل الجزم بها. فضلا عن مشكلة ضعفها سندا.

القرآن يختلف في إخباراته لأنه قطعي السند كما أن أغلب دلالاته بالنسبة للعقيدة قطعية أيضا. فنحن نؤمن باليوم الآخر بناء على إخبار عالم الغيب والشهادة. وعندما نؤمن بمعجزات الأنبياء بناء على إخباره أيضا. وبالتالي فما لحق بالعقيدة الإسلامية القرآنية من عقائد تبقى مجرد احتمالات لا يمكن الجزم بها ما لم نتأكد من عدم معارضتها للعقل، ووجود شاهد قرآني عليها فضلا عن عدم معارضتها له. وفي جميع الأحوال لو ثبت صحتها وعدم معارضتها فهي ليست ملزمة لأحد لأن الرسول الكريم لم يطالب الناس بعقيدة أكثر من الشهادتين: لا إله إلا اللّه ... محمد رسول اللّه. بها يصان دم المرء وعرضه وماله، كما يقول الفقه الإسلامي.

المحور التاسع

الإمامة مفهوم سياسي

الأئمة من قريش

س94: طارق الكناني: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) وكذلك عدد الحواريين الذين ناصروا عيسى، لقد صاغ المسلمون حديثا يحاكي هذه الايات "إن الأئمة من قريش وعددهم اثنا عشر إماما" حديث متفق عليه وزعم المسلمون أن هذه الايات توثقه. وهذا الحديث أوقع كافة المذاهب الاسلامية باشكالية كبيرة، والبحث عن هؤلاء الاثني عشر إماما، كل طرف بما يلائم هواه. برأيك هل توفق أحد هذه الأطراف بالعثور عليهم؟

ج94: ماجد الغرباوي: الحديث: (يتعاقب فيكم اثنا عشر إماما كلهم من قريش). وفي رواية أخرى: (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً لاثنى عشر خليفة كلهم من قريش). وهو من الأحاديث المشهورة عندهم جميعا على اختلاف صيغ الحديث (خليفة، أمير، إمام).

أما بالنسبة للسؤال، فلا أدري كيف جعلت الآيتين مؤيدتين لفكرة الحديث؟ هل هناك ملازمة بينهما وبين وجود 12 خليفة؟ أنا لا أجد أية ملازمة بين وجود 12 أسباطا، و12 من الحواريين، ووجود 12 خليفة لدى المسلمين؟. تلك الآيات ناظرة الى واقع مضى، بينما الحديث النبوي استشراف للمستقبل. فهناك بون بين موضعيهما، فلا يصح أن تكون الآيتان شاهدا لتأكيد صحة مضمون الحديث الشريف المنسوب للنبي الكريم. فالمقايسة خطأ أساسا لاختلاف الموضوع.

لا أناقش سند الحديث وصحة صدوره عن الرسول لشهرته لدى الجميع، بل ويجب أن يكون صحيحا، بأي ثمن، لتوقف شرعية خلافتهم في بعض جوانبها عليه. لذا تجد التنافس على أشده لتقديم 12 إماما أو خليفة أو أميرا لتأكيد شرعية هذا الطرف أو ذاك.

لا ننسى إن أول من قال: (الخلافة في قريش) هو أبو بكر في سقيفة بني ساعدة عندما أشتد الخلاف بين المهاجرين والأنصار على السلطة. أو بالأحرى نزاع على مشيخة المسلمين قياسا على مشيخة القبيلة. حيث اقترح الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر سمعت رسول الله يقول: (الخلافة في قريش)، وهو الراوي الوحيد لهذا الحديث، وبه حُسمت معركة الخلافة بفضل سلطة النص وقدرتها على توجيه وعي المسلم وتغيير قناعاتهم. فلما سمع الصحابة الحديث تراخوا ثم بايعوا، بفعل لباقة بعضهم ممن بادر لمبايعته في خطوة لإحراج الآخرين، فتكللت بالنجاح، وحققت كامل أهدافها، بتنصيب أبي بكر أول خليفة للمسلمين.

إن رائحة السياسة تفوح من هذه الأحاديث التي تشبث بها الخلفاء لتكريس خلافة قريش، وهي نزعة جاهلية لا تمت للدين بصلة، فليس هناك تفاضل على أساس عرقي أو قومي، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، هذا هو المنطق القرآني، فالتفاضل دائما على أساس التقوى، بينما يسند الحديث الخلافة لقريش لمجرد أنهم قريش مما يتعارض مع منطق القرآن ويدفعنا للشك في صدوره عن النبي الكريم. ولو اعترضت بأن: الخلافة غير التقوى. أقول: إني أتحدث عن القيم بشكل عام. والعنصرية لا تدخل طرفا

في تفضيل أي شخص وفقا لمنطق القرآن، بل التفاضل دائما على أساس التقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وقول النبي الكريم: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وأما القيادة والخلافة فالتفاضل فيها على أساس الكفاءة، وليس النسب، كما تريد قريش، وإلا فعلي بن أبي طالب أقرب لرسوال الله، فهو ابن عمه، وزوج ابنته فاطمة. ثم الحديث مصاغ بطريقة مواربة فهو يحصر المتلقي بين نتيجتين كلاهما يصب في صالح قريش، فأما أن تعتبر الحديث تشريعا وحينئذٍ يحرم مخالفة الرسول، أو أنه أمر إرشادي باعتبار أهليتهم للقيادة فأيضا إرشادات الرسول حجة لمنزلته ومكانته وصدقه وإخلاصه. أو لا هذا ولا ذاك بل كتحصيل حاصل لأكثر من مبرر يعرفه الرسول الكريم.

لكن الحديث لو سلمنا بصحة صدوره عن النبي، إما أن يكون مجرد نبوءة واستشراف للمستقبل في ضوء خبرته بقريش وولعها بالزعامة، ولا محال ستنافس الآخرين عليها. وهذا توقع معقول وفقا لخبرة النبي ومعرفته بخلفياتهم التاريخية. وما العدد 12 سوى لاحقة اضطروا لها فيما بعد، وإلا فأصل الحديث ما قاله أبو بكر في سقيفة بني ساعدة. فأرادوا بالرقم 12 شمول الأمويين به، وشرعنة خلافتهم، لذا لا يتورع المؤيدون للدولة الأموية من إدراج الخلفاء الأمويين ضمن العدد 12 بما فيهم يزيد قاتل الصحابة وأهل البيت، ورغم جرائم الأمويين التي يندى لها جبين الدين. بينما يقتصر آخرون منهم على الخلفاء الأربعة وإضافة عمر بن عبد العزيز، وأما ما تبقى من العدد 12 فموكول للمستقبل.

أو أن يكون الحديث ناظرا لكفاءة قريش القيادية وخبرتهم في إدارة القبائل العربية، قياسا على زعامتهم لمجتمع مكة. وهذا رأي شخصي لا يفيد تزكيتهم أو تبنيهم مطلقا. بمعنى آخر، الحديث لا يُلزم أحدا، ولا يفرض قريشا دون غيرهم.

س95: طارق الكناني: أنا لا أقول إن الدين الإسلامي دينا عشائريا كما قال البعض انما هناك عدة آيات تؤكد على العشيرة والأقربين منها، وانذر عشيرتك الاقربين ووصفهم تارة بانهم جناحك الذي يأويك وغيرها من الأوصاف. فالقرآن يؤكد على العشيرة ولهذا أذعن الناس بعد سماعهم الحديث من أبي بكر بالرغم من عدم سماعهم له من الرسول. لماذا تستبعد صدور هكذا حديث عن الرسول؟ ألا يدل هذا على شعوره بالمسؤولية تجاه الأمة؟

ج95: ماجد الغرباوي: ربما كان للحس العشائري دور في تصديق أبي بكر ومن ثم مبايعته، فالإسلام لم يصقل نفوسهم تماما، وظلت القومية تلعب دورا خفيا في الأحداث، خاصة السياسية. أي رغم أنهم لم يسمعوا الحديث عن النبي الكريم لكنهم صدقوه في ضوء خلفيتهم وحسهم، بعد أن وجدوه منسجما مع المنطق العشائري.

أما بالنسبة للمنطق القرآني، فآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) وظفت مفهوم العشيرة لدعم الرسالة من جهة ولكي تكتسب الدعوة الإسلامية مصداقية أكثر عندما يبدأ النبي بدعوة عشيرته، خاصة في مجتمع عشائري كمكة المكرمة، فدعم

عشيرة النبي لرسالة السماء له ثقل كبير وسط المجتمع المكي يؤثر على موازين القوى فهم شخصيات القبائل العربية وشيوخها. فأمرته الآية أن يبدأ بعشيرته.

لا يمكن أن يكون الحديث آنف الذكر أمرا نبويا بتولي قريش الخلافة، لأنه سيقطع الطريق أمام جميع المسلمين وفيهم من هو أكفأ منهم قيادة. كما أنه تعصب لا يليق بنبي مرسل.

ثم توجد مشكلة أخرى لا تسمح بتبني الرسول لأي شخص، إلا مع ضمان عصمته وهو ممتنع ومنتفٍ، لأن التبني تزكية مطلقة لمجمل سلوك ومواقف وآراء المُتَبَنَى. بمعنى ستكون مواقفه وقراراته حجة عليهم، وفي هذا ظلم للآخرين، لا يفعله رسول الله ولا يتورط به، خاصة في مجال السياسة والقيادة الملأى بالأخطاء. بل الرسول أخطأ في اتخاذ قرار عاتبته عليه الآية صراحة: "عفا الله عنك لم إذنت لهم"؟. محمد نبي مرسل من الله وأسوة وقدوة ومثالا، فكيف يتورط بتزكية قريش؟ وماذا عن تصرفاتهم وسلوكهم، حينما تكون انحرافا عن الدين؟ وكيف نبرر إنحرافات الأمويين؟ ومن يتحمل أخطاءهم السياسية؟. لهذا أشكك بصدور هذه الأحاديث عن النبي. والرسول الكريم أرفع وأجل أن يتورط بتزكية قريش للخلافة مطلقا. وأغلب الظن لو صح الحديث فهو مجرد نبوءة، وربما كان يتألم حينما قالها.

قال الراوي: وقال (أي الرسول) كلمة لم أسمعها!!. وأضاف: قال أبي (أي أبو الراوي): قال (أي النبي) جميعهم من قريش. فنسبة جميع الخلفاء الـ 12 إلى قريش لم يسمعها راوي الحديث من

الرسول مباشرة لسبب نجهله، ونسب سماعها إلى أبيه. وأمامك مجموعة الأحاديث كلها تروي نفس الصيغة: (قال البخاري: حدثني محمد بن المثنى حدثنا غندر حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يكون اثنا عشر أميرا. فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبي إنه قال كلهم من قريش ... انظر: صحيح البخاري رقم (6796) 6 / 2640.). لهذا مع فرض صحة الحديث فليس لدينا ما يؤكد نسبتهم لقريش حصرا. ثم لا تنسَ الأهداف السياسية ودورها الخطير في توجيه وعي الناس عبر تزوير الأحاديث ونسبتها للرسول.

الشيعة أيضا يستدلون بهذا الحديث لكن بصيغة أخرى، من خلال الثغرة الموجودة فيه للإحتجاج على أهل السنة، إذ يقولون: إن راوي الحديث اعترف صراحة بعدم سماع كلمة قريش من فم النبي، من أجل إخفاء الحقيقة، إذ الرسول قال: (إنهم من أهل البيت). فبدلا من التصريح بالحقيقة أنكر سماعها.

ولهم إضافة إلى هذا الحديث رواياتهم وأدلتهم الخاصة التي أكدت أن الأئمة 12 إماما، وقد ذكرهم الرسول كما يقولون بأسمائهم واحدا واحدا. لكن تواجه الشيعة روايات في كتاب الكافي للشيخ الكليني، وهو أهم مصدر روائي عند الشيعة خاصة في مجال العقائدة، ومساهماته في ترسيخ عقيدة الغلو واسعة. ومفاد الرواية: الأئمة 13 إماما، وليس 12 إماما. (عن الرسول مخاطبا علي: أنا وأنت و12 من ولدك). ورغم وجود هذه الروايات تمسكوا بـ 12 إماما لتوافقها مع الحديث النبوي

الشريف المروي عن طرق أهل السنة. بل من أين يأتون بالإمام الثالث عشر، وقد واجههم زلزال خطير حول وجود الإمام الثاني عشر فهل يتورطون بدعوى وجود إمام آخر؟ هذا مستحيل حتى لو اقتضى الأمر إنكار كل الروايات بل وتحريفها والحكم بعدم صحتها، لأن المسألة مسألة وجود. وبهذا انطفأت هذه المشكلة العقائدية الخطيرة، ثم اندثرت وتطاول عليها الزمن. وما عادت مؤثرة مهما كانت درجة صحتها وحجيتها بعد أن ترسخت عقيدة (12 إماما) في وجدان الشيعة، وإلا فالمفروض أنها تزعزع عقيدتهم بعدد الإئمة، لو كان هناك وعي وموضوعية وتجرد، من أجل معرفة الحقيقة. لكن الناس أسرى العقل الجمعي والخطاب الطائفي، فينساقون مع عقيدتهم ويستميتون لأجلها، ويصرون على صحتها، وآخر ما يفكرون به سؤال يوم القيامة: وقفوهم إنهم مسؤولون.

س96: طارق الكناني: لا حظ انهم تمسكوا بالعدد12 ليس فقط تماشيا مع الحديث بل مع سياق الآيات حيث وجدوا ان الله كلما بعث رسولا أيده باثني عشر نقيبا او شيء من هذا القبيل، ولهذا اغفلوا ذكر الامام الثالث عشر. ولكن لنعد للحديث فهناك فئتان كما فهمت من خلال اجابتك فئة تقول خليفة وفئة تقول إمام أي انهم اتفقوا على صدور الحديث ولكن بلفظين مختلفين. ماهي مصاديق الحديث لدى الطرفين؟

ج96: ماجد الغرباوي: لا علاقة لما تفضلت به بالعدد 12، هناك روايات صحيحة عندهم على ضرورة وجود 13 إماما.

نعود لنهاية سؤالك: فالسنة بين من أكمل العدد بإضافة الخلفاء الأمويين، وبين من أكتفى بالخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز، تاركا للزمن ظهور من تبقى من الخلفاء العدول. وروايات الشيعة تذهب إلى أن الأئمة 12 إماما. لكن مسار الاعتراف بالأئمة واحدا بعد الآخر واجه تاريخيا تحديات كبيرة على طول التاريخ، خاصة المجموعة الثانية، حيث وقع خلاف بين الشيعة حولهم أدى الى ظهور فرق شيعية جديدة كالفطحية والإسماعيلية الذين لم يعترفوا بإمامة الكاظم. والواقفية الذين وقفوا على الكاظم ولم يقولوا بإمامة الرضا، وهكذا. وقد شكلوا تحديا كبيرا في حينه لوجود بعض كبار أصحاب الأئمة معهم، مثل بني فضال، الذين قال عنهم الإمام الرضا بعد أن سأله الشيعة: ماذا نفعل بكتبهم وبيوتنا ملآى بها؟، فقال: (خذوا ما رووا وذروا ما رأوا). فالتحديات التي واجهت تنصيبهم لمقام الإمامة يكشف عدم وجود تثقيف شيعي حول عددهم ومشخصاتهم وأسمائهم، خلافا لمن يدعي وجود روايات عن الرسول بأسمائهم واحدا تلو الآخر. إذ لو كان هناك تثقيف على عددهم وصفاتهم، بموجب ما لديهم من روايات عن الرسول حسب الفرض، لما حصل ما حصل معهم من رفض واستفزاز. ولو كان الأمر كما يقولون فلماذا الحيرة بعد وفاة كل إمام؟ ولماذا ترى بعض كبار الصحابة يسأل: عن هوية الإمام التالي؟ كما حصل مع زرارة بن أعين كبير صحابة أهل البيت وأكبر الفقهاء بعد وفاة الإمام الصادق، ومَن مثل زرارة بن أعين عند الأئمة، فإذا كان زرارة لا يعرف من هو الإمام التالي، فهذا

يؤكد جزما عدم وجود روايات عن الرسول بأسماء وصفات الأئمة واحدا بعد الآخر كما يدعون. ولا داعي لتأويل كلام زرارة إطلاقا فهو صريح وواضح جدا ، ولا توجد أي مبررات للتقية كما يقول بعضهم. تقول الرواية بعث زرارة ولده يسأل عن الإمام بعد وفاة الإمام جعفر الصادق!!. بمعنى أخر كان زرارة يجهل إمامة موسى بن جعفر وهو أقرب شخص لأبيه الصادق. ولو كان له غرض آخر من التظاهر بالجهل كما يزعم بعضهم، فكان الأولى به أن يخبر ولده باسم الإمام سرا ويوجهه للقائه، ثم بعد لقائه يستأذنه باشهار اسمه. فبعض الروايات كما عن الإمام الرضا أن زرارة كان يعرف الإمام بعد وفاة الصادق لكن وجه إبنه ليسأل من موسى الكاظم هل يجوز له إشهار إمامته؟ إن حيرة زرارة تربك وضع الشيعة، وتضعهم في إتون شك خطير فكيف يتجرأ على اتخاذ موقف لا تحصى تداعياته؟ لكنه كان صادقا في جهله للإمام التالي فبعث ابنه. طبعا هذا الموقف يقوض كثيرا من الاعتقادات حول ضرورة وجود الإمام، وعصمته وأشياء أخرى.

ووفاة إسماعيل بن الإمام الصادق خير دليل، عندما أربكت وفاته أبيه والشيعة معا، حيث كان والده يبشر بإمامته ويعده لهذا المقام حتى أن بعضهم أنكر وفاته. لكن الصادق اعتذر لهم بعد وفاته المفاجئة: (لقد بدى لله في إسماعيل ما بدى)!!. لكن لماذا بعد أكثر من 150 سنة بدى لله في إسماعيل ما بدى؟؟.

ولماذا التف الناس بعد وفاة الصادق حول ابنه عبد الله الأفطح لولا حيرتهم وعدم تثقيفهم؟ وكيف يحتار كبار صحابته مثل:

محمد بن مسلم، ومؤمن الطاق وهشام بن سالم، حتى راح الأخيران يصرخان في شوارع المدينة بحثا عن إمامهم؟. وهل يعقل شخصية كالإمام الصادق يهمل موضوع الإمامة لو كانت ضرورة دينية كما يعتقد؟. والحقيقة لم يطرح موضوع الإمامة لا في زمن الرسول ولا من جاء بعده، وتفصيل الأسباب في محلها.

من يقرأ التاريخ قراءة نقدية موضوعية سيكتشف حجم المعاناة، وسيفهم كيف تم بناء منظومة عقائدية شيعية، وحينئذٍ لكف الناس عن هذا القدر من التقديس الذي ارتفع بأهل البيت إلى مصاف الخالقية، فراح أعداء الشيعة يرمونهم بالشرك ويستبيحون دماءهم. سيما أن أهل البيت يتبرأون ليل نهار من الغلاة وعقائدهم المريبة. الشيعة اليوم مطالبون بالتعامل مع الأئمة كبشر، بعد اكتشاف بشريتهم من خلال مراجعات تاريخية نقدية، وبعد انتزاع ما أضفوا عليهم من صفات التقديس والعصمة، كي يستفيدوا منهم ومن تجاربهم.

الأئمة كغيرهم من البشر مروا بأطوار حياتية مختلفة، وواجهتهم ظروف تتباين في مستوى تحدياته. وكانوا بشرا يتعامل معهم الصحابة باحترام وتقدير، فكانوا يجالسونهم ويختلفون معهم، ولم يصفوهم بصفة (إمام). وكان الناس يعتبرونهم شيوخ آل محمد، أو علماء آل محمد. وترى زرارة مثلا يقول سألت جعفرا وتكلمت مع جعفر. ويقصد الإمام جعفر الصادق. أما الآن فالأمر تغير. العقيدة الشيعية كغيرها من العقائد، تطورت تطورا كبيرا، وما يتمسك به الشيعة اليوم نتاج جهود جبارة لمئات السنين، ولم

يكن لها أثر في عهد النبي، باستثناء أحاديث الفضائل. فهي تراكم جهود المتكلمين والفقهاء وردود أفعال متلاحقة، وتحديات مستمرة، ونزاعات متواصلة، حتى رست على صيغتها الأخيرة في ظل حراسة عقائدية مشددة، وحصانة منحت مصادرها قدسية رفيعة، ودعم شعبي جارف من خلال طقوس تتناسل وتتسع في ظل تحديات وجودية يتزعمها سلفية ووهابية السنة ضدهم، فالمعركة بالنسبة لهم معركة وجود ولا مجال للمراجعة والنقد، بل يجب الاستماتة دفاعا عن العقيدة الشيعية مهما كانت درجة صدقيتها. فكانوا من جهة يصدون الوهابية والسلفية، ومن جهة ثانية يترصدون من ينتقد العقيدة من الشيعة، فتجد الانحراف بل والكفر تهم جاهزة لكل من تسوّل له نفسه التشكيك بالعقيدة، أو يدعوا لنقدها ومراجعتها، مهما كان حجم اللامعقول والخرافة فيها، فهي صيغة نهائية رسمية للتشيع تأبى النقد والمراجعة، وتقبل التراكم والدفاع الأيديولوجي.

كان أحمد بن محمد بن عيسى (القمي) وهو فقيه كبير عاصر الإمام الجواد كان يضرب من لا يقول بسهو النبي في الصلاة. فهل ثمة من يتجرأ الآن على أقل من هذا الكلام ولا يُرمى بالانحراف والمروق؟. بل لا يمكن التجرؤ على مقامات وأضرحة وشخصيات مبتدعة فضلا عن مقامات حقيقية أكبر. والأنكى لا يمكنك نقد طقوس وممارسات مبتدعة، لا علاقة لها بالدين وأهل البيت. حتى أصبحت القداسة ما يقدّسه الناس، وليس ما هو مقدّس بذاته.

النكبة الأولى

س97: طارق الكناني: لم ينشأ خلاف بين المسلمين مثلما حصل في قضية الإمامة، فقد أُريقت بسببها دماء كثيرة، وهي الأصل الخامس الذي اضافه الشيعة ودفعوا ثمنه غاليا على مدى 14 قرنا، ترى هل تعني الإمامة السلطة السياسية، بمعنى الخلافة، أم زعامة روحية، أم الأثنين معاً؟

ج97: ماجد الغرباوي: تقدم رغم أن الإمامة (بالمعنى الأخص) محور التشيع لكنها ليست ضرورة دينية، ولا يُعد منكرها خارجا من الدين، بل هي ضرورة مذهبية، لذا يأتم الشيعة في صلاتهم بإمامة إمام سني، ويحجون بحجهم، ويأكلون ذبائحهم، ويتزاوجون فيما بينهم، إلا من تطرف منهم. نعم كما تفضلت هي أصل خامس لكنها امتداد للنبوة، ولهم أدلتهم في إثباتها. وهذا ما استقر عليه فقهاء المذهب الشيعي، والاستثناء قليل. وهذا لا يمنع وجود روايات تربط عمل الإنسان بالولاية أي ولاية أهل البيت، فالتراث فيه كل شيء، وهو أساس البلاء، بل أن الدين ذبح بتراث المسلمين، فمثلا هناك رواية: (عن الإمام الصادق: قال: بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشئ كما نودي بالولاية.). فالرواية تفضح نفسها بنفسها، وإلا كيف نضع الولاية بجنب الصلاة والصوم والحج والزكاة الثابتة يقينا وجزما بآيات بينات صريحات في كتاب الله العزيز، بينما لا تجد أثرا ينص على ولاية أهل البيت في عرض العبادات الأربعة.

لكـن مـا يهـون سـطوة هـذه النصـوص ضـعف بعـض رواتهـا ، فهـي روايـات تنتمـي لـتراث الغلـو الشـيعي. هـل حقـا شـخصية كـبيرة مثـل الإمـام الصـادق لا يسـأل نفسـه قبـل النطـق بهـذا الكـلام: لمـاذا لـم يصرح القـرآن بضـرورة الولايـة حينمـا يتوقـف عليهـا قبـول الأعمـال؟ ومـا ذنب باقـي المسلمين؟ ولماذا يأتينا خبرها بروايات ضعيفة؟

أما عن الإمامة التي اختلف حولها المسلمون، يقـول الشهرسـتاني صـاحب كتـاب الملـل والنحـل: (وأعظـم خـلاف بـين الأمـة خـلاف الإمامة، إذ ما سُل سيف في الإسلام علـى قاعـدة دينيـة مثـل مـا سُـل علـى الإمامـة في كـل زمـان). ذلـك الخـلاف الـذي مـزق الأمـة وقطّـع أشـلاءها، حتـى ضـمرت معـالم الـدين الحنيـف وتعـددت قراءاتـه وفهمه تبعا لهذا الإنقسام والتمزق.

أصل النزاع وقع بين المهاجرين والأنصـار علـى مَـن يخلـف رسـول الله، ويقصدون بذلك الإمامـة السياسـية. كـان نزاعـا حـادا، سـاده تراشـق بـين كبـار الصـحابة بألفـاظ لا تتناسـب مـع مكـانتهم. وتفصيلات أحداث السقيفة مشهورة رغـم بعـض الاختلافـات. لكـن المؤكد والمجمع عليـه وقـوع النـزاع بـين المهـاجرين والأنصـار، كـان نزاعـا شرسـا تمـت إدارتـه وفـق اللعبـة السياسـية، لهـذا تقـول بعـض الروايـات التاريخيـة، كمـا في تـاريخ الطـبري، ارتفـع صـوت داخـل السـقيفة ينـادي بعلـي بـن أبـي طالـب خليفـة مـا دام الجميـع قـد اتفـق على القرشية مبدأ للخلافـة باعتبـاره الأقـرب، فهـو الأحـق بهـا وفقـا لمبدأهم. وهو احتجاج معقول، كـرره الإمام علـي عنـدما احـتج علـى

خلافة أبي بكر، حيث قال: إذا كانت القرابة من رسول الله هي مبدأ وملاك الخلافة، فنحن أحق بها، خاصة ونحن أهل بيته وموضع سره إلى آخر الكلام. فالنزاع سياسي بين علي وأبي بكر وليس دينيا أو شخصيا. ولم يطرح مفهوم مواز للمفهوم السياسي طيلة تلك الفترة. فالخلافة تعني الشأن السياسي، هذا هو المتبادر في وقته. لكن عندما استعاد الشيعة النزاع الأول بعد وفاة الإمام علي في ظل حملة تحريضية ظالمة قادها معاوية ضد علي، بدأ التنظير للإمامة فكريا وعقائديا، ودينيا للدفاع عن علي فأصبح لها معان ومفاهيم جديدة، كي لا تموت بموت دورها السياسي، وتفقد قدرة الاستقطاب والتوجيه. خاصة مع توالي النكسات السياسية، حتى أصبحت الخلافة منالا صعبا بالنسبة لباقي الأئمة لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

إذاً فلا بد من مفهوم جديد للإمامة يحيي دورها وفاعليتها ليستمر خط أهل البيت في توجهاته السياسية والدينية. وبالفعل لعبت الإمامة دورا كبيرا في ترسيخ خط أهل البيت ونشر ثقافتهم وعلومهم وفقههم وأخلاقهم، وكانت السبب وراء استقطاب الإنظار، ودراسة التشيع باستمرار من قبل الأكاديميين والمتخصصين والباحثين، لأن الإمامة محور التشيع، ورمز المعارضة الشيعية، وجوهر الاختلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق والمذاهب الإسلامية. لهذا طرحوا مفهوما آخر لها، فقالوا: ليست الإمامة إمامة سياسية فقط بل هي إمامة سياسية – دينية، على نحوين:

بعض اعتبر الإمامة إمامة دينية فقط، مستدلا على صحة رأيه

بوصية الرسول الكريم لعلي بن أبي طالب. فتكون الإمامة مستمرة في أهل البيت. فالإمام إمام على كل حال، مارس دورا سياسيا أم لم يمارس. حاضرا كان أم غائبا.

بينما أكد أصحاب الرأي الأول أن النص على علي بن أبي طالب من قبل الرسول الكريم نص بالإمامة السياسية، أو بالإمامتين السياسية والدينية.

ثم جاءت مرحلة أخرى تم فيها التنظير لإمامة خاصة، تختلف عن الإمامتين الدينية والسياسية، حيث تم فيها أسطرة الإمام والإرتفاع به إلى مستوى الخالقية، فصار الإمام معصوما، علمه حضوريا، له ولاية تكوينية، بمعنى التصرف بالكون، يعلم الغيب، تنطوي له الأرض، يرتفع للسماء متى شاء، يعرف جميع اللغات إلى آخر القائمة بما فيها علم الطب والفلك. وقد نظّر لها الغلاة بشكل مستميت، فكذبوا على اللّه ورسوله وأهل البيت، وطالما عانى الأئمة منهم ومن كفرهم.

والإنصاف عند التمعن بالتاريخ وأحداثة وما وصلنا من أخبار فإن الخلاف كان سياسيا لا علاقة له بالجانب الديني، حيث كان الناس يسألون الصحابة حول أحكام دينهم لا فرق في ذلك بين علي وغيره. فكان منذ نشأته نزاعا على السلطة والحكم، ومن يتصدى لخلافة المسلمين وإدارة شؤونهم. ثم جاء التنظير للإمامة الدينية متأخرا، ولم يطرح هذا المفهوم طيلة الفترة الممتدة إلى نهاية حكم الإمام علي بل وحتى بعده. وبالتدريج كما أشرت مرات عدة بدأ استدعاء وقائع الخلافة، والتنظير لها من جديد في

ظل صراع واستماتة بين الأطراف السياسية، خاصة الحملة الشعواء التي شنها معاوية ضد الإمام علي.

ثم الرسول الكريم أبلغهم بختم الرسالة وتماميتها: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً). وأخبرهم بدنو أجله وعدم وجود ما يتوقف عليه بعد اليوم، بعد أن بلّغ الرسالة كما أوحي له، وضمن لهم تمام الدين، ولم يتبق سوى القضايا العامة وشؤون المسلمين، ويمكن التفاهم حولها بينهم في إطار مفاهيم الكتاب الكريم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض). (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ)، فالرسول لا يتورط بتزكية أحد، ولا يفرض إرادته ويتحمل مسؤولية موقفه. وهذا لا ينفي فضيلة أي واحد من الصحابة الكرام. بل أن الفضائل بوصلة لاختيار الأكفأ والأفضل. لكن كموقف ديني لم يتورط الرسول بالنص على أحد، كي يجانب ما يتمخض عن سلوك الجميع.

وآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)، واضحة وصريحة في مفادها، وما تسمعه من تأويلات لا دليل عليه من داخل النص بل والقرآن الكريم. كل ما في الأمر ثمة من يدعي وجود روايات شارحة ومبينة. وهذا يتوقف على مدى صحة صدورها، وطبيعة المبنى الإصولي في تخصيص او عدم تخصيص الآية بالرواية.

المحور العاشر

التشيع وتناسل الطقوس

محنة التشيع

س98: **طارق الكناني**: ما زلنا نتحاور حول عقائد الشيعة الإمامية فدعني اعرّج على بعض شعائرهم، منها:

البكاء والحزن الدائم، فهم يختلقون المناسبات وخصوصا الحزينة مثل الوفيات. فلكل إمام ثلاث روايات لتاريخ الوفاة عدا الامام علي والحسنين فهم متفقون فيهم على رواية واحدة أما بقية الأئمة فثلاث روايات ويقيمون مجالس العزاء ويكثرون منها وإقامة مواكب العزاء واللطم وهم بذلك يتعكزون على الحديث المروي عن الإمام علي بن ابي طالب أمير المؤمنين، وهو حديث طويل جداً يتحدث عن مواضيع مختلفة ونحن نُشير الى موضع الحاجة منه وهو:

".. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا واخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا، ويَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا، ويَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا، ويَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ وأَنْفُسَهُمْ فِينَا، أُولَئِكَ مِنَّا وإِلَيْنَا.

مَا مِنَ الشِّيعَةِ عَبْدٌ يُقَارِفُ أَمْراً نَهَيْنَا عَنْهُ فَيَمُوتُ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلِيَّةٍ تُمَحَّصُ بِهَا ذُنُوبُهُ، إِمَّا فِي مَالِهِ، وإِمَّا فِي وُلْدِهِ، وإِمَّا فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ ومَا لَهُ ذَنْبٌ، وإِنَّهُ لَيَبْقَى عَلَيْهِ الشَّيْءُ مِنْ ذُنُوبِهِ فَيُشَدَّدُ بِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ.) ما مدى صحة هذه الرواية عن الإمام فهو ليس حديث نبوي وهل يصب في الفحوى العام لهذه الرواية بهذا الإتجاه؟ وهل هناك فلسفة خاصة بشأن البكاء والحزن الدائم يعتمدها الشيعة؟

ج98: ماجد الغرياوي: لا يمكننا التصديق بمفاد أي رواية تخالف القرآن أو العقل أو الصحيح من السيرة بدليل قطعي السند والدلالة. كما أن (الممتنع عقلا، لا يُحتمل وقوعه خارجا، سواء كان الامتناع ذاتيا، كشريك الباري، أو لعدم تحقق شرطه كاقتراب النار من الورقة شرط لاحتراقها، او لطبيعة الشيء وتكوينه، كامتناع صدور المعجزات والخوارق الكونية على يد الإنسان حسب طبعه وتكوينه. وما أكد القرآن وقوعه، يُقتصر فيه على مورده). فالإنسان بطبيعته لا يمكنه التصرف بالكون خارج نظامه القانوني، وهي قوانين ذاتية وليست خارجية، وتختلف ذاتا عن الإرادة البشرية. فإرادة الإنسان ليست قانونا كقانون العلية والسببية الذي هو ركيزة القوانين وترابطها الذاتي مثلا، والكون لا يعرف التداخل بين قوانينه، ولا بينه وبين مخلوقات الله الأخرى. فهذه سنن كونية، لا تتغير لأجل أي إنسان مهما كانت منزلته، وهناك اختلاف جوهري بينهما فكيف يناط بالإنسان حق التصرف بالكون وقوانينه؟.

هذه الروايات وغيرها في كتب الشيعة خاصة تنتسب لتراث الغلو فلا قيمة عقلية وقرآنية لها، وهي تعكس آمنيات وأوهام وتصورات مغلوطة، لا يجني التشيع منها سوى تداعيات سلبية تعود عليه بالاقصاء والاستخفاف بالعقل والمنطق، وتفضي به الى منطق التبرير والتسليم والخضوع المطلق الذي يتربص به رجل الدين لتحقيق مآربه وغاياته الشخصية والآيديولوجية. وكم هو مؤلم عندما يجهد بعض الشيعة أنفسهم لتأويلها رغم ضعفها وتناقضها.

وأما البكاء على الحسين وأهل بيته، فقد لعب دورا تحريضيا في وقت ما. وكان يعبأ الشيعة للثورة والنهوض لمدة 3 قرون، فتوالت الإنتفاضات حتى ترسّخت هوية التشيع، وانتزعت شرعيتها بالاصرار على مواصلة طريق الثورة، فرفعت أغلب الانتفاضات شعار "يا لثارات الحسين". ثم انقلب الوضع بعد القرون الأولى، وفقدت الثورة قدرتها على التعبئة العاطفية، عندما اختزل الغلاة عاشوراء الى طقوس وبكاء وطواف حول الأضرحة مع لعن وتبرئة، حتى صار بنظرهم عملا عباديا يكتسب من خلاله الفرد ثوابا عظيما مع ضمان غفران الذنوب مهما كان حجمها وتداعياتها!!!.

العتب يا صديقي على العقول الخاوية التي تصدق أن دمعة واحدة تسقط كل ما على الشخص من ذنوب!!، وأين ذهبت الذنوب التي لا تغتفر إطلاقا كما أكد القرآن ذلك؟ أم لا قيمة لقول الكتاب الكريم في مقابل روايات لا نعرف عن صحة صدورها أي شيء؟. ثم من له حق التشريع ليفترض أن دمعة واحدة على الحسين تغفر كل الذنوب؟ أليس هذا تجاوزا على الله والقرآن؟ هل تعلم لا يحق لأي شخص حتى النبي التشريع سوى الله عزوجل، وهذا ما يتضح جليا من خلال الآيات وأغلب الفقهاء؟.

للأسف الشديد بدأ التعصب الشيعي يأخذ طريقا منحرفا سيعود عليه بالاقصاء التام، ولا يغريك عدد من يطوفون في المدن المقدسة، كلها عواطف ستخبو يوما ما. والعقيدة مسؤولية كبيرة لارتباطها الوثيق بالدين ومستقبله. وعلينا أن نكون بمستوى الوعي الديني الرسالي إزاء مظاهر تداخلت فيها السياسة بالدين.

ثـم لمـاذا ننفـي الطموحـات السياسـية للأئمـة، خاصـة الإمـام الرضا، فكان يهمه تماسك الشيعة وتعبئتهم كقوة تدعم مركز الإمامة والقيادة الدينية – السياسية، فتأتي أحاديثه عن البكاء وقيمته العبادية في هذا السياق لتدعم مشروعه السياسي؟. ويكفي هذا الاحتمال للتوقف في شرعية البكاء على الحسين. أقصد في بعده التشريعي كعمل صالح يستحق عليه الباكي ثوابا عاديا فضلا عن ثواب تتساقط بسببه الذنوب لكل من بكى أو تباكى .

الإمام الرضا بالفعل كان يمارس دورا سياسيا خاصة بعد قبوله بولاية العهد في زمان المأمون، فكان يهمه جدا وجود قاعدة شعبية تلتف حوله وتدعم موقفه في مقابل خصومه السياسيين، فالحكم لبني العباس، وهؤلاء يرفضون إسناد ولاية لعهد لغيرهم، لهذا كان الإمام يخطط لتوسعة قواعده الشيعية لمقاومة الضغوط السياسية. وهو موقف صحيح وحكيم يتخذه أي قائد سياسي طموح في السلطة والحكم، فكيف بالإمام الرضا صاحب المبادئ والقيم الدينية والإنسانية؟.

فالإمام عندما قبل بولاية العهد استعد لجميع الاحتمالات والتوقعات السياسية، فيأتي التجيش العقائدي للشيعة في هذا السياق. فليس هناك أداة أقوى من التعبئة النفسية لرص صفوف الشيعة، وهم بأمس الحاجة لقائد يحقق لهم أحلامهم في وجود دولة تنصفهم وتتعترف بعقائدهم ومتبنياتهم الفكرية. يتضح هذا من خلال ما يروى عنه. فهو مدافع مستميت عن العقيدة الشيعية التي تخدم الهدف السياسي، من خلال الحفاظ على قواعده الشيعية.

فينبغي فهم ما يروى عنه في هذا السياق، وهذا الكلام لا يقدح بمقامه الديني السامي إطلاقا، بل هو تكتيك يضطر له كل من يتصدى للعمل السياسي، حتى مع افتراض أن يكون الإمام الرضا مجبرا على ولاية العهد.

وأما الجانب الإنساني فشأن شخصي. والإنسان بطبيعته مأخوذ بالعاطفة، والشعب العراقي أكثر الشعوب تطرفا في كل شيء. في الحب والبغض، في المدح والذم إلى آخره، وأحدها البكاء على الحسين، فهو شعب لا يكل ولا يمل ولديه استعداد للحزن والبكاء على مدى الأيام والسنين. يقولون أن الشعب العراقي بكى على تموز 2000 عام حتى جاءت مصيبة الحسين فاستمر في البكاء وسيبقى. إن تداعيات الاستمرار بالبكاء والعويل خطيرة جدا، تُعبء ضد الآخر وتدعو إلى تشويهه وإقصائه وكرهه ونبذه، وهو لا علاقة له بقتل الحسين. وانت تعلم مدى خطورة هذا السلوك على مستقبل بلد مثل العراق يطمح في مجتمع مدني يضم تنوعا ثقافيا ودينيا ومذهبيا. فكيف نقيم مجتمعا صالحا للعيش بتعصب طائفي مقيت؟. ومن جهة ثانية، فإن إدمان البكاء عزف منظّم على مشاعر الإنسان، يشل العقل وقدرته على التفكير لتنطلق العاطفة جياشة مع كلمات الناعي وشجوه، فينطفئ الوعي ويأسره الحدث على حساب المستقبل.

وأما ثالثا فإن البكاء يختزل ثورة كبيرة بحجم ثورة الإمام الحسين إلى مأتم عزاء تسكب فيه الدموع، وتقام فيه الولائم، وتفقد الشعائر قيمتها الثورية من أجل التغيير. فينتهي الحسين

ومبادئه بانتهاء ولائم العزاء، وهكذا دائما بعبثية تدل على خواء الوعي واستكانة العقل.

وأما ما جاء في الرواية عن تعهد الأئمة بغفران ذنوب الشيعة فقد مر الحديث حولها في موضوع الشفاعة فنكتفي به.

س99: طارق الكناني: يقول الدكتور علي الوردي بأن قضية الحسين والمحافل الحسينية والمواكب كانت مصدرا مهما لنشر التشيع بالعالم من خلال هذه العروض التي تقدم على الملأ وأمام الجمهور.. فمثلا في الهند يساهم في هذه المواكب الهنود جميعا بغض النظر عن دياناتهم ومشاربهم واليوم نرى الوفود في كربلاء من كل انحاء العالم تأتي لتشارك في هذه المسيرة التي أصبحت عالمية، ناهيك عن التحفظات التي رفعتها امريكا عن مساجد الشيعة دون مساجد السنة لأنها لا تحرض على العنف. أليس هذا كسبا للشيعة ومواكبهم بالرغم من تحفظاتي على الكثير من هذه المراسيم؟

ج99: ماجد الغرباوي: لا شك أن الطقوس المذهبية وطريقة ممارستها في ظل تطور إعلامي واسع له دور كبير في التعريف بمذهب أهل البيت. لكن ماذا سيصدّر لهم هذا الإعلام من سيرة أهل البيت وأتباعهم؟؟ المؤسف أن الخرافات والطقوس وثقافة الغلو اختزلت مذهب أهل البيت حتى صار انطباعا نمطيا عنهم، بل بات تعريف الشيعة بما يمارسونه من طقوس خرجت عن حدود العقل لتدخل دائرة الخرافات، وما يعتقدونه حول أئمتهم حيث ارتفع بهم

الفكـر المغـالي الى مصـاف الخـالقيـة، فتجـد الإمـام في ثقافـة الغلـو كـائنـا إسـطوريا غريبـا، يعلـم الغيـب، يكلـم الجـن، يتكلم لغـة الطـير، تتطـوي لـه الأرض، خلـق مـن نـور، طينتـه لا تشـابه طينـة البشر، بينما الله عزوجل يقول: خلقكم من نفس واحدة. وبعضهم يتمادى فيعتقد أنهم يرزقون ويميتون ويحيون ويحاسبون الخلق الى غير ذلك من مفاهيم خطيرة، لهذا كثير من مساكين الشيعة يتهافتون على زيارة قبورهم بهذه العقيدة، فيرهقون أموالهم تقربا لهم، وتأكيدا لولائهم، وضمانا لشفاعتهم، ودخول الجنة بلا حساب!!!.

في أحد البلدان انتقد شخص أمامي مجموعة من المارة فقال هؤلاء من الشيعة، فسألته ماذا تعني بالشيعة؟ فقال هؤلاء منحرفون في عقائدهم عن باقي المسلمين، ينتظرون المهدي منذ أكثر من 1200 عام، ويعتقدون أن أئمتهم يرزقونهم ويخلصونهم من النار يوم القيامة، ويدخلونهم الجنة بلا حساب، وراح يعدد كل معتقدات الغلو!!. وهذا كلام مؤلم طمس معالم التشيع العقلاني، القائم على التقوى والإخلاص لله تعالى، المذهب الذي تمسك بالاجتهاد والعقل من أجل الانفتاح على العصر ومعالجة قضاياه الراهنة، فبات في نظر الناس بكاء على الحسين، وزيارة الأضرحة، ولعن وتبرئة، وأسطرة الأئمة حتى قاربوا مقام الربوبية.

بعض يؤيد كل ذلك بلا حرج، لأنها تجري، كما يقول، بإذن الله وليس مستقلا عنه، كي نرفضه ونعتبره شركا. أي أن الإنسان يدعو الله أن يرزقه بواسطة الحسين وأهل البيت!!.

وسؤالي: إذن ما معنى الخالقية المختصة بالله تعالى إذا كان الأئمة يرزقون ويشافون المرضى ويستجيبون الدعاء ويتوبون على الناس، ويحيون ويميتون؟؟ وهذه كلها من شؤون الخالق والرب والإله، فكيف انتقلت لهم بلا دليل قرآني صريح يقطع النزاع والتشكيك؟؟. وهل الخالقية مفهوم مجرد أم هي عين هذه الصفات، فكيف تنتقل لغير اللّه تعالى؟. وحينما تجرّد الباري من أخص صفاته تنتفي عنه صفة الخالقية، أو سيكون له شركاء بالضرورة. وهذا ينافي وحدانيته. قل هو اللّه أحد، اللّه الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوء أحد.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، مأساة تدمي القلب ورجال الدين الشيعة، خاصة مراجعهم لا تأخذهم الغيرة على دين اللّه، ولا يهمهم مستقبل الناس وآخرتهم. بل يهمهم عدم التحرش بهم خوفا على مرجعياتهم ومقامهم، لذا لم تصدر عنهم فتاوى تحرّم هذا اللون من الفكر والممارسات اللامشروعة. فماذا يدل سكوتهم؟ إما الموافقة أو الخوف على مصالحهم. بل راحت الطقوس تتناسل دون رادع من فقيه أو رجل دين، وبين فترة وأخرى تظهر لنا بدعة أو طقس يفرض نفسه حداً يتحوّل إلى مقدّس لا يجوز نقده!!.

الزيارة والغلو

س100: طارق الكناني: أشرت وبشكل مباشر في أحد الأجوبة الى وجود مبالغات بالزيارة الجامعة، ولايخفى عليكم ماسببته هذه الزيارة من كوارث وخصوصا بعد قيام الشيخ الإحسائي بشرحها، وبالتالي تعكزت الفرقة البابية والبهائية ومن ثم الشيخية على هذا التفسير وانتشار الفكر الحلولي عند الشيعة وحدوث حروب واقتتال كان ضحيته مليون ونصف مسلم كما ذكر ذلك أحد مؤرخي تاريخ كربلاء. وهذه ليست الزيارة الوحيدة حيث توجد الكثير من الزيارات المذكورة في كتب المصباح ومفاتيح الجنان وغيرها، برأيك ما مدى صحة هذه الزيارات وخصوصا انها تنسب للأئمة المعصومين؟

ج100: ماجد الغرباوي: تنتمي أغلب نصوص زيارات أضرحة أهل البيت إلى خط وثقافة الغلو ممن لا يتورع عن نسبة الروايات الموضوعة لأئمة أهل البيت زورا وبهتانا للتشجيع على زيارتها، لذا تجد أن أغلبها يعاني ضعف السند، فاحتار الفقهاء في تصحيحها، فتشبثوا بمبدأ التسامح في أدلة السنن، الذي يعني غض الطرف عن ضعف السند ما دام الأمر يتعلق بعمل مستحب ومسنون، فتشمل زيارة الأضرحة باعتبارها من المستحبات. كما صحح آخرون هذا النوع من الروايات تبعا لصحة الكتب التي ترويها، فهي صحيحة ما دام الكتاب صحيحا، وهو منهج القدماء في تصحيح الروايات، لكنه لا ينفع وفقا لمشهور مباني فقهاء مدرسة أهل البيت في توثيق

الأحاديث والروايات المروية عن الأئمة، فلا قيمة معتبرة للزيارة ما لم يوثق سندها بقطع النظر عن صحة وسقم الكتاب، بل كيف تضمن الثواب المرجو من اللّه عزوجل في زيارتك وأنت لا تملك دليلا على شرعيتها، إلا إذا شملتها إطلاقات العمل الصالح، وهنا نحتاج إلى دليل سلوكي لنثبت مدى الصلاح المتوخى من الزيارة كي تشملها إطلاقات تلك الأدلة!!.

تصدى أحد المجتهدين يوما لتصحيح أسانيد زيارة عاشوراء المشهورة بضعف سندها رغم تعهد الناس بقراءتها، فكتب مقالا نشره في العدد الثاني من مجلة الحسين الصادرة آنذاك في مدينة قم الإيرانية. ولما اطلعت عليه شعرت بالأسف أن شخصية علمية كبيرة من عيار آية اللّه يتنازل عن كل مبادئه العلمية في الجرح والتعديل، ويقول بصريح العبارة: إن شهرة الزيارة وتعهد الناس بقراءتها دليل على صحتها!!. بأي معيار علمي يتكلم هذا الفقيه؟ ومتى أصبحت شهرة الزيارة وتعهد الناس بقراءتها أدلة على صحتها وصحة سندها؟ هكذا تطيح الأيديولوجية بمبادئ العلم في حالة التزاحم. فهو إما أن يتمسك بمبادئه العلمية ويصرّح علنا بعدم صحة زيارة عاشوراء فيخسر جمهور الناس، أو يغض الطرف عنها فيكسب رضاهم على حساب الحقيقة. كما كان مقاله من الناحية العلمية مخجلا هبط في عيون الوسط العلمي، فالمعروف صرامة فقهاء الشيعة في توثيق روايات الأحكام الشرعية، فكيف يتنازل عنها بهذه الطريقة، من أجل تصحيح زيارة عاشوراء، البعيدة في مضمونها عن قيم وأخلاق أهل البيت الذين كانوا ينهون الناس عن

اللعـن والشـتم والسـب، بينمـا تلـزم الزيـارة القـارئ أن يبـدأ بلعـن الخلفـاء واحـدا تلـو الآخـر مئـة مـرة!. وإذا كـان اللعـن مـبررا قـرآنيـا فموضوعه مختلف. والخلافـات السياسـية لا تـبرر إخـراج النـاس مـن دينهم فضلا عن تكفيرهم ولعنهم.

يبـدو أنـه كـان محرجـا، لا يمكنـه مصـارحة النـاس كـي لا يخسرهم فاضطر لاعتماد أدلة غير علمية بعد يأسه من العثور على سند تام يصحح بموجبه نص الزيارة. لكن ما فعله تزويـر وخديعـة، مستفيدا من تواطؤ الوسط العلمي في مجال العقيدة الشيعية.

إن إدمـان النـاس علـى تـلاوة زيـارة عاشـوراء، رغـم مـا فيهـا مـن تحريض وكراهية وحقـد، مرفـوض مـن قبـل أهـل البيـت المعـروفين بكـرم الأخلاق والتسامح. فترى القـارئ يلـهج بموجـب تعليمـات هـذه الزيـارة بلعـن الخلفـاء واحـدا تلـو الآخـر. علمـا أن النسـخة الأصـلية لزيارة عاشـوراء في كتـاب كـامـل الزيـارات خاليـة مـن اللعـن، وقـد أضـيف لهـا في كتـاب مفـاتيح الجنـان. ولا حـول ولا قـو ة إلا بـاللّه العظيم.

هذا من حيث سند هذه الروايـات، فأغلبهـا ضـعيف بـل متهالـك. وأما مضمونها، فتجـري عليـه القـاعـدة المشـهورة عـن الرسـول وأهـل البيـت، وهـي أن نعـرض مضـمونها علـى كتـاب اللّه، فمـا خـالـف كتاب اللّه فهو زخرف، وما خالف كتاب اللّه فاضـربوا بـه عـرض الحـائط أو الجـدار. وأنـت خـبير بهـذه النصـوص المغاليـة الـتي ترتفـع بأهـل البيـت إلى مصـاف الخالقيـة معـاذ اللّه، وأن اللّه قـد فـوض للأئمة التصرف بالكون!!! ويروون في هـذا المجـال روايـات مغاليـة،

ضعيفة، مخالفة للقرآن والعقل وتعاليم أهل البيت. فأي جناية أكبر من التجني على مقام الربوبية الذي لا يدانيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. هل من المعقول حدث بهذه العظمة قد أسره الله تعالى للنبي ومن ثم للإمام خاصة ولم يطلع عليه أحد من المسلمين؟ هل يخاف الله أحدا حينما لا يصرح بذلك في كتابه؟ ثم كيف سيحتج على خلقه يوم القيامة وليس لهم علم بموضوعها؟

المشكلة يا سيدي ليس في الروايات المزيفة فما أكثرها، المشكلة بالعقل الذي يصدق هذا الكلام، المشكلة بالوعي الرث الذي ينبهر وينهار أمامه متنازلا عن عقله ووعيه ووجوده. الشيعة ضحية خطاب تخديري فقدوا معه أبسط لوازم التفكير العقلي، وهو اليقظة والوعي، وإلا لماذا لم يذكر الله عزوجل هذا التفويض في كتابه وهو تبيان لكل شيء؟ والمقصود بكل شيء الشأن الديني عقيدة وتشريعا. التفويض يعني الانصراف عنه تعالى إلى الأئمة لهذا يتهافت بعض الشيعة على أضرحة الأئمة بهذا الفهم، يعتقد أن بيدهم كل شيء كما أخبرهم رجل الدين المزيف الذي لا يخاف الله واليوم الآخر. ذلك الكائن الخرافي المحتال المعتاش على جهود الناس وسذاجة وعيهم. يا سيدي الله عزوجل ذكر حتى الذبابة وهي أهون مخلوق، فهل يخشى أحدا ولم يذكر عقائد غلاة الشيعة؟؟ أم يقولون على الله ما لا يعلمون؟.

إن الأحكام الشرعية واضحة ومعروفة لدى المسلمين جميعا ليس معها زيارة أئمة أهل البيت سوى حديث النبي الذي يحث فيه على زيارة القبور للاتعاض والترحم، فيشمل بإطلاقه أضرحة

الصالحين بما فيهم أئمة أهل البيت. فاستحباب زيارة أضرحة أهل البيت جاء بموجب روايات عنهم تحث على زيارة قبر الحسين مثلا ، فتكون مستحبة وفقا لمباني الفقه الشيعي الذي يعتبر الأئمة امتدادا لعصر التشريع، الذي لم يتوقف بعد وفاة الرسول بل استمر معهم، لهذا حجية الروايات الصادرة عن أهل البيت جميعا كحجية روايات وأحاديث النبي الكريم، ويجري عليها نفس ما يجري على أحاديثه كتخصيص الآيات. هذا من حيث الحكم الشرعي.

وأما من حيث المضمون يجب أن لا يخالف نص زيارة الأضرحة والمشاهد المقدسة عند الكتاب الكريم بأي شكل من الأشكال. وأن يكون معقولا بلا مبالغة ، هذا إذا كان هناك نص محدد للزيارة وإلا فيكفي في زيارة القبور الترحم وقراءة شيء من القرآن الكريم للاتعاض من حدث الموت. وبالتالي لا يترتب على الزيارة ثواب ما لم تكن حكما شرعيا ، كالاستحباب، وهذا صعب إلا وفقا لمباني مدرسة أهل البيت وبشكل محدود ، أو تدخل تحت عنوان عام كاستحباب زيارة القبور للموعظة والتأسي بالموت.

وأما الزيارة الواعية فتختلف في وعيها ومقاصدها ، فترى الزائر حينما يقف أمام الضريح يستعيد سيرة الرموز التاريخية ويتأمل في حياتهم وسلوكهم وأخلاقهم وتقواهم ووعيهم، ليتأسى بهم، ويتزود من معين إيمانهم وصلابة مواقفهم ومبدئيتهم وطريقة تعاملهم مع الله والناس، ودرجة تمسكهم بدينهم، وإخلاصهم لخالقهم وعدم الشرك به. وهذا النوع من الزيارة يدل على وعي وصدق وإخلاص في التعامل مع أئمة أهل البيت، فلا تؤثر بهم

روايات الغلو، بل يرفضونها ويستنكرونها.

هؤلاء هم الطبقة الواعية الذين عليهم المعوّل في تقديم فهم صحيح عن أهل البيت ودورهم الديني والأخلاقي والسلوكي، كي يكونوا أسوة لأتباعهم ومحبيهم. هذا النوع من الزيارة يأتي للتأسي والتزود من معين الأئمة فلا يختزلهم الى دمعة يسكبها في لحظة حزن متوقد وينتهي الأمر بانتهائها، بل يطمح أن يجعل منها وقودا لمسيرته في الحياة.

إن طقوس زيارة أضرحة أئمة أهل البيت يستصرخ كل الخيريين لتثقيف الناس الشيعة على مفاهيم صحيحة تستمد معانيها من القرآن والصحيح من سيرة النبي وأهل بيته. والكف عن طقوس وخرافات وتوسلات مخالفة في مضمونها لمفاهيم الكتاب الحكيم حول الخالق وتفرده في صفاته، كالخالقية والرازقية.

في الختام

س101: طارق الكناني: أعرف أن ما أقوله سيكون مصدر خلاف كبير، ولكن لابد من الوقوف على حقيقة الأمر. أراك من بداية حوارنا في الموضوعات العقائدية ولحد الآن قد أهملت جانبا مهما في الاستدلال وهو الحديث النبوي الشريف رغم اعتماده في التشريعات واستنباط الحكم الشرعي في كثير من الأمور التي سكت عنها القرآن الكريم. هل هناك سبب محدد ممكن ان نطلع عليه منعك من ذلك؟.

ج101: ماجد الغرباوي: نعم صدقت خاصة وأن الروايات هي طريقهم الوحيد لإثبات تفصيلات عقائدهم، ويتشبثون بقدسية مصادرها للتخلص من فخاخ العقل وممانعة الآيات من خلال تأويلها أو الالتفاف عليها. لكن ذكرت أكثر من مرة أن منهجنا يضع الروايات في طول القرآن والعقل، وليس فوقهما أو في عرضهما. أي تأتي في مرتبة متأخرة عنهما. فإذا خالفت العقيدة كتاب الله، لا نلجأ للروايات لإثباتها والدفاع عنها. (ما خالف كتاب الله فهو زخرف). لأنها ستسقط حينئذٍ فبماذا تنفعنا الرواية؟. كما بالنسبة للصفات التي يختص بها الخالق تعالى. فمن يعتقد باتصاف بعض الناس بها لا قيمة لعقيدته مهما كان عدد الروايات التي يحتج بها. وذات الأمر بالنسبة للعقائد التي تخالف العقل، كما لو تعتقد بوجود إنسان يعمر مئات السنين. فالعقل يرفضه لا باعتباره إمكانا فلسفيا بل باعتباره إمكانا واقعيا. فالإنسان وفقا لطبيعته

وتكوينه لا يمكنه البقاء حيا أكثر من المعدل المعروف عن المعمرين، لعدم وجود مقتضٍ لبقاء خلاياه حية نشطة. مثله مثل الشمعة التي نجزم بذوبانها وانطفائها بعد يومين لعدم وجود مقتضٍ لبقائها مشعولة. وهو بشر وليس استثناء، بل الرسول بعظمته يصرح أنه بشر مثلكم. والآية تؤكد ما نقول: (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون). فالجدل حول هذا الموضوع لغو لا معنى له. أما لو كان هناك مانع من عدم بقاء الشمعة مشتعلة فيمكن احتمال بقائها، فنقول ربما ارتفع المانع وما زالت تنير الغرفة. لكن مشكلة بقائها لا بسبب وجود مانع بل بسبب عدم وجود مقتضٍ للبقاء. فالأمر دقيق يجب التركيز. وهنا لا يجدي عدد الروايات لاثبات بقائه حيا بعد سنين متمادية، مهما كان مصدر الروايات باستثناء القرآن لأنه يحيل على قانون نجهله أو لسبب لا ندركه. كما بالنسبة لعمر نوح، فيحتمل أن مفهوم السنة آنذاك مختلف عن مفهومها في القرآن، ويحتمل أن الرقم للمبالغة، فإذا انتفى كلا الاحتمالين فنقول ثمة قانون مجهول به امتد عمر نوح النبي الكريم. لكن هل يمكن تعديته لغيره؟ لا يمكن، ويحتاج كل شخص آية قرآنية تؤكده، لأنه سيبقى تحت قاعدة الامتناع العقلي التي ذكرناها مرات عدة، ولا نرفع اليد عنها إلا بدليل قرآني خاصة. أما لماذا دليل قرآني فلأن الأمر متعلق بالغيب ولا يعلم الغيب سوى الله، ولا أحد يحيط بمكنونات قوانين الكون غيره، ولا مصدر آخر له سوى كتابه المجيد، وما يخص العقيدة تحدث عنها مفصلا. فلا يمكن رفع اليدعن القاعدة العقلية إلا بدليل تام في

كشـفه، وهـو الكتـاب الكـريم عنـدما تكـون الآيةصـريحة محكمة، وإلا سيبقى كشف الإمارة في الروايات ناقصا لا يمكن رفع اليد به عن شمول القاعدة العقلية.

فـالحوار لم يـدر حـول أحكـام الشـريعة الإسـلامية كـي نلجـأ للروايات لمعرفة تفصيلاتها، بل موضوعه العقيدة التي اتفق الجميع على عدم جواز التقليد فيها، ويبقى الإنسان مسؤولا عن عقيدته.

وخلاصة هذا الكلام بطوله أن العقيدة الدينية محددة سلفا من قبل الله تعالى في كتابه، وكتابه حجة علينا يوم القيامة، ودور الرسول تبليغ الرسالة كما نزلت وكما أخبرت آيات الكتاب الحكيم. كما أن القرآن أكد شيخوخة خلايا الإنسان: ومن نعمره ننكسه في الخلق، وهو حكم شامل لا يستثنى أحدا.

فسبب عدم اللجوء للروايات في حوارنا إلا نادرا عدم حاجتنا لها في الاستدلال، لأننا بصدد مفردات عقيدية تحتاج أدلة عقلية أو قرآنية، والروايات وفقا لمنهجنا تقع في طولهما. ولا تنسَ كم استفدنا من الروايات التي كانت تؤسس لقواعد عامة مثل: ما خالف كتاب الله فهو زخرف، أو فاضربوا به عرض الجدار. فالإعراض عن الروايات في مجال العقيدة ليس موقفا بقدر ما هو منهج يضع الرواية في طول القرآن والعقل، وما تناولناه من مفردات عقيدية خضعت لحكم القاعدة العقلية وما ورد من آيات.

كما أن رواة هذه الروايات متحيزون لعقيدتهم والتحيز يضعّف الرواية، بل بعضهم متهم بالوضع والغلو الصريح حد الكفر، وأمامك كتب رجال الشيعة وراجع، فكيف نعتمد على أخبارهم.

س102 : طارق الكناني: لقد طرحنا في هذا الحوار الذي تمخض عن صدور كتابين أفكارا كثيرة، خصوصا في الجانب العقائدي وأرى انكم قد سلطتم الضوء على الكثير من الامور وفندتم الكثير من الامور التي تعتبر من مرتكزات قيام بعض المذاهب ضمن حملة تنويرية قادها الكثير من المفكرين هل ترى ان هناك مستقبلا لهذه الأفكار .

ج102 : ماجد الغرياوي: قلت بوضوح في بداية الحوار، الناس أحرار في عقائدهم، والإيمان متعدد في مناشئه، ومهما كانت النتائج التي أفضى لها الحوار لا يقتنع بها القارئ ما لم يتحلَ بموضوعية وتجرد كاملين، ويستعين بالعقل والمنطق في محاكمتها. و ما زلت متفائلا بطيف واسع من ذوي العقول السليمة، ممن يقلقهم مستقبل الدين والإسلام، خاصة أتباع مدرسة أهل البيت التي ابتلت بغلاة أسسوا لعقائد بعيدة كل البعد عن روح الإسلام فضلا عن مخالفته لمبادئ العقل السليم.

مهمتنا قد انتهت ببيان آراء واضحة، شفافة، وما على القارئ سوى تدبرها. وعملنا خالص لا نقصد به سوى الإصلاح، وترميم تصدعات العقيدة، رغم تخطي الحوار بجرأة كبيرة لجميع الخطوط الحمراء وجزر العقيدة المغلقة، وكل اللامفكر فيه في الفكر الشيعي. أعتقد إن عدد ضحايا الشيعة في مواجهة داعش وأخواتها يدفعنا جميعا لردع التعصب من خلال شرح وبيان العقيدة الصائبة كي نحرم العدو من أي ذريعة بسببها يقتل الناس ويهلك الحرث والنسل بتهمة الكفر والشرك. والخطوط الأولى على طريق

الإصلاح الإعتراف بحجم الغلو داخل العقيدة الشيعية، وحجم الإعلام الموجه بأموال وثروات طائلة لترسيخ التعصب والكراهية والحقد، وأنت أعرف بمردود هذه المواقف، وحجم تداعياتها.

ثم نحن نتعامل مع الله مباشرة، وهدفنا مرضاته، فلا يحق أن نقوّل الله ما لم يقل، ولم يصرح به أو ما لا نعلم به. ينبغي أن يكون القرآن وصحيح السيرة النبوية بوصلتنا لمعرفة الحقيقة بعيدا عن الإكراهات الإيديولوجية، وتوجهات رجال الدين.

وربما من دواعي التوغل بمنهج علمي تجريدي موقف رجال الدين الشيعة المتراخي من بعض العقائد الزائفة، مما يوحي بشرعيتها خاصة طقوس عاشوراء، والطقوس الباطنية لبعض غلاة الشيعة. فلا بد من صواعق فكرية تهز ضمير العقل الجمعي كي يستفيق لرشده ويعي ما يدور حوله. ولا استبعد إيمان بعض فقهاء الشيعة بل ومرجعياتهم بها، ودليلي مجموعة البيانات الصادرة حول ضرب الرؤوس في يوم عاشوراء، حيث لم تصدر منهم فتوى صريحة تحرّم هذا العمل المشين، رغم تداعياته على مستوى مصداقية الدين والتشيع، وكأن الأمر لا يعنيهم.

وتبقى مشكلة حجية الروايات خاصة في مجال العقيدة، فهي ليست كالقرآن قطعية السند، ولا نستطيع الجزم بصدورها عن النبي ما لم تصل درجة اليقين، وهذا لا يحصل إلا للمتواتر منها، وهو نادر جدا جدا. هذا على فرض عدم مخالفة مؤداها لظاهر الكتاب المجيد والعقل. فكيف نأخذ بعقيدة لا نجزم بصحة صدورها عن الرسول الكريم؟

ثم جاءت مسألة عصمة أهل البيت التي قال بها هشام بن الحكم في أواخر حياة الإمام الصادق، فنقلت مسؤولية الباحثين من مدارات النقد إلى التأويل، حتى فقد البحث موضوعيته وتجرده وأفضى إلى فكر كلامي مهمته الدفاع عن العقيدة وترسيخها وليس نقدها وتمحيصها، فتراكمت النصوص عن مختلف المصادر.

والمشكلة الثالثة ما قام به الغلو من دس وتشويه في روايات أهل البيت، وصل حد استبدال أسانيد الروايات الضعيفة بأسانيد روايات صحيحة حالت دون نقدها وتمحيصها، فاضطر الفقهاء للتعامل معها باعتبارها روايات صحيحة صادرة عن أئمة أهل البيت.

هذه الأسباب دعت أيضا دون اللجوء للروايات في مجال العقيدة، على اختلاف مصادرها، خاصة العقيدة الشيعية، والاكتفاء بمرجعية القرآن والعقل.

***

أخلص إلى نتيجة أن الإيمان تراكم لا شعوري لا تشكل الحقيقة سوى جزء موضوعه، ويستمد صدقيته من مناشئ وأبعاد آيديولوجية أخرى. وقد لا يتصدع إيمان المؤمن مهما أفضت نتائج الحوار الذي استدرجتني أسئلته لمقاربة مفردات العقيدة الإسلامية عامة والعقيدة الشيعية خاصة، واضطرتني إلى تعرية بعض ركائزها، ونزع قدسية بعضها الآخر، بعد اكتشاف بشريتها وتحديد دوافعها، وظروف نشأتها، وفق رؤى قرآنية -عقلية. فكان الحوار مغامرة في تحدي الخطوط الحمراء والمناطق المحرمة ضمن اللامفكر فيه دينيا. لكنه مغامرة علمية.

فالإيمـــان شـــأن شخصـــي، والنـــاس أحـــرار في عقائـــدهم، ومشاعرهم محترمة ما دامت تحترم الآخـر. وأعلم جيدا أن كشف الحقائق يزعجهم، ويؤلّبهم ضد كل من يبادر للكشف عنها. وقد اقتصـر دوري في الحـوار علـى المراجعـة والنقـد مـع رصـد متواصـل لتداعيات العقائد والطقوس، دينيا واجتماعيا، ومدى تأثّر الوعي الجمعـي بهـا. خاصـة إن أخطـر مـا في الأديـان مكـر الطقـوس والشعائر الدينية، التي تتناسب طرديا مع حجم اللامعقول الديني. ومساحة الحوار لا تسمح بتفصيلات أكثر، فنكتفي به كرؤية نقدية ارتكـزت للعقـل والقـرآن في مراجعـة عقائـد المسلمين لرصد الفارق بين الرؤية القرآنية والممارسة العملية.

إن الحـوار خلاصـة معانـاة اسـتمرت أكثـر مـن ثلاثـين عامـا لشـخص مسـكون بالأسـئلة والاستفسـار، يجيـد رسـم علامـات الاسـتفهام. وقـد أمعـن بـالتفكير والمراجعـة ومحاكمـة الأفكـار والعقائـد، وانتهـى إلى نتـائج مغـايرة تكتسـب شـرعيتها مـن فهـم متجـدد للكتـاب الكـريم في ضـوء العقـل ومعطيـات المعرفـة الجديـدة، ولا تجـافي الصـحيح مـن السـيرة النبويـة العطـرة. فاعتمـد الحـوار القـرآن الكـريم والعقـل وبعـض القواعـد العقليـة مرجعيـة أساسية في بناء أفكـاره ورؤاه العقائدية، من هنا سيكون الخلاف مع بعض القرّاء في المنهج والمبنى العلمي، خاصة مـن يضـع الروايـات في موازاة الكتاب الحكيم، بل ويقدّمها عليه تخصيصا وتقييدا، وهـو مـنهج مرفـوض وفقـا لرؤيـة قرآنيـة تتخـذ مـن منطـق الكتـاب الكريم منهجا في فهمه، فلا سلطة تعلو سلطة النص القرآنـي، ولا

سلطة توازيه في صلاحياته فضلا عن التفوّق عليه. وهو ما يعتمده الفقهاء والمتكلمون من أجل دعم عقائدهم وتعضيدها بأدلة روائية حينما لا يسعفهم القرآن الكريم بأدلة صريحة بل وحتى أدلة تأويلية.

لكن مشكلة المسلمين عامة هو التراث المثقل بالكذب والتزوير والوضع على الله ورسوله، الذي أفضى إلى عقائد ترسخت بشكل لا يمكن زعزعتها إلا للواعين اليقظين من الناس. فالإيمان اليوم إيمان تراثي، طقوسي، يقصي العقل، ويبدد الوعي، ويلوذ باللامعقول من أجل تكريس إيمان يحافظ على هويته الدينية والطائفية. بل استطاع التراث اقصاء الكتاب الكريم، فحرم الناس من مقاربته بحجة اختصاص فهمه بالقرون الأولى، فتكون وظيفة المسلم التعرف على الكتاب الكريم من خلال التراث حصرا. وهذه كارثة ما بعدها كارثة عندما يقصى الكتاب الكريم، ويترك الساحة الفكرية والعقائدية لتراث ملغوم بالطائفية، والخراقات، واللامعقول.

أملي أن يحالف الوعي القارئ الكريم، وتساهم قراءته للحوار في إثراء الوعي الديني من أجل نهضة حضارية نحن بأمس الحاجة لها كضمان لمستقبلنا ومستقبل أبنائنا. وبقت الحقيقة الدينية مدار حوارنا وقراءتنا النقدية لها، رغم تنوعها بتنوع حقولها.

طارق الكناني: شكرا لك أستاذ ماجد الغرباوي على سعة صدرك وتحملك مشقة وعناء الاجابة على هذا الكم الكبير من الأسئلة التي كانت تدور في مناطق محرمة وشكرا لك على جرأتك وعلى تجاوز حالة التمحور الطائفي والتعصب المقيت فقد أظهرت لنا معدنا أصيلا قل نظيره في شرح موقفك وبشكل لايقبل اللبس وبدون مواربة وعدم مسك العصا من الوسط، فكانت نتائج الحوار واضحة لكل ذي لب، بالرغم من طول مدة الحوار، إلا ان النتائج كانت رائعة ومشجعة فها هو كتابنا الاول قد صدر ومابين ايدينا الان هو الكتاب الثاني والذي سيصدر بعونه تعالى واعتقد انه سيمثل قيمة فكرية مهمة. كيف لا وهو يمثل خلاصة ما انتجه الفكر المتحرر من الخرافة واللامعقول مستندا لاسانيد لايرقى اليها الشك .اكرر شكري لك استاذ ماجد الغرباوي، مع خالص تقديري واحترامي.

ماجد الغرباوي: وأنا بدوري أشكر صبرك وسعة حلمك، ودقة أسئلتك، وحرصك على معرفة الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها، وشعورك بالمسؤولية تجاه دينك وشعبك وبلدك. وأشيد بأسئلتك التي استدرجتني لتخطي المحرم والممنوع في العقيدة الشيعية، فكان الحوار رحلة اكتشاف عظيمة، وقفنا من خلالها على حقائق كانت غائبة أو تم تغييبها، نأمل أن تكون نقطة ضوء يكتشف بها القارئ الكريم طريق الحقيقة.

جميع الأجوبة في هذا الحوار تمثل رأيي ووجهة نظري الشخصية، وأنا مسؤول عنهما. ومستعد للتراجع عن أي فكرة ثبت

ضدها بدليل مقنع. فليس لدي نهائيات بل أنا رجل باحث عن الحقيقة، وسأبقى اطاردها .. لا تأسرني قبلياتي، ولست متعصبا لأي منطق أو فكر أو عقيدة وأسير على هدى من الكتاب الكريم وعقلي وما صح عندي من الروايات وفق منهجي في توثيقها، ولا أكتفي بوثاقة الرواة، وأخضع الرويات للدراسة والمقارنة ومعرفة توجهات وعقيدة الراوي، فيبقى الوثوق منهجا معتمدا مع تطور في مبانيه وأسسه. وأتحلى بموضوعية تساعدني على فهم الحقيقة ضمن حيثياتها التاريخية. فالفكرة والعقيدة ليست منقطعة عن بيئتها وأسباب نشأتها، ولا يمكن فصلها عن ظروفها السياسية والاجتماعية، بل ولا حتى يمكن فصلها عن مجمل التحديات التي رافقتها، وهي تتطور على مدى الأيام والسنين. فمن يتابع تاريخ الأفكار والعقائد يكتشف صحة ما أقول. ويكفي أن القرآن الكريم قد كشف عن بعض جوانب تطور العقيدة من خلال استعراضه لرسالات الأنبياء وقصصهم والتحديات التي واجهتهم. فلماذا ينزعج بعض الناس عندما تتحرش بعقيدته أو تنقدها نقدا علميا؟. التعصب الديني يقتل روح التسامح والمحبة والوئام، وهو أحد أسباب تفتت عضد الأمة الأسلامية عندما تعصب كل طرف لمذهبه.



أسعدني أستاذ طارق الكناني، تفاعلك مع الأجوبة رغم صخبها، لكنك أكبر من الإنفعالات، بشهادة الأسئلة التي كنت تطرحها تعقيبا على بعض الأجوبة.

ولـك الشـكـر أخـيرا علـى جهـودك في صـدور الحـوار بـكـتـابين، اختص الأول بالمحورين الأول والثاني على مدى 200 صفحة، بينما راح المحور الثالث يتفرد بكتاب كبير امتدت صفحاته لأكثر من أربعمئة صفحة. فجزاك الله خيرا، ومن الله نستمد العون والسداد.

طارق الكناني

- طارق فاخر عباس الكناني
- 1960 - كربلاء / العراق
- ماجستير محاسبة
- حاصل على عدة شهادات أخرى:
- شهادة في بناء الإقتصاد المحلي من معهد اينلوب وارشو
- شهادة في ادارة الإئتمان المصرفي من معهد المحاسبة الأمريكي
- شهادة في إدارة المصارف من الاكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية / عمان
- عمل في عدة وظائف حكومية آخرها مدير فرع في بنك الرشيد الحكومي.
- عمل استاذا في كلية الفراتين قسم العلوم المالية والمصرفية.
- عمل في الاعلام منذ العام 1990.
- كاتب في الشأن السياسي، وله عشرات المقالات في السياسة والادب.
- مدير تحرير صحيفة الحقيقة في العراق.
- عضو هيأة التحرير في مجلة الثقافي.
- يكتب في الصحف العربية والمحلية
- ناشط مدني

صدر له:

- قصائد بتاريخ الغد (مجموعة شعرية) / 2015م.
- أزاهير آنية الشمس (مجموعة شعرية) / 2016م
- ذاكرتي وربيع الزهايمر (مجموعة شعرية) / 2016م
- رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي / مع ماجد الغرباوي 2017م.
- مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني / مع ماجد الغرباوي

مؤسسة المثقف العربي

مؤسسة المثقف العربي، مؤسسة غير حكومية، تعنى بالشأن المعرفي، وتمارس نشاطها في مجالات الثقافة والفكر والأدب والفنون. تتخذ من مدينة سيدني الأسترالية مكتبا رئيسا لها، ومن صحيفة المثقف موقعا على الشبكة العنكبوتية.

جاء الإعلان عن تأسيس مؤسسة المثقف العربي في 2010/01/05م استجابة لمتطلبات العمل الإعلامي الراهنة، وتلبية لضرورات نشر وتعزيز وإشاعة ثقافة التسامح والمحبة والتكافل، وايجاد مركزية مؤسساتية تضمن ترابط الأعمال الصادرة عنها، ووضعها في سياق العمل المنظم. فبعد عمل متواصل لثلاث سنوات في صحيفة المثقف انبثقت نشاطات أخرى، تطلبت وجود مؤسسة لإدارة شؤونها وتسيير أعمالها.

ومؤسسة المثقف العربي جهة مستقلة، ترفض العنف والتكفير، والتطرف المذهبي والسياسي، وتستقل برؤية بعيدا عن تشظيات الأيديولوجيا وكل الإنقسامات والخصوصيات التي تنال من كرامة الفرد والمجتمع. ساعية إلى ترسيخ قيم الإنسان عبر إشاعة ثقافة التسامح والمحبة والأخوة ووحدة المصير البشري.

ينبثق عن إدارة المؤسسة مجلس استشاري، يساهم في ترشيد سياسة المؤسسة، والتخطيط لمشاريعها المستقبلية، كما ستمثل نشاطات المؤسسة خارج أستراليا نخبة من المثقفين، سعيا منهم لتعميق الأواصر الثقافية بين أبناء الكيان المجتمعي المتحد.

مبادئ مؤسسة المثقف العربي

■ نؤمن بالتعددية والرأي الآخر.

■ ندعو للتعايش بين الأديان والثقافات.

■ نتبنى قيم: التسامح، والحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان.

■ نحارب العنف والتحريض والتكفير.

■ نرفض الخطاب الطائفي والأيديولوجي المحرض .

■ نساهم في تعميق لغة الحوار والتفاهم وفق الثوابت الأساسية المستمدة من تعاليم السماء وقوانين الأرض .

■ نعنى بالمثقف ومواقفه إزاء الأحداث والتحديات، ونعرّف بإنجازاته وأعماله ومشاريعه.

ماجد الغرباوي

رئيس مؤسسة المثقف العربي

إصدارات مؤسسة المثقف العربي:

- تجليات الحنين .. في تكريم الشاعر يحيى السماوي (ط1)/ إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- الضد النوعي للاستبداد

استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني / ماجد الغرباوي

- امرأة بين حضارتين ... حوار مفتوح مع ا. د. إنعام الهاشمي / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- د.عبد الرضا عليّ .. رحلةٌ متوهّجةٌ في فضاءِ النقد والدرسِ الأكاديمي / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- جذِلاً .. بينَ سِربِ السنونو / سعد الحجّي

- وفاء عبد الرزاق .. أفق بين التكثيف والتجريب / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- شوكت الربيعي .. فضاء إبداعي متوهج / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- مدارات ايديولوجية .. حوار مفتوح مع الاستاذ سلام كاظم فرج / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- الشيخ محمد حسين النائيني .. منظّر الحركة الدستورية / ماجد الغرباوي

- أيلول وضوء القمر / د. هناء القاضي

- أدخلُ جسدي أدخلُكم / وفاء عبد الرزاق

- غرّيد القصب /. سنية عبد عون رشو

- تعالى لأبحثَ فيك عنّي / يحيى السماوي

- مدخل إلى الضوء / وفاء عبد الرزاق

- المتخيل التعبيرى / د. نادر أحمدعبد الخالق

- منهج الشهيد محمد باقر الصدر في تجديد الفكر الإسلامي / د. عبد الجبار الرفاعي.

- ترنيمتان لمنفى واحد / سوزان سامي جميل وأفين ابراهيم

- مطارحات حول الحجاب والزينة في الشرع الإسلامي / غالب حسن الشابندر

- (مسرحية) رحلة ابن عوف إلى بلاد الخوف / محمد تقي جمال الدين

- العُمْرَان البشري الإسلامي / دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية / د. رشيد كُهُوسْ

- في غياب الجواب / وفاء عبد الرزاق

- أغلال أخرى / وفاء عبد الرزاق

- وجوه أشباح وأخيلة / وفاء عبد الرزاق

- إدمان السياسية .. سيرة: من القومية للماركسية للديمقراطية / جورج كتن

- الزمن المستحيل / وفاء عبد الرزاق

- حاموت / وفاء عبد الرزاق

- سطر .. الشارع / فلاح الشابندر

- توظيف النص القرآني في شعر أحمد مطر / أ.د. محمد ثامر السعدون الحسيني

- البحث عن اللون / حسن البصام
- العقل .. قراءات في إشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة (1) / غالب حسن الشابندر
- العقل .. قراءات في إشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة (2) / غالب حسن الشابندر
- أنقذتِني مني / يحيى السماوي
- فنتازيا النّص في كتابات وفاء عبد الرزاق / د. وليد جاسم الزبيدي
- صمغ اسود / وفاء عبد الرزاق
- الطيور المهاجرة ورماد العودة .. حوار مفتوح مع ا. د. عبد الاله الصائغ / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي
- أنا ليلى حتى الرمقِ الأخيرِ / سوزان عون
- الاغتيال الاموي للبحر (مسرحية) / محمد تقى جمال الدين
- المرأة والقرآن .. حوار في اشكاليات التشريع / د. ماجدة غضبان وماجد الغرباي
- تطوّر المباني الفكريّة للتشيّع / د. حسين المدرسي الطباطبائي
- الحركات الإسلامية .. قراءة نقدية في تجليات الوعي / ماجد الغرباوي
- أشك حتى .. / وفاء عبد الرزاق
- الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف / الشيخ محمد مهدي الآصفي، تقديم: ماجد الغرباوي

- رائد الأدب المعاصر .. دراسة في شعر الشاعر المغترب قصي الشيخ عسكر / د. هدى صحناوي

- رسالة (رواية) / د. قصي شيخ عسكر

- جدلية السياسة والوعي .. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق / ماجد الغرباوي

- وطن الجراد (رواية) / ا. د. محمد ثامر

- إشكاليات التجديد (ط3) / ماجد الغرباوي

- تجليات الحنين .. دراسات وشهادات في منجز الشاعر يحيى السماوي (ط2) / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي

- إخفاقات الوعي الديني.. قراءة في تداعيات النكوص الحضاري / ماجد الغرباوي وسلام البهية السماوي

- الخيال السوسيولوجي العراقي ..عبد الجليل الطاهر أنموذجا / د. محمد حمود إبراهيم السهر

- أولاد النصرانية .. جيل آخر (رواية) / أحمد الشطيبي

- الحساسية الجديدة في روايات قصي الشيخ عسكر / د. صالح الرزوق، 2016م.

- رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي / ماجد الغرباوي وطارق الكناني

- استدر مع ضوئي / سلوى فرح

- حديقة من زهور الكلمات / يحيى السماوي

- مدارات عقائدية ساخنة.. حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني / ماجد الغرباوي وطارق الكناني

AAA - Sydney – Australia
Almothaqaf Arabic Association

مؤسسة المثقف العربي 2010

www.almothaqaf.com

almothaqaf@almothaqaf.com

المحتويات